

مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

جَوَادِثُ دِمَشْقَ الْيَوْمِيَّةِ

١١٥٤ - ١١٧٥ هـ

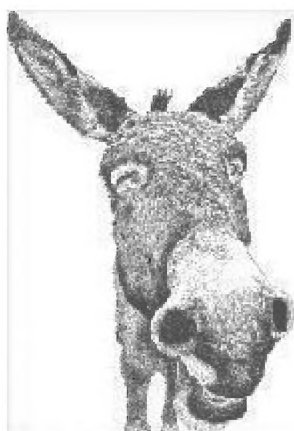
١٧٤١ - ١٧٦٢ م

جمعها: الشيخ أحمد البديري الحلاق
نقحها: الشيخ محمد سعيد الفاسمي

وقف على تحقيقها ونشرها
دكتور أحمد عزت عبد الكريم
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس

القاهرة

١٩٥٩



مَطْبُوعَاتُ الْجُمُعِيَّةِ الْمُصْطَرَّةِ لِلدِّرَاسَاتِ الشَّرْحِيَّةِ

حَوَادِثُ دِمَشْقِ الْيَوْمِيَّةِ

١١٥٤ - ١١٧٥ هـ

١٧٤١ - ١٧٦٢ م

جَمَعَهَا: الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْبُذَيْرِيُّ الْحَلَّاقُ
نَقَحَهَا: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَعِيدُ الْفَارَسِيُّ

وَقَفَ عَلَى تَحْقِيقِهَا وَنَشَرَهَا

د. كُنُوزُ أَحْمَدُ عَزَّزْتُ عَبْدُ الْكَرِيمِ

أَسَازُ التَّارِيخِ الْحَدِيثِ بِجَامِعَةِ عَيْنِ شَمْسٍ

الطبعة الأولى

١٩٥٩

مطبعة دار البعث العربي
دمشق - سوريا - ١٩٥٩

إلى دمشق

المدينة العربية الخالدة

أهدى هذا الكتاب في حقبة من تاريخها
ذكرى السنوات الجميلة الثمرة التي أمضيتها بها
(١٩٤٩ - ١٩٥٦)

مقدمة

كانت سورية أول قطر عربي دخله الأتراك العثمانيون فاعين ، في حركة التوسع العثماني السدير في العالم العربي ، الذي بدأه السلطان سليم الأول (سنة ١٥١٦) وأتمه من بعده ابنه السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) . فعلى أثر وقعة مرج دابق شمال حلب (سنة ١٥١٦) وهزيمة الجيش المملوكي بقيادة السلطان قنصوه الغوري استولى العثمانيون على بلاد الشام جميعها ، وتقدموا فدخلوا مصر ، وزالت السلطنة المملوكية وحلت محلها ولايات عثمانية في القاهرة ودمشق وحلب وطرابلس وصيدا^(١)

حقاً إن هذه الولايات خضعت للون واحد في الحكم ، وقامت فيها حياة المجتمع على نسق يكاد يكون واحداً ، وسادتها حياة ثقافية وروحية واحدة ، ولكن كان لكل من هذه الحواضر شخصيتها الخاصة ، التي استمدتها من ماضيها العريق ، ومن مقومات الحياة المدنية الخاصة التي خضعت لها في العصر العثماني ، سواء كانت حكومية أو وطنية فكان لكل منها حكومتها الخاصة ، وقواتها العسكرية الخاصة ولها مشكلاتها الخاصة ، حتى اعتاد أهل كل حاضرة أن يعيشوا ويفسكروا (منفصلين) عن سواهم ، معزّين بمشخصاتهم ، حريصين عليها . حتى قام الحكم الوطني فوضع أمام المواطنين جميعاً مثلاً أعلى ، وفي ظل الكفاح المشترك والمصلحة المشتركة ذابت الوحدات الإقليمية الصغرى في الوحدة القومية الكبرى .

وقد بقي الحكم العثماني في سورية قائماً حتى الحرب العالمية الأولى ، أي أنه دام فيها نحو أربعة قرون . ويمكن أن نقسم تاريخ سورية في هذا العهد العثماني الطويل إلى الأقسام الآتية :

١ - العهد العثماني الأول من ١٥١٦ إلى ١٨٣١ ، أي من وقت دخول السلطان

(١) أنشئت باشوية (أو ولاية) صيدا في سنة ١٦٦٠ ، قد دعا إل إنشائها ما حدث من اضطراب في جبل لبنان في القرن السابع عشر ، بقيام الأمير فخر الدين الثاني بحركته الشهيرة ضد الدولة وما تلا ذلك من أحداث ، فأنشأت الدولة باشوية في صيدا للإشراف على شئون الجبل ، ثم انتقل مقر الولاية إلى عكا ثم إلى بيروت .
انظر : أحمد عزت عبد الكريم : التقسيم الإداري لسورية في العصر العثماني . (حوايل مكتبة الآداب بجامعة عين شمس . المجلد الأول ١٩٥١) .

سلم الأول الأقطار السورية إلى دخول القوات المصرية هذه الأقطار وضمتها إلى مصر في حكم واحد ، هو حكم محمد على .

وتتميز هذه المرحلة بسطحية الحكم العثماني وشيوع روح المحافظة والجمود . والتشتت في أداة الحكم وفي تنظيم المجتمع .

٣ - عهد الحكم المصري في الشام ١٨٣١ - ١٨٤٠ ، وكان هذا الحكم امتداداً للحكم العثماني ، على اعتبار أن مصر وسورية بقية جزءاً من الإمبراطورية العثمانية ، ولو أن مصر خرجت عليها وحاربها . إلا أن هذا العهد تميز بالحكومة المركزية القوية ، وإخضاع - أو محاولة إخضاع - العصيات والطوائف المحلية والأخذ بسياسة التجديد ، والحكم المصري - من هذه الوجهة - مهد للعهد التالي في سورية .

٣ - عهد التنظيمات وما يلحق به من حكم السلطان عبد الحميد ، ثم حكم الاتحاديين حتى الحرب العظمى الأولى وانتهى بهامبراطورية العثمانية . (أى من ١٨٤٠ إلى ١٩١٨) .

وتتميز هذا العهد باصطناع العثمانيين فلسفة جديدة في الحكم ، قوامها تشديد قبضة الحكومة على ولاياتها وتوثيق ربطها بالحكومة المركزية والأخذ بسياسة التحديد وتدبير الأدوات لتحقيق هذه الخطط .

* * *

وإن الباحث في التاريخ السورى الحديث - وهو ليس إلا تاريخها في العهد العثماني - لتروعه حقيقة صارخة : وهى أن هذا العهد لم يحظ من المؤرخين بالعناية التى تستحق وأهميته ، وقد اقتطع من تاريخ سورية أربعة قرون . وفى رأينا أن هذا الإهمال يرجع - فى الدرجة الأولى - إلى بهاء العصر السابق للفتح العثماني ، وهو العصر الذى اصطلح على تسميته بالعصر الإسلامى ، وانشغال الناس بأحداث العصر التالى لانسلاخ سورية من الحكم العثماني وما صحبه من أحداث الكفاح الوطنى ضد الانتداب الفرنسى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لم يقم فى هذا العصر العثماني - على طوله - وخاصة فى العهد الأول منه من المؤرخين المعلقة مثل من حفل بهم العصر السابق ، واستقام الناس إلى أن العصر العثماني كان متسماً بالجمود والركود فأهموه ، إلا أن وضعه بالجمود والركود لا يبرر هذا الإهمال .

ومن جهة ثالثة يرجع هذا الإهمال — في رأنا — إلى صعوبة جمع المادة التاريخية التي يقام عليها تاريخ المصّر العثماني وخاصة في عهد الأول ، ويرجع ذلك إلى عدم توافر المصادر الأصلية التي ينبغي أن تكون في متناول المؤرخ لهذا المصّر .

حقاً إن بين أيدينا معلومات غزيرة مما كتبه بعض الرحالة الأجانب ، وقد يكون أجدرها بالتقدير رحلة قولني إلى مصر والشام بين سنتي ١٧٨٣ و ١٧٨٥ . ولكن الرحالة الأجانب في بلادنا لا يعرفون كل شيء ، وإذا عرفوا أشياء شاب كتابتهم الهوى أو النفاق أو الجهل ، أو غير ذلك مما يشوه المادة التاريخية .

أما المادة الأصلية التي يتكون منها تاريخ سورية — أو تاريخ أي بلد آخر — فينبغي أن تستمد من مصدرين أساسيين :

الأول : الوثائق الرسمية من فرمانات السلاطين والباشوات وأوامر رجال الحكم وسجلات الأجناد ودفائر الأموال والأراضي والرسائل التي تبودلت بين هيئات الحكم في الولاية والحكومة المركزية ، ورسائل القناصل وأوراق الحاكم وسجلات الأوقاف . الخ .

ولكن هذه الوثائق الرسمية المتعلقة بالتاريخ السوري الحديث وخاصة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر ليس إليها حتى اليوم من سبيل ، على الأقل في سورية ، وإذا كان بعضها لا يزال موجوداً ، فإن الجهود لإخراجها — بله تنسيقها وإعدادها للباحثين — لم تبذل بعد^(١) . وكأن هذه القرون الأربعة التي مرت بالحكم العثماني في سورية قد بدأت وانتهت دون أن تخلف من تلك الأوراق والدفائر شيئاً ، مع أن هذا يتنافى وما نعرفه عن أساليب الحكومة العثمانية في ولاياتها . وليس من شك في أنه إذا أريد إعادة كتابة تاريخ سورية الحديث كتابة علمية مضبوطة محققة ، لا تقف عند (العموميات) وإنما تعمق (الجزئيات) ، ليس من شك في أن الوقت قد حان للقيام (بحملة) علمية منظمة ، تستهدف البحث عن هذه الوثائق الرسمية والكشف

(١) إن الدراسات التي قام بها الاستاذ برنارد لويس في دور الوثائق التركية باستانبول تنصح عن أهمية الوثائق العثمانية في كتابة تاريخ البلاد العربية .

انظر Bernard Lewis : The Ottoman Archives as a Source for the History of the Arab Lands (J. R. A.S. Oct. 1951, pp. 139-155).
— Studies in the Ottoman Archives (B. S.O.A.S. 1954 XVI-3 pp. 409- 501).

عنها وتيسير سبل البحث فيها أتى وُجدت^(١) ، على أن يسبق هذا بطبيعة الحال إعداد أبحاثين الذين سيضطلمون بمثل هذا العمل الإعداد الصحيح .

والصدر الثانى : ما كتبه المعاصرون من أبناء البلاد أنفسهم فى تاريخ بلادهم أو وصف مجتمعاتهم أو الترجمة لأعلامهم . وفى رأينا أن هذه الكتابات لا تقل أهمية وخطراً عن الوثائق الرسمية ، فعلى وثائق (أهلية) إن صح هذا التعبير ، وهى من هذه الوجهة قد تكون أجل من الوثائق الرسمية شأنًا ، لأنها أصدق تصويرًا للجوانب من حياة المجتمعات قد لا تتناولها أوراق الحكومة .

ونتيجة لقيام الوحدات الإقليمية فى الحواضر السورية وقع على عاتق أبناء كل حاضرة مسؤولية الاهتمام بتدوين تاريخهم ، فعلماء حلب كتبوا فى تاريخ حلب ورجعوا لأعلامها ، وعلماء دمشق كتبوا فى تاريخ مدينتهم ورجعوا لأعلامها ولا نعرف أن عالماً من دمشق أو من حلب أو من طرابلس تصدى — قبل القرن التاسع عشر — لكتابة تاريخ سورية كلها بمختلف وحداتها الإدارية ، حتى إن عالماً فاضلاً كالرحوم الأستاذ محمد كرد على عندما تصدى فى عصر متأخر لكتابة تاريخ بلاده أو خططها قصر همه على (خطط الشام) أى دمشق ، أما فى العصر العثمانى الأول بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر — فلا نكاد نجد من المراجع المنشورة عن تاريخ الشام إلا التزوير اليسير . عندنا حقاً ما كتبه ميخائيل الدمشقي عن حوادث الشام ولبنان^(٢) وأكثره متعلق بتاريخ لبنان ، وما كتبه المحي^(٣) والراى^(٤) فى تراجم أعلام القرنين الحادى عشر (السابع عشر الميلادى) والثانى عشر (الثامن

(١) هذا باستثناء بعض أوراق القناصل الأوربيين التى استخدمها بعض المؤرخين الأجانب لكتابة جوانب من تاريخ سورية ، وخاصة الجوانب الاقتصادية مثل :

Charles Roux : Les échelles de Syrie et de Palestine au XVIII^e siècle.
Masson : Histoire du commerce au Levant au XVII^e - Siècle.

ومثله عن القرن الثامن عشر .

ومثل بعض الوثائق الإيعالبة التى استخدمها الدكتور حسن عثمان^١ فى بحث له غير منشور (والأب بولس قرآن^٢ فى بحث منشور) عن الأمير فخر الدين المعنى الثانى .

أما وثائق القرن التاسع عشر فقد لقيت حظاً كبيراً من العناية ، مثل وثائق الشام فى المهد المصرى التى نشرها الدكتور أسد رستم والمحركات السياسية التى نشرها فريد الحازن .

(٢) نشره الحورى قسطنطين الباشا . حريراً ١٩٣٠ .

(٣) خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر . القاهرة ١٢٨٤ هـ .

(٤) سلك الدرر وأعيان القرن الثانى عشر . القاهرة ١٣٠١ هـ .

عشر الميلادى) وما كتبه القنار والقارى عن وزراء دمشق وقضاها (١) وأكثره لا يعدو أن يكون قوائم بأسماء الباشوات الذين تماقبوا على حكم دمشق في العصر العثماني ، مع نبذة وجيزة عما حدث في عهد كل منهم . ولكن هذه الكتابات — على ما فيها من مادة ثينة — لا تكفى وحدها لإنشاء تاريخ دقيق مفصل للشام في العصر العثماني ، ومن هنا نجى الدعوة التي وجهناها لإعداد (حملة) علمية منظمة للكشف عن المصادر الأصلية للتاريخ السوري — بل العربي عامة — في العصر العثماني ، وخاصة في العهد الأول منه .— حتى القرن التاسع عشر ، وهو العهد الذي نال نصيبا أكبر من إهمال المؤرخين العرب المحدثين . ونرجو أن يكون هذا الجهد التواضع الذي نتقدم به اليوم لجلاء جانب من تاريخ سورية في القرن الثامن عشر مقدمة لهذه (الحملة) التي ندعو إليها ، ولينة في البناء التاريخي الذي ندعو لإقامته .

* * *

والكتاب الذي ننشره اليوم ألفه أحد أبناء الشعب الدمشقي ، في القرن الثامن عشر ، وهو « أحمد البدرى الحلاق الدمشقي » ، وقد دون فيه « حوادث دمشق اليومية » في خلال إحدى وعشرين سنة من ذلك القرن ، وهي الواقعة بين سنتي ١١٥٢ و ١١٧٥ هجرية (١٧٢١ — ١٧٦٢ ميلادية) (٢) .

لم يقصد البدرى بكتابه أن يدوّن تاريخا لبلده ، فمثل هذا العمل الكبير كان فوق ما تحمله ثقافة الرجل ، بل كان فوق إدراك أكثر علماء ذلك الزمان ، ولكنه شهد أحداثا انقلع بها ، فانكب على أوراقه يسجل ما شهد وما سمع يوما بعد آخر ، دفعته إلى ذلك مجرد الرغبة في التسجيل خشية النسيان ، أو هواية الكتابة أو التعبير عن مشاعره والتنفيس عن كامن عواطفه وتسجيل رأيه في الناس وفي الحوادث ، أو الرغبة في إفادة من يأتي بعده ، على نحو ما عرف أو سمع عن كتابات من سبقه من الكتاب والمؤرخين . لم يقصد البدرى بمؤلفه — إن كان قد قصد حقا أن يضع مؤلفا واضح الحدود والعالم — أن يتقدم به إلى وزير أو يتعلق به كبيرا ، فجاء كتابه —

(١) نشرهما الدكتور صلاح الدين النجد في مجلد واحد بعنوان : « ولاية دمشق في العهد العثماني » دمشق ١٩٤٩ .

(٢) يلاحظ أن البدرى مؤلف الكتاب ذكر أنه جم الحوادث التي جرت بدمشق من سنة ١١٥٤ إلى سنة ١١٧٦ ، ولكن التاسمي منقح الكتاب فطن إلى أن المؤلف زاد سنة ونسب إلى ذلك في أول الكتاب وفي آخره .

أو مذكراته — صورة صادقة لقطاع من حياة الناس في دمشق في أواسط القرن الثامن عشر .

وهذه الصورة التي قدمها لنا البديري عن دمشق في ذلك الوقت لا تكاد تختلف في خطوطها العريضة عن صور الحياة في غير دمشق من الحواضر العربية ، لا تكاد تختلف عما نقرؤه في تاريخ الفزى عن حلب أو في تاريخ الجبرتي عن القاهرة أو في مطالع السعود عن بغداد ، لا تكاد صور الحياة في هذه الولايات العربية تختلف إحداها عن الأخرى ، لأن القوِّمات التي قامت عليها حياة المجتمعات فيها تكاد تكون واحدة ، والأنظمة التي وضعها السلاطين العثمانيون لحكمها كانت واحدة ..

فإننا إن هذه الصور تتشابه في عمومياتها ، وإن اختلفت جزئياتها باختلاف ظروف ولاية أو حاضرة عن أخرى ، من جهة ، وبتفاوت المستوى الثقافي لأولئك الكتاب الذين قدموا لنا هذه الصور من جهة أخرى .

وبعد ... فأين الخلاق أحمد البديري من معاصره^(١) العالم المورخ عبد الرحمن الجبرتي ؟

* * *

لا نعلم — على وجه التحقيق — السنة التي ولد فيها البديري ولا السنة التي انتقل فيها إلى جوار ربِّه ، ذلك لأن البديري في كتابه .. كما وصل إلينا بعد أن تناوله يد النسخ بالتهذيب — لم يتحدث كثيراً عن نفسه وعن أسرته . ومضى البديري في الحياة مغموراً ، لم يحفل به كتاب الطبقات أو الأعلام ، ولم يعد المرادى من « أعيان » القرن الثامن عشر الذين احتفل بتدوين سيرهم في سلك درره .

وكل ما نعرفه عن السنوات التي عاشها البديري هي تلك الفترة التي دون هو حوادثها بدمشق ، وهي الفترة الممتدة بين سنتي ١١٥٤ و ١١٧٥ هـ (١٧٤١ — ١٧٦٢ م) ولستنا لا ندري هل كانت هذه السنوات — وقد بلغت إحدى وعشرين سنة — الجانب الأطول من عمره أو الأقصر ، وإن كان من الطبيعي أن البديري لم يبدأ في تدوين حوادث دمشق اليومية من سنة ١١٥٤ إلا بعد أن استوفى نضجه واتسعت دائرة معارفه الذين كانوا يمدُّونه بالأنباء ، وكبرت تجاربه ، وخبر الحياة حلوها ومرتها ، فأقل على التأليف والكتابة ونظم المواليا .

(١) ولد الجبرتي في سنة ١١٦٧ ، وكان البدء حينذاك رجلاً مكتمل الرجولة عاكفاً على كتابة يومياته .

وقد ذكره منقح الكتاب في بدايته باسم « شهاب الدين أحمد بن بدير البدرى .
 السهرى بالخلاق » ، وربما وجد النقع هذا الاسم مدونا على الكتاب فقله كما هو .
 وقد ينصرف الذهن إلى أن « الخلاق » كانت للبدرى كنية ، وليست حرفة اشتغل
 بها ، وقد تكون حرفة أبيه أو جدّه من قبل فاشتهر بها . قد ينصرف الذهن إلى
 شىء من هذا ، لولا أن البدرى نفسه ذكر في عدة مناسبات من كتابه اشتغاله
 بالخلافة .

الأولى : في ختام المواليا الذى نظمته في سنة ١١٥٤ « في حق من أظهر الكذب
 والأراجيف من أهل دمشق » (١) .

والثانية : حين ذكر أستاذه « في منعة الخلافة » الحاج أحمد الخلاق بن حشيش
 ذكره معترّا به إذ « كان حلاقا لفرد زمانه وقطب أوانه الشيخ عبد الغنى النابلسي
 قدّس سره » و « ما وضع يده على مريض إذا رمد وقرأ ما تيسّر لإشفاء الله
 وعافاه » ، وقال صبيّه وتلميذه البدرى « ومنه حصل لى الفتوح والبركة » (٢) .

والثالثة : حين ذكر — فى موضع آخر — رجلا كان صاحب الفضل فى تعليمه
 وتثقيفه ، حتى وصفه بالأب والوالد والأستاذ والمربي . وقال إنه فريد عصره ووحيد
 أوانه ، ولا غرو . فقد « كان يحكى سيرة الظاهر وعنترة وسيف ونوادر غريبة
 فى التركى والعربى ، ومع ذلك فهو أمدى لا يقرأ ولا يكتب . وهو بحر خضم
 لا يخاض » (٣) .

والمناسبة الرابعة التى تحدث فيها البدرى عن اشتغاله بالخلافة حين ذكر وفاة
 « معتقد أهل الشام على الإطلاق الشيخ يوسف الحلوتى » وقال معترّا « ومما منّ
 الله به على أن حلقت رأسه واغتتمت دعاءه » (٤)

وقد حرص البدرى الخلاق على أن يسجل وفاة رؤساء الطوائف أو نقباء
 الحرف أو الأوصاف ، إلى جانب من ذكرهم من العلماء وأرباب الطرق والتصوفة
 وأصحاب الكرامات ، كرئيس الخلافة ، ورئيس الدباغين ، ونقيب النقباء على الحرف
 والصنایع والطرق وغيرهم من مشايخ الحرف

(١) ص ١١ — ١٥ من هذا الكتاب .

(٢) ص ٢٤ — ٢٥

(٣) ص ٣٤

(٤) ص ٦٢ — ٦٣

وقد كان لطوائف الحرف مكانها في المجتمع الحضري لذلك العهد، فند كانت أداة قوية من أدوات التنظيم الاجتماعي، إذ كانت كل طائفة تنظم المشتغلين بالحرفة، ولها نظامها وكيانها وتقاليدها. ولها رئيسها، وكانت الطائفة أداة لتكثيل أعضائها وحمايتهم في وقت عزت فيه حماية السلطات الحاكمة، كما كانت أداة أمن ورعاية لأبنائها، وكانت — بما تملك من وسائل التجميع والتكثيل — قادرة على العمل في المدينة، خصوصاً إذا لاحظنا أن كثيراً من أفرادها والمتحمين إليها كانوا — باندماجهم أو انتمائهم إلى سلك الانكشارية المحلية — يحملون السلاح، فكانوا لذلك أقدر من غيرهم من سكان المدينة على الدود عن أنفسهم وحماية مصالحهم. هذا إلى أنهم لم يكونوا محرومين من ذلك القدر وذلك النوع من الثقافة الذي عرفه أوساط الناس لذلك العهد، وهي ثقافة تلتهمها من التصوفة وأرباب الطرق. والارتباط بين طوائف الحرف وطرق الصوفية كان قوياً^(١)، وقد زود رجال الطرق الصوفية أبواب الحرف وسائر الناس بثقافة روحية أخلاقية، وإن شابهها في كثير من الأحيان الحزبيلات والخرافات — وقد أطلقوا عليها في ذلك العصر اسم الكرامات — إلا أنها كان لها أثرها الطيب في تربية الناس وتهذيبهم والترفيه عنهم، إذ رقت بعض النش، الحياة الحسنة التي كانوا يعيشونها.

ولطائفة الحلاقين من بين طوائف الحرف مكانها في المجتمع الدمشقي، فهم طائفة لا يستغنى عنهم، يلجأ الناس إليهم لحلاقة الرأس — فأكثر الناس في ذلك الوقت كانوا يطلقون لحام ورون المار كل المار في حلاتها — كما يلتبس الناس عندهم الطب والعلاج وختان أطفالهم، وكان أكثر حلاق ذلك العصر يعمل (بالبركة)، فهو قد يخلق لكبير فيتقاضاه أجراً كبيراً، وقد يخلق لاطالب علم فلا يتقاضاه شيئاً. ونحن نذكر أياما لم يكن فيها للحلاق أجر معلوم، بل كان يأخذ شاكراً كل ما يقدم إليه من أجر كثيراً كان أم قليلاً.

وقد كتب منقح الكتاب الشيخ محمد سعيد القاسمي عن (الحلاق) في القاموس الذي وضعه عن الصناعات الشامية^(٢)، ولا غرو فقد كان جدّه — هو الآخر — حلاقاً. ولكنه كتب عن الحلاق والحلاقة في أواخر القرن التاسع عشر حين أقبلى

(١) يبدو أنه كان لكل حرفة ولكل طائفة نقيب، ثم كان لهؤلاء النقباء نقيب عليهم، فقد ذكر البديري وفاة «نقيب انقباء على الحرف والصناعات والدارق».

(٢) بدائع النرف في الصناعات والحرف. مخطوط مكتبة أسرة القاسمي مر ٦٧.

الحلافون على « تحسين الدكاكين ووضع الرايا الكبار والقطع الجميلة والتصاوير والقايات المئنة (أى الثينة) ، وغير ذلك من آلات التحسين والعدة البديعة من الأمواس الطيبة والمقصات من الأجناس العالية والغالية » ، وأصبحوا « مرفهين في ملابسهم وهينهم مع نظافة المحل والبشكير واستعمال الروائح الفاخرة بحيث لو مرّ الشخص على إحدى دكاكينهم لاشتبه أن يخلق ولو كان حالقاً ... » . ومضى القاسمى يصف عمل فريق آخر من الحلاقين ، ممن « يعلق عدته في جدار حائط » ويخلق للفلاحين والفقراء ، ووصف حلاقهم « بالذباحة » من « كثرة الشروخ » التى يصيرون بها رأس زبون بموسى قد علاه الصدا فأصبح « كالنشار » !

ولكن القاسمى أغفل ناحية هامة من حياة الحلاقين فى ذلك الوقت ، وهى أنهم — بما عرف عنهم من اختلاطهم بالناس من مختلف الطبقات والطوائف ومن إقبالهم على التحدث مع زبائنهم — والحديث ذو شجون — كانوا يسمعون كثيراً وروون كثيراً ، فكانوا — فى وقت انعدمت فيه وسائل رواية الأخبار من صحف أو إذاعة ... الخ خير رواة للأخبار .

قلنا إن البديرى لم يتحدث كثيراً عن نفسه وعن أسرته ، فلم نعرف إلا النزر اليسير الذى ذكره عن نفسه فى ثنايا كتابه ، قال إنه ولد فى محلة القبيات ، وكانت بمثابة ضاحية لدمشق ، تقع إلى الجنوب الغربى منها فى طريق الحج^(١) . وكانت محلة عامرة بالأضرحة والمساجد ، ومن قبائها اتخذت اسمها . فنشأ البديرى فى بيئة متدينة . نشأ مبعجلاً للمعلم والعلماء ، والتصوفة وأرباب الكرامات ، وأخذ هو نفسه العهد وسار فى الطريق .

ولم يذكر البديرى شيئاً عن أبيه ، واكبر الظن أنه كان حلاقاً مثله ، فنشأ ابنه على احتراف مهنته ، وربما أورثه أدواته ودكانه ، وسكان الارث الوحيد الذى خلفه له . وبعد وفاة والده انتقل البديرى والأسرة إلى محلة أخرى ، هى محلة التعديل ، أى من خارج المدينة إلى قلبها . ويبدو أن والده توفى قبل أن يشرع هو فى تدوين « حوادث دمشق اليومية » لأنه لم يشر إلى وفاته ، كما فعل عند وفاة أمه .

ويبدو أن أمه كانت قوية الأثر فى تكوينه الروحى والثقافى ، ذكرها بالخير فى مناسبة موتها سنة ١١٥٥ — أى فى العام التالى لشروعه فى تدوين (الحوادث) —

(١) انظر الخريطةين اللتين أوردناهما فى آخر الكتاب . والتجديدات لم تعد معروفة اليوم .

« كانت من القاتات العابدات تصلى نوافل الليل ولها أوراد »^(١) . ونحن نعرف أن البديري كانت له — هو الآخر — أوراد وأدعية وتسايح .

ولم يتحدث البديري عن أحد من أفراد أسرته : إلا بنتاً له — أو جارية على حدّ تمييزه ، رزق بها في سنة ١١٥٥ ، قبل وفاة أمه بيضعة أشهر ، وتفاءل بمولدها ، إذ كان وأهله في ضيق ، فلماها صالحة « لعل بقدمها يحصل لنا الفتح والفاحة » . جعلها الله تعالى فالحة^(٢) . وفي موضع آخر ذكر ابنه له هومضطفي ، ويبدو أنه كان يعمل على تنشئته نشأة دينية كما نشأ هو نفسه ، فكان يصطحبه لزيارة الأضرحة ، ويجعله يتلو كلام الله معه وهما في الطريق^(٣) .

وقد ولد البديري في أسرة متوسطة رقيقة الحال وإن كانت لا تميل إلى الفقر . كان لهم منزل في محلة القييات ، حيث مسقط رأسه وأيام طفولته ، فلما تحولوا إلى محلة التعديل عقب وفاة أبيه اشتروا لهم منزلاً جديداً ، فأصبحوا في « ضيق » ، حتى إذا ولدت له بنت دعا ربه أن يجعل بقدمها « الفتح والفاحة » . ولما نعرف هل استجاب الله لدعائه ، ولكننا نعرف أنه ظل طوال السنوات التي دون حوادثها يشكو شدة الغلاء وارتفاع أسعار المواد الغذائية من خبز وكعك وعسل ولحم وسمن وجبن ، ومواد الوقود من فحم وحطب ، فكان يسجل أثمانها مرة أو أكثر من مرة في كل عام ، حتى ثمن الملق ، وهو شيء له أهميته عند حلاق تلك الأيام . وكان ارتفاع أسعار الحاجيات أو خفضها عند البديري — بل عند الناس كافة — مقياساً لعدالة الحكم أو فساد ، ذلك لأنه ردة الغلاء إلى جشع الحكّامين وتكالبهم على تخزين المؤن وإهمال القاضى التفتيش على الأسواق وإنقاص الحكومة قيمة العملة . وقد حرص على تسجيل (المظاهرات) التي كان يقوم بها العامة في دمشق للشكوى من الغلاء ، حتى لقد كانوا يواجهون الباشا ويفلظون له القول ويتصدّون للأعيان والعلماء بالسب والإهانة ويتهمونهم بأنهم يميزون الحكام على الشعب ، بل لقد هجموا على القاضى وضربوا رجاله واضطروه إلى الهرب فوق أسطح المنازل .

قلنا إن البديري نشأ في بيئة متدينة ، هي محلة القييات ، وفي بيت تتلى فيه

(١) انظر ص ٣٠ من هذا الكتاب . وقد أسهب البديري — في النسخة الأصلية من الكتاب — في الحديث عن أمه وأورادها ، ولكن منقح الكتاب حذف هذا الإسهاب .

(٢) ص ١٨

(٣) ص ١٦٨

الأوراد ، وهكذا نهل البدرى من تلك الثقافة الصوفية التى كانت شائعة فى أيامه ، حتى إذا صرب فى الشباب انتهى إلى إحدى الطرق الصوفية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت فى البلاد العربية جميعاً وهى الطريقة السمدية^(١) . فقد كتب كثيراً باحترام وتوقير عن شيخ هذه الطريقة « شيخنا » الشيخ إبراهيم الجباوى ، وعما كان يتمتع به من مكانة فى المجتمع الدمشقى حاكمين ومحكومين ، بل فى بلاط السلطان نفسه ، وكثيراً ما توسط فى النزاعات التى كانت تجرى بين طوائف المسكر^(٢) .

وبلغ من تعلق البدرى بهذه الطريقة الصوفية أنه أصبح للأسرة الجباوية . ولكنه لم يذكر كنه هذا الصهر .

وللبدرى — شأن أرباب الطرق جميعاً — أوراد وتسايح ، أخذ بعضها من أمه ، وأخذ بعضها الآخر عن شيوخه . وقد سجل البدرى كثيراً من هذه الأوراد فى كتابه ، ثم جاء النقع الشيخ محمد سعيد القاسمى فرأى — ساعه الله — أنها بما « يعل سامعها ويسأم قارؤها » خذفها^(٣) ، فاخفت من نسخ الكتاب كما وصلت إلينا ، ولم يبق منها إلا دعاء واحد أخذ البدرى عن شيخ قراء الشام « وخاصيته لهجوم المخاوف فى السفر والحضر »^(٤)

وقد ذكر البدرى طائفة من الشيوخ الذين عرفهم وأخذ عنهم ، وقال إنهم شيوخه وأساتذته ، فنوه بذكرهم وأشاد بفضلهم ، ولا يستبعد أن يكون البدرى قد اغتم شيئاً من الفراغ فتردد على حلقات العلم فى مسجد بى أمية وغيره من المساجد وتلقوا عنهم شيئاً من علم ذلك الوقت ، فنحن نعرف أن الصلة كانت قوية بين طوائف العلماء والتصوفة ، وغداً أكثر علماء ذلك العصر مجمعون بين العلم والتصوف ، بل إن منهم من أضاف إلى هذا وذاك حرفة يحترفها من صناعة أو تجارة ، لأنه يرى طلب الرزق من هذا السبيل أجدى عليه وأكرم من رزق (الوظيفة) ، ومنهم من بدأ حياته صانعاً ثم تحول هو أو أبناؤه أو أحفاده إلى طلب العلم .

وقد جعلت هذه التربة الدينية الصوفية من البدرى رجلاً متديناً حريصاً على أحكام الدين ، غيوراً على مكارم الأخلاق ، مبجلًا للعلماء وأب السكرامات ، فلا كتابه بقدر

(١) انظر عنها فى الكتاب ص ٩١ (حاشية ١)

(٢) ص ١١٧

(٣) ص ٣

(٤) ص ٥٢ — ٥٣

المجتمع الدمشقي على عهده لما شاع فيه من فساد . ويبدو أن اكتظاظ المدينة بمختلف طوائف المسكر وانتقالات النظام بينهم ، قد أشاع في المدينة جوًّا من الفساد الخلقي ، فكثر بها « بنات الخطا » وتبرجن وجاهرن بالمصيبة في الشوارع « ومعهم الدلاية والفساق ولا أحد يتكلم بقليل وقال ، ولا أمر معروف ولا نهى عن المسكر ، والصالح في هم وكرب والفاجر الطالح يتقلب في لذينة النعم . اللهم فرج آمين »^(١) ، حتى إن فتاة منهم تدعى سلمون « افتتن بها غالب النساء ، حتى صاروا ينسبون إليها كل شيء » ، فيقولون : هذا المتاع سلموني وهذا الثوب سلموني وهكذا » ، وأصدر المفتي فتوى بقتلها فقتلت ، وأصدر الباشا أمرا بأن كل من وجد بنتا من بنات الخطا فليقتلها ودمها مهدور^(٢) .

بل لقد تجرأن ، فأقامت إحداهن مولداً احتفالاً بشفاء غلام من التترك عشقته ودعت « شلكات البلد وهن اللومسات ، ومشين في أسواق الشام وهن حاملات الشموع والقناديل والباخر ، وهن ينفين ويصفقن بالكفوف ويدققن بالدفوف ، والناس وقوف صفوف تفرج عليهن وهن مكشوفات الوجوه سادلات الشعور ، وما تمناكر لهذا المنكر ، والصالحون يرفعون أصواتهم ويقولون الله أكبر »^(٣) . وخطب الباشا في ذلك ، وعرض عليه أن ينفين أو يجمعن في مكان ، ولكنه أبى ، خشية أن يدعون عليه في الليل والنهار^(٤) ! ثم فضل الباشا أن يرتب على كل واحدة منهم عشرة قروش في الشهر ، وجعل عليهن صوباشياً أي جندياً^(٥) .

هذا الجو الذي بالفساد كان مما ضاق به البديري أشد الضيق ، وكثيراً ما رفع يديه شاكياً ، ناعياً على الحكام إهمالهم . كما دفعته روح الدين إلى الغيرة على السادات والأشراف ، وكثيراً ما كانوا هدفاً لعدوان العسكر ، فكانوا يردون العدوان بمثله ، وكثيراً ما ذهب دمهم هدراً ، ويصرخ البديري : فانظروا يا مسلمين إلى هذا الإنصاف (يقصد عدم الإنصاف) ، وقولوا يا خنى الألفاظ نجنا مما نخاف^(٦) . ودفعته تربيته الصوفية إلى الإيمان بالسكرامات والتوحيه بأصحابها^(٧) .

(١) من ٩٢—٩٣

(٢) ٥٧ .

(٣) من ١١٢

(٤) من ١٢٧—١٢٨

(٥) من ١٣٤

(٦) من ٣٢ ، من ١٢٢ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٦٥ ، ١٨٣

(٧) من ١١٢ .

والبدري — إلى جانب ثقافته الدينية الصوفية — أديب رقيق الشموخ ، عرفه أدباء عصره ، وعلى رأسهم شاعر الشام وأديبها الكبير في القرن الثاني عشر الشيخ عبد الرحمن البهلول ، تلميذ الصوفي الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي وصفه ومادحه في قصيدة طويلة ، حتى دعاه النابلسي (شيخ الأدب في الشام)^(١) . وقد نقل لنا البديري في كتابه طائفة من شعر البهلول ، وذكر نبأ وفاته في سنة ١١٦٣ (٢) .

والبدري نفسه كان شاعرا ، وكان شاعرا شعبيا ، نظم المواليا في أغراض مختلفة ، منها ما نظمته « في حق من أظهر الكذب والأراجيف » من أهل الشام في سنة ١١٥٤ . وتساءل « هم الملاعين صاروا يعلموا بالغيب »^(٣) . ومنها ما نظمته عندما حارب أسعد باشا العظم جند الانكشارية المحلية وتبع رؤوسهم (الزرباوات) أى الأشقياء بالقتل والتشريد ، فتشفي فيهم البديري وتساءل : أين « الزلاقة » التي كانوا يتباهون ويتظاهرون بها « ديك الزلاقة مضت يا حيفها يا حيف »^(٤) ، ومنها ما نظمته عندما فتك أسعد باشا العظم بفتحى أفندى دفتري الشام « بعد أن طالت دولته وعظمت عليه من الله نعمته .. وهو يتجاهر بالمظالم ولا يبالي من دعوة مظلوم » ، فنظم اليه مواليا مطلعها :

ياما فعل فتحتى لما صار دفتردار . . . غره زمانه وسعده حول دازه دار^(٥)
ونظم البديري المواليا في المناسبات الخاصة ، خرج يوما في نزهة (أوسيران في تعبير أهل الشام) إلى ناحية تطل على المرجة ، وقضى يومه في سرور وانبساط ، حتى جادت قريحته بموال وصف فيه يومه :
مضى لنا يوم مثله ما سبق يا خال . . . في مرجة الشام ما تشوفون موضع خال^(٦)

* * *

ولكن كتاب « حوادث دمشق اليومية » ليس للبديري وحده ، فالبدري قد جمع مادة الكتاب وكتبها بأسلوبه الذي تشيع فيه العامية ، ثم ظل الكتاب محفوظاً ، حتى وقع لأحد العلماء الدمشقيين في القرن التاسع عشر ، وأعجب به ، فأقبل عليه وهو الشيخ محمد سعيد القاسمي .

-
- (١) ص ٦
(٢) ص ١٣٩
(٣) ص ١٢ — ١٥
(٤) ص ٧٠ — ٧١
(٥) ص ٧٩
(٦) ص ١٤٠

ويتناقل أحفاد القاسمي اليوم روايات مختلفة^(١) عن الطريقة التي وصل بها كتاب البديري إلى يد جدِّهم الشيخ محمد سعيد . قيل إن الشيخ أراد يوماً أن يبتاع شيئاً من عطار ، فوضع له العطار ما باءه في ورقة مكتوبة ، ودعا عاد الشيخ إلى بيته فتح الورقة وقرأ ما فيها -- وكان الشيخ طليعة يتعشق القراءة -- فأدرك أنها جزء من مخطوط تاريخي ، فعاد فوراً إلى العطار واستطاع أن يحصل منه على جميع الأوراق الباقية عنده من الكراسة ، حتى اجتمع له مخطوط البديري «حوادث دمشق اليومية» .

ولكن أعضاء آخرين من الأسرة يروون رواية أخرى ترجح الرواية الأولى قالوا^(٢) إن مخطوط البديري كان محفوظاً في مكتبة الشيخ محمد النير أحد علماء دمشق في القرن الماضي ، وكانت له مكتبة قيمة حافلة بالكتب المخطوطة والمطبوعة . وبعد وفاة صاحبها -- في أواخر القرن التاسع عشر -- عرضها ولده للبيع ، وكانت العادة حينذاك أنه حينما يبيع مكتبة ما أن تعرض في الجامع الأموي ، وعرضت مكتبة الشيخ وحضر جمع غفير من العلماء وهواة الكتب وتجارها ، وكان ممن حضر الشيخ طاهر الجزائري وصديقه الشيخ محمد سعيد القاسمي وولده جمال الدين .

فلما عرضت الكتب كان «حوادث دمشق اليومية» من بينها ، فلم يكتف به أحد ، فعرض ثمن بخس ، ولكن لما اطلع عليه الشيخ طاهر عرف أهميته ، فتمز على شرائه . ولاحظ أحد الحاضرين المضاربين اهتمام الشيخ بالكتاب فزاد عليه ، والشيخ مصمم على شرائه إلى أن زاد ثمنه من عشرة قروش إلى ثلاثمائة قرش ، وهذا مبلغ له قدره في تلك الأيام . فقال أحد الحاضرين النصفين لمن بالغ في زيادة الثمن للمضاربة : هذه زيادة ضرر ! لأن الشيخ طاهر لا بد له من شراء الكتاب مهما بلغ ثمنه . وكانت للشيخ مكانة بين الناس ، فتركوا له الكتاب ، وكان رحمه الله شديد الحرص على اقتناء الكتب النادرة والحفاظ عليها .

ثم استعار الكتاب الشيخ محمد سعيد القاسمي من صديقه الشيخ طاهر الجزائري وقرأه ، فأعجب به ، إذ رآه قد اشتمل على صور من حياة دمشق عتيق عليها الزمان .

(١) نقل لي هذه الروايات المديق الأستاذ أبو الفرج المش عافظ التحف الوطني بدمشق نقلاً عن بعض أفراد أسرة القاسمي بدمشق .

(٢) صاحب هذه الرواية هو السيد محمد سعيد القاسمي القيم الآن على المكتبة القاسمية الموقوفة على الأسرة ، وقد اعتمد في روايته على الشيخ حامد التي تهذيب الشيخ محمد سعيد القاسمي وملازم ولده جمال الدين ونسب الأسرة أيضاً .

ويبلغ من إعجاب الشيخ محمد سعيد القاسمي بكتاب البديري أنه حرص على أن تكون لديه منه نسخة خاصة ، حتى يتوفر على درسها في زوية وإمعان ، فاستاذن الشيخ طاهر الجزايري في نسخ الكتاب فأذن له ، ففعل وأعاد النسخة الأصلية إلى الشيخ طاهر ، فبقيت في مكتبته حتى تشتت المكتبة ، ولم يعلم مصيرها^(١) . وقيل إن الشيخ طاهر في آخر أيامه اضطر إلى بيع كثير من كتبه لحاجته إلى المال .

وهكذا اختفت النسخة الأصلية من (حوادث دمشق اليومية) ، وكان آخر العهد بهذه النسخة حين أطلع عليها الرحوم الأستاذ محمد كرد علي صاحب (خطط الشام) وذكرها في قائمة المراجع التي استمد منها مادة خطته^(٢) ، وقال إنها مودعة في مكتبة الشيخ طاهر الجزايري . فإذا كان هذا حقاً يكون الأستاذ كرد علي قد اطلع على النسخة الأصلية من (حوادث دمشق اليومية) قبل تنقيحها .

وعكف الشيخ محمد سعيد القاسمي على درس مخطوطة البديري ، ورأى أن يجعلها أقرب إلى التناول ، فتناول أسلوبها بالتهذيب والتنقيح ، بل إنه تناول بعض مادة الكتاب بالحذف والاختصار . وحمل له عنواناً جديداً هو « تنقيح الشيخ محمد سعيد القاسمي لحوادث دمشق اليومية » وحفظه في مكتبته ، فبقى فيها حتى اليوم ، وهي مكتبة خاصة موقوفة على أعضاء أسرة القاسمي بدمشق ، ويبدو أن القاسمي تحدث عن الكتاب ، فأقبل النساخ ينسخونه ، فكانت من ذلك النسختان المودعتان بالمكتبة الظاهرية بدمشق والنسخة للمودعة بمكتبة أحمد تيمور باشا بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، على خلاف بسيط بينها ، مرجعه إلى النساخ أنفسهم . وعلى هذه النسخ كان اعتمادنا في نشر هذا الكتاب

* * *

وبقدر ما كان أحمد البديري صاحب (حوادث دمشق اليومية) مغموراً ، مصى لم يخفل به أحد ، ولم يدون سيرته مؤلف ، كان الشيخ محمد سعيد القاسمي منقح هذه (الحوادث) معروفاً بين الناس ، وترجم له أكثر من مؤلف^(٣) .

(١) لم تفلح الجهود التي بذناها وبذلها آخرون للمثور على النسخة الأصلية من مؤلف البديري قبل أن يتناولها المنقح بالتهذيب .

(٢) خطط الشام ج ١ ص ١٤

(٣) رجعنا في ترجمة الشيخ محمد سعيد القاسمي إلى المراجع الآتية :

(١) مخطوط محفوظ بالمكتبة القاسمية كنية ولده المفسر الكبير الشيخ جلال الدين القاسمي .
 بعنوان : « بيت الفصيد في ترجمة الإمام الوالد الحميد » . وقد ضمنه إلى جانب الترجمة =

هو أحد علماء دمشق وأدبائها المروفين في القرن التاسع عشر، ولد في دمشق في أسرة معروفة اشتهل أفرادها بالعلم، وإن كان جدّهم الأول كان يعمل حلاقاً — كما هو مذکور في نسبه — ثم تحول أو تحول أبناؤه إلى طلب العلم. وربما كان هذا الجدّ معاصراً للبديري، وقد يكون هذا بما لفت الشيخ محمد سعيد القاسمي إلى هذا المخطوط الذي كتبه أحد الحلاقين الدمشقيين في القرن اثنامن عشر، فاحتفل به وأقبل على قراءته ونسخه، وأقدم على تنقيحه وتهذيبه.

وُلد الشيخ محمد سعيد القاسمي في دمشق في أوائل الحرم ١٢٥٩ (فبراير ١٨٤٣)^(١)، وتوفي بها فجأة في ٢٢ شوال ١٣١٧ (فبراير ١٩٠٠). وكان أبوه الشيخ قاسم من كبار علماء عصره، وصفه حفيده الشيخ محمد جمال الدين القاسمي بأنه «عمدة العلماء الأعلام، وقودة أكابر نصحاء الشام الطائرين صيت فضله في الآفاق»، وكان إماماً بجامع السانية — أحد الجوامع الكبيرة بدمشق — وكان يلقى به دروساً.

تلقى محمد سعيد التعليم الشائع في عصره، دفعه أبوه إلى بعض الحفاظ البارعين حفظ القرآن الكريم، ثم أقبل على دروس أبيه «في الفنون العربية والمعلوم الشرعية» ولازمه حتى أصبح يعيدله دروسه في السانية «بين العاشئين»، كما أخذ العلم عن شيوخ دمشق للمروفين في عصره. ثم خلف أبيه في إمامة الناس في السانية وإلقاء الدروس بها، كما قصده كثير من الطلبة لتلقى العربية عنه في داره.

== القضاة المشربة التي كتبها الشيخ محمد سعيد، فجاء أشبهه بديوانه، حتى إن ولده الشيخ جمال الدين كان قد أسماه أولاً «بيت التصديق ديوان الإمام الوالد السعيد»، ثم استبدل بكلمة «ديوان» بكلمة «ترجمة».

وقد فضل السيدان طاهر القاسمي ومحمد سعيد القاسمي — مشكورين — بإطلاع الصديق الأستاذ أبو الفرج المصطفى على هذه الترجمة المخطوطة وأذنا له بأن ينقل لي وجزا لها.

(٢) كتاب «تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر الهجري ١٣٠١ — ١٢٥٠ هـ»، وهو ذيل لكتاب «روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر» تأليف الشيخ محمد جميل الشافعي (دمشق ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) ص ٨١ — ٨٢.

(٣) كتاب «منتخبات التواريخ لدمشق» تأليف الشيخ محمد أدب تقي الدين الحصري في ثلاثة أجزاء دمشق ١٩٢٧ — ١٩٣٤. انظر الجزء الثاني ص ٧٢٢.

(٤) كتاب «حياة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» وهو مخطوطة في ثلاثة أجزاء بمكتبة المجمع العلمي المرز بدمشق تأليف الشيخ عبد الرزاق بن حسن البيطار. وقد علمنا أن الأستاذ الشيخ بهجة البيطار عضو هذا المجمع عازم على نشره.

(١) ذكر تقي الدين الحصري (٧١٢/٢) أن القاسمي ولد في سنة ١٢٥٨.

وكان الشيخ سعيد القاسمي شديد الإقبال على القراءة في علوم وفنون مختلفة، كالنقد والحديث واللغة والأدب، قوى الحافظة حتى قيل إنه طالع «تذكرة داود» في الطب، حفظ كلماتها ومهمات مفرداتها كأنه نشأ في مدرسة طبية^(١)، ومال إلى الأدب وقرض الشعر من جد وهزل، وكان له شغف بالموسيقى^(٢) وعرف بمحسن الصوت وحلاوة الحديث وابتكار النوارد، حتى كان الأدباء يسمعون إلى مجلسه. وقد قام بعدة رحلات منها زيارته القدس الشريف وأداؤه فريضة الحج.

وقد خلف — فضلا عن شعره — طائفة من المؤلفات، وكلها لا تزال مخطوطة بمكتبة الأسرة القاسمية منها:

١ — ترجمته لوالده الشيخ قاسم بعنوان: «النثر الباسم في ترجمة العلامة الشيخ قاسم».

٢ — قاموس في الصناعات الشامية عنوانه: «بدائع الفسرف في الصناعات والحرف»، تتكلم فيه على الصناعات الشائعة في دمشق مرتبة على أحرف الهجاء، ولكنه لم يتم منها إلا إلى حرف السين، ثم تدارك ابنه الشيخ جمال الدين بعض ما فاتته منها وأكملها لآخره^(٣).

٣ — كتاب «سفينة الفرج فيما هب ودب» ودرج على نمط الكشكول، جمع فيه طائفة من «الفوائد والفرائد»، وكتب على ظهره منها بقائعه وشغفه بالمطالعة:

إذا لم أجد لي في الزمان مؤانسا جعلت كتابي مؤنسي وجليسي
وأغلفت بابي دون من كان ذا غنى وأملت من مال القناعة كيبي

٤ — كتاب «تنقيح حوادث دمشق اليومية» للشيخ أحمد البديري الحلاق الدمشقي، وهو هذا الكتاب الذي نشره اليوم.

(١) لاحظ اهتمام الشيخ سعيد القاسمي بالطب والطبيب، وهو مما كان يقوم به الحلاقون.

(٢) ذكر حفيده الأستاذ ظافر القاسمي الخاني بدمشق أن جده كان جميل الصوت بارعا في الموسيقى والإيقاع. ومن طرفه في هذا الباب أنه ألف قصيدة رقيقة ضمن كل بيت منها اسم نوع من الأنغام الشرقية، فأثنى شيخ الموسيقيين في ذلك العصر أبو خليل القبانى ولحن القصيدة وأعطى كل بيت منها مطابقا له هو مذكور فيه نجاحات القصيدة آية ذلك العصر.

(٣) لم أطالع إلا على فقرات من هذا الكتاب بفضل بذلها لي الاخ الأستاذ أبو الفرج العشي. وقد لاحظ أن الشيخ جمال الدين في الأجزاء من الكتاب التي كتبها بنفسه أقوى من أبيه أسلوبا وأصح لغة، وقد ذكر لي عزم المعهد الإنترنسي للأثار الشرقية ببيروت على نشر هذا الكتاب.

• قد أقبل الشيخ سعيد القاسمي على تنقيح الجوادث وتهذيبها في أواخر أيام
 ، ثم بهذا العمل جهوده العلمية والأدبية، فقد فرغ منه في ٢٤ رمضان ١٣١٧
 (١٩) كما ذكر في خاتمة الكتاب ، وبعد أقل من شهر مات فجأة (في ٣٢
 ١٩٠٠).

وقد خلف الشيخ سعيد القاسمي بضعة أبناء^(١) ضربوا جميعا في الحياة العلمية
 والعامية بسهم ، فابنه المفسر المعروف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، اعتبر مجتهد
 عصره ، إذ كان جريئا في عرض آرائه، حتى أدت به هذه الجرأة إلى اتهامه ومحاكمته
 (سنة ١٣١٣ = ١٨٩٥) ، وقد سميت حادثته يومئذ محادثة المجتهدين . وقد انكب
 على التأليف حتى ترك ما ينوف على المائة من التصانيف والمؤلفات، أهمها تفسيره الذي
 ينشر الآن في القاهرة .

وكان جمال الدين شديد الوفاء لأبيه ، حتى كتب ترجمة لحياته أشاد فيها به حتى
 رفعه إلى السالكين . وقد توفي سنة ١٣٢٢ (١٩١٣) .

ومن أبناء القاسمي الطبيب الأديب السياسي يوسف صلاح الدين ، الذي أسهم
 في حركات التحرر ضد الحكم العثماني ، وكان من أوائل الكتاب العرب الذين
 نبهوا للخطر الصهيوني . وقد توفي سنة ١٣٣٤ (١٩١٥) .

* * *

وقع مخطوط البديري للشيخ محمد سعيد القاسمي ، فأعجب به - كما قلنا -
 فاستنسخه ، وعكف على دراسته، إذ رآه قد اشتمل «على غرائب وعجائب وأهوال» ،
 ولا عجب فقد تضر وجه الحياة في دمشق كثيرا عما كان عليه أيام البديري، وقد انقضى
 عليها قرن من الزمان : انتهى عصر الباشوات ، وحل محله حكم الولاة المرتبطين
 بالحكومة المركزية في استامبول بأقوى رباط، انتهى عهد الحكومة الموزعة السلطان
 والعصيات وزعماء الأحياء والحارات ورؤساء الأجناد وطوائف الحرف ، وحل
 محلها الحكومة الواحدة القوية السلطان والفرق العسكرية المنظمة . الإدارات
 والمجالس والمحاكم وهكذا .

وعزم القاسمي على أن يشرك في الإفادة من الكتاب مواطنيه ، حتى يحلواهم صفحة
 من تاريخ مدينتهم في القرن الثامن عشر ، ولكنه رأى أن يجعله سهل التناول لهم ، رآه

(١) أأادنا بهذه المعلومات الأستاذ ظافر القاسمي المحامي بدمشق ونجل الشيخ محمد جمال
 الدين القاسمي .

مكتوبا « بلسان عامي » مشحونا « بزيادات كلمات وأدعية مسجمة تمل سامعها ويسأم قارئها » ، فأقبل القاسمي على تنقيح الكتاب ، وذلك أنه - كما قال - « حذف القشر من هذه الحوادث ووضع الباب وهدنها على قدر الاستطاعة بالصواب » ، أي أنه صوّب لغتها واختصر مادتها محتفظا منها باللباب .

لهذا يختلط علينا الأمر إذا حاولنا أن نميز بين أسلوب المؤلف وأسلوب المنقح ، فالواقع إن المنقح أقحم نفسه على الكتاب ، وأعمل فيه قلمه بالحذف والتعديل والاختصار ، حتى إنه بدأ الكتاب بقوله : « قال البديري رحمه الله ما معناه » ، مما يوحي بأن المنقح لم يقنع بتعديل الأسلوب وإنما احتفظ (بالمعنى) للمؤلف ، وساق هذا المعنى في أسلوبه هو . وهو يدعو البديري تارة بالمؤرخ^(١) وتارة بصاحب الأصل^(٢) ، ويدعونه أحيانا بمهذب هذا التاريخ ومحرر هذه الورقات^(٣) . وقد حاول القاسمي أن يرتفع بأسلوب المؤلف ، فترونق في بعض العبارات وتأنق ، وساقها مسجمة ، ولكن أسلوب الكتاب - حتى بعد أن أجرى فيه المنقح قلمه بالتصويب والتهذيب - لا تزال تفسو فيه الأغلاط النحوية ، واعترف هو ضمنا بشيء من ذلك حين قال إنه هذب الكتاب « على حسب الاستطاعة بالصواب » ، والحق أن أسلوب القاسمي في كتبه الأخرى - وقد اطلعنا على بعض ما كتبه في « بدائع العرف في الصناعات والحرف » وإن كان أصح أسلوبا من « حوادث دمشق اليومية » إلا أنه لا يخلو من الأخطاء النحوية .

على أن ثمة بعض عبارات نكاد نجزم بانها من قلم القاسمي مهذب الكتاب ، إذ هي من تعبيرات القرن التاسع عشر وتمشى مع مفهوم الناس في ذلك الوقت : كإطلاق اسم (إسلامبول) على عاصمة الدولة والدعوة للسلطان وللدولة العلية بالعز والتأييد . . إلخ .

* * *

وكتاب البديري - حوادث دمشق اليومية - يصوّر الحياة في دمشق خلال إحدى وعشرين سنة من أواسط القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) (١١٥٤ - ١١٧٥ = ١٧٤١ - ١٧٦٢) . وقد كاد المؤلف أن يقصر اهتمامه

(١) ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ وغيرهما .

(٢) ص ٧٩

(٣) ص ٧٦

على تدوين ما يجرى في دمشق وحدها : من تولى الباشوات وكبار أصحاب المناصب وعزلهم ومصادرة أموالهم كاللسم والدفتردار والقاضى والمفتى وأغوات العسكر ، وأبناء الحاج في طلوعه وعودته وما جرى له في الطريق ، وقن الأجناد ، ونهوض الأسعار واضطراب الأمن ، وفساد الأخلاق وانتشار الأمراض وغزو الجراد ووفاة عالم أو متصوف أو تقيب حرفة وحدث ظواهر طبيعية من ريح شديد وكسوف وخوف وزلازل .

على أن المؤلف سجل أيضا بعض ما كان يصل إلى علمه من أحداث تجرى في دمشق أو قريب منها ، كحروب الباشا ضد الدروز أو المتأولة أو بعض عشائر البدو أو ظاهر العمر شيخ طبرية ، أو ما يتسامع به الناس عن فتنة في بغداد أو حرب بين الدولة وفارس أو بين أشراف الحجاز . الخ .

والكتاب يصور لنا دمشق كحاضرة إسلامية ، تكون وحدة سياسية وإدارية واقتصادية قائمة بنفسها ، زاخرة بالحركة والنشاط ، فلها أدوات الحكم الخاصة بها ، ولها قلعتها وسورها ، ولها أجنادها ، ولها علماءؤها ومتصوفوها ومساجدها ، وأحيائها وحاراتها ، وطوائف حرفها ، ففيها كل العناصر التي كونت منها حاضرة ، تستطيع — في السنوات العادية — أن تكفي نفسها بمواردها الخاصة

* * *

وقد قام المجتمع الدمشقي — على عهد البديري — (وينطبق هذا على العهد العثماني الأول أى منذ الفتح العثماني في أوائل القرن السادس عشر إلى قيام الحكم المصري في سنة ١٨٣١) قام المجتمع في دمشق — وفي غير دمشق من الولايات العربية — على وجود هيئتين كبيرتين منفصلتين إحداهما عن الأخرى : هيئة الحاكمين وهيئة المحكومين .

وقد حاولت الدولة منذ اصطغت — أو أقرت — هذا النظام أن تجعل الخط بين هاتين الهيئتين حاداً ، فالهيئة الأولى من العسكر ، يحملون لواء الجهاد والدفاع عن الإسلام ، وبصرف النظر عن الأصول التي استمدت منها الدولة رجال هذه الهيئة قامت الدولة على إعدادهم للاضطلاع بالمهمة الكبرى التي تنتظرهم ، فجعلت منهم أداة حرب ثم كانوا في الوقت نفسه أداة حكم معاً ، والفصل بين الأداتين كان غير معروف وغير مفهوم ، واستمر ذلك حتى القرن التاسع عشر حين بدأت الدولة تصطنع للحكم والإدارة في المركز والولايات أدوات أعدت خصيصاً لهذه الغاية ، عندئذ نشأ الانفصال بين أداة الحرب وأداة الحكم .

وقد ترتب على ذلك أن أضعفت علم هذه الهيئة — هيئة العسكر — امتيازات جعلت من أفرادها طبقة ممتازة في المجتمع الذي يعيشون فيه .

أما الهيئة الأخرى — المحكومون — فهم « الرعية » من أهل الريف والمدن ، وتركت لهم الحرية في أن ينظموا أنفسهم في طوائف يعارسون في ظلها قدرا كبيرا من حرية التصرف ، ويحسون في ظلها بتقدير كبير من الأمن والحماية ، ولكن الدولة رسمت لهم حدودهم التي يتصرفون في نطاقها ، على أن لا يتعدوها إلى خارجها ، وفرضت عليهم الدولة مهمة إعاشة الهيئة الحاكمة والخضوع لها .

وكان لا بد أن يقوم هناك (جسر) بين هاتين الهيئتين ، أو فئة ثالثة يرضى عنها الفريقان ، فاستطيع أن تقوم بدور الوسيط بينهما ، ووقع على عاتق العلماء وأرباب الطرق والمقاضي والفقهاء ونقيب الأشراف ، ومن إليهم ممن أطلق عليهم تجاوزا اسم رجال الدين — وقع على عاتقهم مهمة التوسط بين طبقة الحاكمين وطبقة المحكومين ، وكانت كل من الطبقتين تبجل رجال الدين وتسمى إليهم . وكان الشعب على الخصوص — يجد فيهم ملاذآ له يعتصم بهم من غضب العاصبين ، فكان يطلب إليهم — بل ويضطرم أحيانا — إلى تصدر الحركات الشعبية للثورة على مظالم الحكم ؟ فإذا أبوا أن يقوموا بهذا الدور صب عليهم الشعب جام غضبه ، وتاريخ الجبرتي لمصر والبيديري السورية حافل بأمثلة لما تقول (١)

ولكن الخط الفاصل بين الهيئتين أو الطبقتين لم يمد — بعد اختلال أمر العسكر وبيع المناصب — حاداً ، حقيقة ظل انفصال المجتمع إلى هئتين : حاكين ومحكومين ، ممتازين وغير ممتازين — قائماً . ولكن لم يعد من الممكن الفصل الحاد بين الهيئتين . حقا إن الهيئة الأولى ، هيئة الحاكمين . تمت إلى الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة على البلاد ، ولكن لا يشترط أن يكون أعضاؤها من الأتراك ، فقد يكونون من أهل البلاد أنفسهم رفعتهم ظروفهم إلى مصاف الحاكمين . فمن الولاة من كان ينتمى إلى بيوت عربية ، أو استمررت ، فأسرة العظم كانت — أو أصبحت — أسرة عربية أقاموا في معرة النعمان ، ثم دخلوا في سلك الجندية العثمانية ، ومنها إلى مناصب الحكم حتى منصب الولاية نفسه ، وكذلك يمكن القول عن الكتخدا والمسلم والدقردار .

(١) إلا أننا نلاحظ أن العلماء في مصر في العصر العثماني كانوا بفضل وجود الأزهر والنفائهم حوله شيوخا ومجاورين أقدر على التكيف من علماء دمشق وأقوى أثرأ في ترعهم الحركات الشعبية .

وهكذا . « فالتركية » إذن لم تكن الأساس الذى قامت عليه هيئة الحاكمين فى ذلك العصر . ذلك لأن من أبناء البلاد من مهدت له الظروف الخروج من نطاق هيئته ، هيئة المحكومين ، والتسلل إلى الهيئة الأخرى : الهيئة المتأززة ، هيئة الحاكمين ، وكان اختلال أمر العسكر والسماح بدخول أبناء البلاد فى سلك الجندية الباب الذى حدث منه هذا التسلل .

ولكن ما أن ينتقل أفراد من طبقة المحكومين إلى طبقة الحاكمين حتى يسطعوا عقليتها وأسايلها ويذهبوا فى التشبث بامتيازات الطبقة إلى أبعد مدى ، ومن هنا استمرت الفكرة السائدة عند الطبقة الحاكمة ، فسكرة الاستعلاء والسيطرة وعدم التخرج عن استغلال الرعية ، بل كان استعلاؤهم وسيطرتهم أشد وأعنف ، وكان لا بد أن يضى زمن طويل ، تجدد فيه عوامل أخرى على المجتمع حتى يمكن أن تقوم على هاتين الهيئتين هيئة واحدة ، فتحول الرعايا جميعا حاكمين ومحكومين إلى مواطنين . وسيكون هذا من قبل القرن التاسع عشر وما بعده .

ولكن هذا الاستعلاء وهذه السيطرة لم يقابلها كفاية فى الحكم . ومرد ذلك إلى ما قلناه من أن هذه الهيئة — فى الواقع — أعدت للحرب والجهاد ، ولم تنظم لتحمل مسئوليات الحكم وأعبائه . وظلت الصفة الحربية ملازمة لها ، أى ظلت أداة حرب ، أكثر منها أداة حكم . فالباشا هو قائد الجند ورجاله ضباط الأوجاقات ، وحكام الأقاليم من الصناجق ، والقاضى هو « قاضى العسكر » ، والوالى والمحاسب فى المدينة من رجال الجندية ، والأوجاقات يجمعون أموال الدواوين لأنهم يأخذون منها مرتباتهم ، والفكرة الرئيسية أن الأرض هى المصدر الأساسى لإعاشة الجند .. وهكذا . ولكن حين وقعت الحرب لم تستطع هذه الهيئة — وهى أداة حرب — أن تتحول إلى أداة حكم وإدارة ، فلبأت إلى البطش وأسايل القهر ، ولم يجدوا فى قوة الدولة ما يردعهم ويردئهم إلى حدودهم ، فقد تراخى الولاء للسلطين منذ اتعد السلطين عن الرعامة والقيادة ، وأصبحت المناصب تباع وتشترى^(١) . وفشا استخدام الرشا

(١) بدأ بيع المناصب فى عهد السلطان سليمان القانونى . وفى تقرير لأحمد قنصل البندقية فى أوائل القرن الثامن عشر أن الباشوات السورية كان كل منها يكاف صاحبها من ٨٠ إلى ٢٠٠ ألف دركة ومنصب الدفتردار من ٤٠ إلى ٥٠ ألفا ، وأقل من ذلك تقابل منصب القاضى . Lammens, La Syrie. II. P. 61. وطبيعى أن يوحى هذا النظام إلى أصحاب المناصب بالحرس على استقلال الرعية لجمع المال الذى دفعوه .

والهدايا ، ولجأ كل صاحب منصب إلى اسطناع قوة أو عصية خاصة له يستعين بها عن قوة الدولة . وانعكس هذا كله على الهيئة الأخرى ، الحكوميين ، إذا وحي نظام شراء المناصب إلى أصحابها أن لهم الحق في أن يفاوضوا أنفسهم عما دفعوه ممن يقع تحت سلطنتهم أو يدخل في دائرة نفوذهم من الحكوميين ، وخاصة أن نظام التوجيهات السنوية للمناصب يجعل أصحابها عرضة لل عزل أو النقل أو الصادرة في أى لحظة ، حتى جرت الأموال التي كان أصحاب المناصب يأخذونها من الناس مجرى العرف أو القانون .

على أنه مما كان يخفف من بطش الهيئة الحاكمة أن الحكم العثماني وخاصة في الولايات العربية ، ظل حتى القرن التاسع عشر -- أى إلى عسر التنظيمات -- سطحياً متخرجاً عن أن يتغلغل في حياة الناس ، طالما بقوا على ولائهم لهذا الحكم . قد يرجع هذا إلى الصفة (العامة) التي اتصفت بها الأباطورية العثمانية ، مما سمح لها بتعدد الأخماس والطوائف والأديان والمذاهب واللغات الخ . فكان هناك إذن نوع من (التسامح) يسمح بالتعدد والاختلاف ، طالما بقي الجميع أعضاء في حظيرة الأباطورية . وقد يرجع هذا -- أى سطحية الحكم العثماني -- إلى عجز الدولة بأنظمتها وأدواتها المعروفة -- حتى القرن التاسع عشر -- عن أن تبسط الحكم الفعال القوى في ولاياتها ، وقد قلنا إن هذه الأدوات كانت في الواقع أدوات حرب أكثر منها أدوات حكم .

وقد ترجع سطحية الحكم العثماني في الولايات العربية إلى حرص الدولة على مراعاة أهل هذه الولايات ، وهم شعوب إسلامية قامت في بلادهم أهم مراكر الإسلام ويتكلمون لغة القرآن ، فلمهم عند الترك قدرهم واعتبارهم^(١) .

وأفاد المحكومون من سطحية الحكم ، فازدادوا تمسكاً بمؤسساتهم الخاصة وحرصاً على تمتعها ، ليتخذوا منها -- من ناحية -- حصناً يلوذون به من بطش الحاكمين ، وليجعلوا منها -- من ناحية أخرى -- أدوات تنظيم لمجتمعهم حتى تقوم بما تقتصر عن القيام به سلطات الحكومة ، ونمت هذه المؤسسات الطائفية واستقرت حتى أصبح الولاء للطائفة يعمل فوق كل ولاء .

وكان لا بد -- حتى يستمر هذا البناء بأوضاعه التي وصفنا قائماً -- كان لا بد من أن تبدل الدولة جهداً كبيراً للحفاظ عليه ، وشاع الاعتقاد أن أى تغيير سيؤدي

(1) Gibb & Bowen: Islamic Society and the West, vol 1. part. 1 p. 160.

إلى زيادة الخلل فالانهيار ، وأن الخير كل الخير في المحافظة على ما هو قائم ، ويكفي في اعتقاد السلاطين ورجال الدولة — أنه في ظل هذه النظم والأوضاع أحرزت الدولة ما أحرزت من انتصارات ، وضمت الدولة ما ضمت من بلاد ، وقهرت الدولة ما قهرت من أعداء . ولكن فاتهم أن هذه النظم فقدت في الواقع حقيقتها وغدت مظاهر ، بقيت ، ولكن على الورق ! ويكفي هنا أن نذكر أن الانكشارية — وهي من النظم العثمانية عصبها — بقي اسمها ، اسما بلا معنى ، بقيت ، ولكن في الدفاتر وال سجلات !

حقاً إن الدولة العثمانية تبدو حتى في القرن الثامن عشر — أى في العصر الذي وصلت فيه أزمة الحكم إلى ذروتها — تبدو الدولة قوية . فالسلطان يولى أصحاب المناسب ويمزلمهم ، والسلطان يكافح بنجاح في أكثر الأحيان الخارجين عليه من أصحاب العصبيات . ولكن الدولة لم تحقق هذا بقوتها ، وإنما حققتة باسطناع وسائل أخرى أجدى عليها من وسائل القوة ، فالدولة أقامت الحكم في ولاياتها على أساس أن لا تجمع السلطان كله لفرد واحد أو لهيئة واحدة . حقاً إن الباشا أو الوالى هو أعلى هؤلاء الأفراد والهيئات شأنًا باعتباره ممثل السلطان في ولايته ، ولكن الدولة أقامت إلى جانبه أصحاب مناصب أخرى وهيئات أخرى تقاسمه السلطان ، كالقدردار والقاضى وضباط الأوجاقات ، ولكل منهم في حكومة الولاية مكان معلوم .

هذا إلى أصحاب العصبيات الذين أقرت الدولة حكمهم في مناطقهم ، فكانوا باستمرار شوكة في جانب ولاية الدولة ، سواء برضا الدولة نفسها أحياناً أو رغماً عنها أحياناً أخرى . حتى إذا شرع أحد أصحاب المناصب أو أحد أصحاب العصبيات أن يجمع السلطان لنفسه مقتضبا سلطان الدولة أثارت عليه الدولة آخرين من أصحاب المناصب أو أصحاب العصبيات ، وهم كانوا دائماً على استعداد للإثارة ، وما يتبعها من قبض الثمن ، حتى متاح للدولة فرصة لتأليب آخرين وهكذا .

(فقرة) الدولة إذن كما تبدو في القرن الثامن عشر كانت قوة مصطنعة أكثر منها حقيقية ، استمدتها من أساليب القدر والكيد والتأليب والإثارة ، لهذا لا عجب إذا شعر الجميع في مثل هذا المجتمع بفقدان ضمانات العمل والسعى للكسب بل ضمان الحياة نفسها ، وأكبر مثل صارخ لما نقول الصير الذى لقيه أكثر باشوات الشام في الإحدى والعشرين سنة التى سجل البدرى أحداثها ، فقد انتهت حياتهم

بالنفي والقتل والمصادرة^(١)، رغم الخدمات التي أدتها للدولة وللولايات التي حكوا فيها، ورغم ما جمعوا لأنفسهم من أساليب الثروة والقوة، والدولة ترخى لهم في جبال الأمل، وتدعهم يجمعون ما يجمعون، وهي واثقة في النهاية أن هذا كله سيؤول إليها، قال باشا صيدا لأسعد باشا العظيم، عندما رآه يشنّ على الدرّوز حرب تخريب وإبادة، فنصحته بالكف عن ذلك قائلا له: «هذا أمر يموت علينا وعليك بالتلف ولا ترضى الدولة به، لأنهم يريدون العار للبلاد ويكرهون الجور والفساد قادرون على إرسال عشرة وزراء يوم واحد ولا يقدرّون أن يعدّروا في عشر سنين قرية إذا خربت من هذه القبايا^(٢). ولكن أسعد باشا عاند واستمر في الحرب ضد الدرّوز، وانتصر عليهم وجمع الثروة الباطيلة وبني العمار الشاهقة واستكثر من أسباب القوة، وحجج بالناس أربع عشرة حجة في أمن وسلام، ولكن هذا كله لم يشفع له، فإذا بالنجم يهوى، فينقل الباشا من دمشق فجأة ثم يقتل وتصادر أمواله وأملاكه، لم تكن عنه شيئا. ولم يكن حظ الذين سبقوه أو خلفوه في ولاية دمشق وغيرها من الولايات خيراً منه^(٣).

انصرف كتم الوالي في ولايته إلى المحافظة على الوضع القائم فيها خشية أن يضطرب الميزان بين الجماعات والهيئات والطوائف وأصحاب العصبية لأنه يرى أن اضطراب الميزان يضطره كارهاً إلى شيء من الحركة والنشاط. إلى التدخل فيما لم يكن يودّ التدخل فيه، إلى الاستعانة بقوى لم يكن يودّ إخمادها أو تقليصها، تجلب طوائف من عسكر الدولة أو تغليب فئة في المدينة على أخرى، أو الاستعانة بقوة لصاحب عصبية.

(١) حكم إسماعيل باشا العظيم دمشق ست سنوات ثم امتحن وسجن وضودرت أمواله.
(٢) ص ٩٩ من هذا الكتاب.

(٣) مات سليمان باشا العظيم وصادرت الدولة أمواله، وأعدم أسعد باشا العظيم وضودرت أمواله وسعد الدين باشا العظيم حاكم صيدا وضودرت أمواله، وعبد الله باشا الشنقي قتل وضودرت أمواله وغيرهم كثيرون. حتى أصبحت مصادرة أصحاب المناصب المعزولين أو المتوفين تجري بحري العرف، واعتبرتها الدولة وسيلة لتسديدها أموالاً جمعها صاحب النصب من طريق غير شرعي، ونظر إليها الناس على أنها جزء حق لما كان صاحب النصب يرتسكه أثناء توليه منصبه، ونظر إليها السلاطين من زاوية أخرى: فقد كانت الهيئة الحاكمة — في الأصل عبيداً للسلطان، ولما كان من حق السيد أن يرث عبده فقد أصبح من حق السلطان، وقد نس على ذلك في بعض القوانين، أن يرث كل أو بعض أملاك أصحاب المناصب المتوفين سواء تركوا وريثة يرثونهم أم لم يتركوا، ثم امتد هذا الإجراء إلى أصحاب المناصب أثناء حياتهم كعقوبة توقيعها الدولة عليهم.

وقد يطالب بعض الموظفين المعزولين أو المنقولين أن (يحاسبوا) حتى يتفادوا المصادرة.

Gibb & Bowen: op. cit., part 11, p. 28 - 30.

إقليمية (كمض عشار البدو مثلا) أو طائفية (كالدروز أو الناطلة) ، مع ما ينبع ذلك من تغليب عصبية أو طائفة على أخرى ، واستملاؤها والمجز عن ضبطها ، حتى وانه فرصة أخرى للعمل وهكذا .

خير ما يفعله الوالى إذن فى ولايته أن يتمشى والفكرة العامة التى سيطرت على الدولة ، وعلى المجتمعات حينذاك ، وهى فكرة المحافظة على الحالة القائمة ، وعلى تزويد نفسه وحكمه بأسباب الحماية ، لا يكفى أن يظل قابضا على الليزان بين أصحاب الناصب والمصيات وطوائف الأجناد ، ولكن ينبغي عليه أن يترد بأسباب القوة فيجمع لنفسه قوة عسكرية خاصة يحتمى بها ويدفع بها كيد خصومه ، وهو مضطر إلى إرضائها بأن يطلق أفرادها يرعون فى أرزاق الناس وأعراضهم ، ريثما تواتيه الفرصة للتخلص منهم واصطناع غيرهم وهكذا . لأنه يعلم أن القوة هى وحدها التى تكفل له الاحترام من رعاياه ، حتى إذا أحسوا منه شيئا من الضعف أو لحظوا على مركزه شيئا من الاضطراب استهانوا به وشاغبوا عليه . كان سليمان باشا حاكما قويا عادلا صاحب خيرات ، ولكن ما أن تأخر وصول فرمان التمرير له بالولاية حتى « لعطت الأراذل والأسافل بالقول والفعل وأظهروا بدعا كثيرة من محض الحرام ، ولازالوا على تلك الأحوال حتى جاء فرمان » (١) .

ومات سليمان باشا وخلفه ابن أخيه أسعد باشا العظم ، قبدأ حكمه هادئا بل خانعا حتى استصفت الدولة أموال عمه وأهانت حريمه وأهله ، والباشا لا يحرك ساكنا ، حتى احتقره العسكر وراحوا يطلقون عليه ألفاظ السخرية ، فكانوا يسمونه « سعدية خاتم » حتى إذا وجد الباشا الفرصة للملائمة نهض إليهم وأمعن فيهم فتكا وتشريدا فهابه الجميع (٢)

وهذا قاض عرفت عنه الاستقامة والقناعة والتواضع والسخاء الكثير ، ولكن « لما كان لا يأكل الرشوة ولا يميل فى دعوى فقد مال عليه أهل الشام » وسعوا حتى عزلوه « كما هى عادتهم قديما » (٣) .

(١) ص ١٧

(٢) ص ٦٠ - ٦٩

(٣) ص ١٣٢ ، وشبهه بهذا ما ذكره الحبرتى عن استهانة الفلاحين فى بعض القرى المصرية بالملزمين الذين يحسنون معاملتهم فلا يجأون إلى ما اعتاده الفلاحون من العنف والعظم .

ولا شك في أن روح (المحافظة) التي سادت الحياة في الولايات العثمانية في العهد العثماني الأول - أي حتى القرن التاسع عشر - قد مكنت أهلها من الحفاظ على قوميتهم ومقوماتهم الأصلية ، واحتفظت لهم بهذا التكتل الذي كان سمة الحواضر العربية في عصورها (الإسلامية) ، وهو الذي مكن لهم في البقاء وأعانهم على الصمود لفساد الحكم ، وإن كانت روح المحافظة قد أدت إلى الجمود والركود والتأخر وإهمال مرافق البلاد وشيوع روح التواكل ، إلى أن بدأت تفسد منذ القرن التاسع عشر عناصر غربية ، هزّت روح المحافظة وأحلت محلها سياسة التجديد ، وغيرت ولا تزال تغير وجه الحياة فيها يوما بعد يوم .

* * *

هذه صورة عامة للعصر الذي عاش فيه البديري من القرن الثامن عشر ، وهي صورة تنطبق على دمشق ، كما تنطبق على حاب والقاهرة وبغداد وغيرها من حواضر الولايات العربية في ذلك العصر ، لأن النظم الأساسية للحكم واحدة والأوضاع العامة لمجتمعاتها واحدة .

في هذا العصر وصلت أزمة الحكم والمجتمع في هذه الولايات إلى ذروتها ، حقا إن البديري لم يتعمق أسبابها وعواملها على نحو ما تفعل ، ونحن ننظر إلى الصورة من بعيد ، ولكنه عاش في دوامة أحداثها ولفجه شواظها فأحس به إحساسا قويا ، دفعه إلى تسجيل ما رأى وما سمع ، فكان من ذلك هذا الوصف الذي قدمه لنا في «حوادث دمشق اليومية» لطاراز من الحياة في حواضرنا الإسلامية اندثر وباد .

* * *

ولن نعالج في هذه المقدمة كافة الموضوعات التي تبرز البديري لأحداثها بالتسجيل في كتابه «حوادث دمشق اليومية» ، ولكن سنكتفي بموضوعات ثلاثة ، هي في رأينا أبرز موضوعات الكتاب وأكثرها استئثارا باهتمام مؤلفه ، وليس من شك في أن معالجتها - بما كتبه البديري وبما كتبه آخرون - يكمل أو يوضح بعض جوانب الصورة التي نعمل على رسمها للعصر العثماني بعامة ، والقرن الثامن عشر بخاصة ، وهذه الموضوعات هي :

١ - باشوات الشام من بني العظم : وقد شغلت الجانب الأكبر من كتاب البديري حوادث الشام في عهد وزيرين من بني العظم ، هما سليمان باشا وأسمعد باشا ، (١٧٤١ - ١٧٥٨) . كما ذكر البديري طرفاً من أخبار بعض الباشوات الآخرين من بني العظم ممن تولوا باشويات سورية أخرى ، كسمد الدين باشا وإلى طرابلس ومبدا وحلب ومصطفى باشا وإلى صيدا .

٢ - طوائف الأجناد في دمشق ، وقد شغلت انباء فتحها الجانب الأكبر من اهتمام البديري ، واهتمام الناس في ذلك العصر .

٣ - الحج الشامي ، وقد استأثرت أنبأؤه في طلوعه ورجوعه وما جرى له في الطريق بأعظم اهتمام من البديري ومن الناس ، حتى يمكن القول إن الناس كانوا كأنهم « يمكن قلوبهم » بأيديهم حتى يعود الحاج سالماً ، فقام الزينات ومعالم الأفرح .

* * *

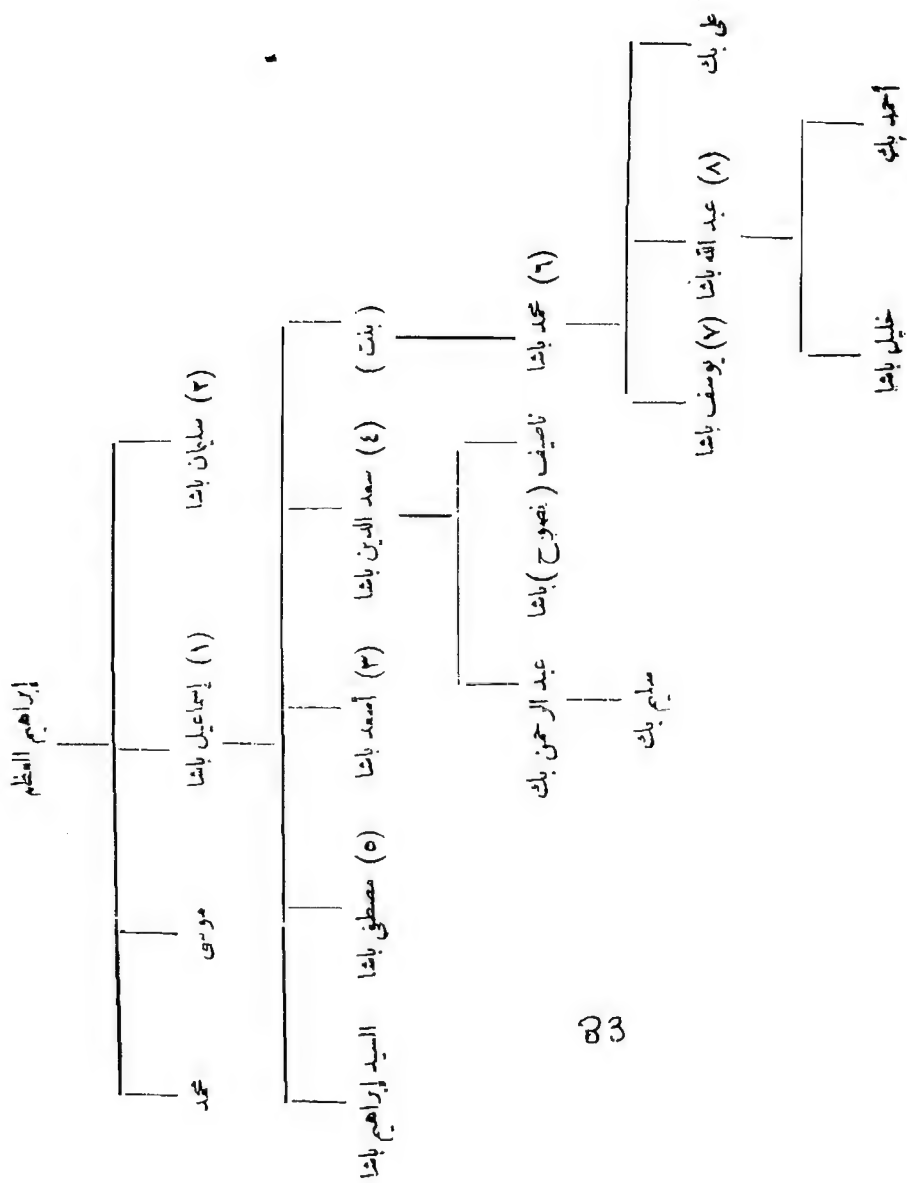
باشوات الشام من بني العظم :

اختلف الباحثون في أصلهم ، فمن قائل إنهم أتراك من قونية ، ومن قائل إنهم عرب من معرة النعمان (يقرب حلب) . وسواء أكانوا تركاً أم عرباً فقد أقام أكثرهم في بلاد الشام . ومنهم من بنى المدارس وقرب العلماء والشعراء ، وظهر عظمى الحكام العرب ، وقدرت الدولة فعلاً هذه الناحية فيهم فاستخدمتهم في الولايات السورية ، حتى جاء وقت كان يشغل منصب الباشوية في دمشق وحلب وطرابلس وصيدا في القرن الثامن عشر باشوات منهم ، كما استخدمتهم في بعض الولايات العربية الأخرى كحصر والوصل ، ثم خشيت الدولة أن يؤدي طول مقامهم في الولايات السورية إلى استقرارهم فيها وتأليفهم قوة يخشى جانبها ونشوء أطاع انفصالية لهم ، فمضت بهم وشتتهم عن سورية ، وكان جزاء أكثرهم من الدولة القتل والمصادرة .

وأول من عرف من آل العظم هو « إبراهيم العظم » ، كان جندياً سكن وأسرته في معرة النعمان ، وخدم بها ، واشترك في حرب قامت بين أهلها وبعض عشائر التركمان الذين كانوا يقدون إليها شتاء (١) .

ثم آل الحكم في المعرة لابنه :

(١) محمد كرد علي : خطط الشام ٢/٢٨٧ ، ٢٨٩



١ — إسماعيل باشا العظيم^(١) :

حكم في المرة أولاً، ثم انتقل منها إلى حماة وحمص برتبة الروملي (أوبكر بكى أى أمير أمراء) وهو باشا صاحب طوخين، أوذيلين . وكانت حماة وحمص إذ ذاك مستنقطين من باشوية الشام أو دمشق ، ثم جاءته رتبة الوزارة ، أى الباشوية بأطواخ ثلاثة ، وولى ولاية طرابلس ثم انتقل منها في سنة ١١٣٧ (١٧٢٤ — ١٧٢٥) إلى ولاية دمشق ، فكان أول باشواتها من بنى العظيم ، وأقام بها والياً ست سنوات ، ثم عزل وامتنحن وحبس بقلعة دمشق ، وصادرت الدولة أمواله وأموال ذويه ، ثم أطلق سراحه وتولى على خانيه .

٢ — سليمان باشا العظيم :

أخو إسماعيل باشا، تولى باشوية صيدا ، ثم نقل منها إلى باشوية الشام (١١٤٦) وأقام بها خمس سنوات (١٧٣٣ — ١٧٣٨) ثم نقل إلى ولاية مصر في سنة ١١٥٢ (١٧٣٩) . ولكنه لم يمكث بها أكثر من عام ، فقد ساءت علاقته بأمراء الممالك، وأراد إيقاع فتنة بينهم ، بل إنه دبر مكيده للفتك بعدد من رؤسهم ، ولكن خصومه تجمعوا عليه ، فأراد الاحتباء بباب الانكشارية ، فرفضوا حمايته ، وأرسل الأمراء رسولا إلى السلطان ، فقرر عزله من ولاية مصر وأعادته إلى ولاية دمشق ، فوليا للمرة الثانية في سنة ١١٥٤ (١٧٤٣) ، وأقام بها ثلاث سنوات ، حتى مات محاصرا قلعة طبرية للشيخ ظاهر العمر .

وسليمان باشا أول من تحدث عنهم البديري من باشوات الشام من بنى العظيم ، وقد أشاد البديري بأفعاله في الشام — في ولايته الثانية — كمحاولته إصلاح أمر الجند ومطاردته الأشقياء (أو الزرباوات) منهم^(٢) وحمايته للحاج الدمشقي عندما دهمهم سيل جارف في الحسا والقطرانة ، حتى « عدوا هذه المنقبة لثله من المهمم العالية والروءة السامية »^(٣) وتعمير نهر القنوات وترميمه من ماله الخاص ، وهذا « ما سبقه

(١) انظر الجدول المواجه لأسرة العظيم ، وقد استطعنا أن نقيم هذا الجدول من تراجم وأخبار بنى العظيم الشنتة في مصادر مختلفة كاليدري والراى والمقار والقرارى وحيدى الشهابى والجبرى . وقد أعطينا المشهورين منهم أرقاما اتبناها في المتن أيضا حتى يسهل استخدام هذا الجدول .

(٢) من ١٨ — ١٩

(٣) من ٢٦ — ٢٧

إليه أحد من عهد إصلاحها من أيام التيمور»^(١) .

وقد شغل الباشا أكثر وقته في محاولة إخضاع الدروز وأميرهم إذ ذاك الأدمير ملحم النهباني ، وكان قوى الشخصية ، بذل جهودا كبيرة لدبم سلطان الأمراء النهابيين في جبل لبنان ، ولما خرج ظاهر العمر — الزعيم البدوي في فلسطين — على سلطان الدولة حاربه سليمان باشا ، حتى مات أثناء حصاره قلعة طبرية ، على أن هذه الخدمات لم تشفع له ، فمات وأصل نبأ موته — وقيل مات مسموماً — حتى بادرت الدولة فأرسلت للشام مندوباً خاصاً صادر أموال الباشا وأملاكه وأهان حريمه وسجن أهله وأعوانه ، حتى استخرج أموالاً وجواهر كثيرة ، وتسامع الناس بذلك فغيروا رأيهم في الباشا ، «ولهبجوا بالدم والنكال ، وقالوا قد جوع النساء والرجال والبهائم والأطفال ، حتى جمع هذا المال من أصحاب العيال ولم يراقب الله ذا الجلال»^(٢)

٣ — أسعد باشا العظم :

وخلفه في ولاية الشام ابن أخيه (إسماعيل باشا) أسعد باشا العظم . وكان قبل ذلك حاكماً بحماه — شأن أكثر الحكام من بني العظم — وقد أقام والياً بدمشق أربعة عشر عاماً متوالية (١١٥٩ — ١١٧٠) فكان أطولهم حكماً ، وقد شغلت أبناء حكمه الجانب الأكبر من كتاب البديري^(٣) .

تولى ولاية الشام في ظروف صعبة ، فالدولة تستصفي أموال عمه وتحبس حريمه وأتباعه ، وقد تردار الشام يعينها على ذلك ، وجند الانكشارية المحلية قد لا يمكنهم فوق كل سلطان ، حتى استبدوا بالناس وأساؤا إليهم في أموالهم وأعراضهم وكرامتهم^(٤) ، واستهانوا بالباشا فأطلقوا عليه ألقاب السخرية والتحقير ، والغلاء الفاحش قد استبد بالناس ، حتى ثاروا وذهبوا يشكون إليه ، فأحاطهم إلى القاضي ، فذهبوا إليه ورجوم ورجاله بالحجارة ، ونهبوا المحكمة وهرب القاضي فوق أسطح المنازل^(٥) ، والحرب ضد الدروز وظاهر العمر كانت لا تزال قائمة ، فالحاجة إذن ماسة إلى بسط النظام والأمن في المدينة .

(١) ص ٤

(٢) ص ٥٥

(٣) ص ٤٧ — ١٩٩

(٤) ص ٦٢

(٥) ص ٦٣

وقد رآ الباشا أن علة العلل كاملة في اختلال أمر العسكر، وخاصة الإنكشارية المحلية. ولكنه لم يستطع معالجة الداء من أساسه ، فهذا أمر عجزت عنه الدولة نفسها ، فقتع بأن استجلب من الدولة فرقا من عسكرها (القبول) واستخدم فرقا من الدلاة هزم بهم الانكشارية وأذلهم ، ولكن هذه الفرق لم تكن أقصر من الانكشارية باعا في الفتنة والاعتداء على الناس .

وأصبح الباشا عزيز الجانب إذ « أُرهب النكبار والصغار وعظم صيته حتى في البرارى والقفار » (١)، حتى هابه العشار البدوية ، فلم تجرؤ على الاعتداء على قافلة الحج الشامى طوال عهده .

وشغل الباشا ببناء قصره العظيم ، « فلم يلتفت إلى رعاياه وأنصاره ، ويقول اثتوى بحجارة الرمر والرخام والبرو وتفتنوا بالبناء والنقوش والتجليه بالذهب والفضة . . غير أن أهل الشام في أ كدار من غلاء الأسعار وبخل التجار وانقساد الأحرار وضعف الصغار وعدم رحمة الكبار ، والحكم لله الواحد القهار » (٢).

ولكن الدولة كانت تملى له ، فتركته يجمع الأموال ويبنى القصور ، بل إن السلطان أرسل له هدايا ثمينة وفرمانا « فيه تفخيم كثير »، وعينت أخويه أحدهما على طرابلس والآخر على صيدا ، وإذا بها — فجأة — تأمر بنقله إلى حلب (١١٧٠ = ١٧٥٦) ومنها إلى مصر ، لولا أن تمسك به أهل حلب ، مما زاد في حقن الدولة عليه ، فأمرت بقتله ومصادرة أمواله وأملاكه ، وكأن لم يكن بالأمس شيئا .

وقد بلغ من قوة شخصيته وما كان يتمتع به من هبة أنه ما كاد يخفى من دمشق حتى أطلت الفتنة برأسها ، فعاد الجند إلى الشغب والعدوان ، ونهب البدو قافلاتي الجردة والحج ، ونكبوا الحاج نكبة لا مثيل لها ، « وصارت أمور وأهوال في دمشق الشام ما وقعت في سالف الأزمان » (٣) .

٤ — سعد الدين باشا العظم :

هو أخو أسعد باشا من أبيه إسماعيل باشا العظم ، رفعه السلطان إلى رتبة الوزارة في سنة ١١٥٩ (١٧٤٦) مكافأة لأخيه على بسطه النظام والأمن في المدينة

(١) ص ٧١

(٢) ص ١٤٥ ، ١٥٣

(٣) ص ٢١٩

بالتك برؤساء الانكشارية ، وجمله السلطان واليا على طرابلس ، وعهد إليه
بسردياتية الجردة ليكون معنأ لأخيه في الدورة وإمارة الحج^(١) وقاتل الدروز^(٢)
ثم نقل إلى باشوية حلب في سنة ١١٦٤ (١٧٥٠) محتفظاً بسردياتية الجردة^(٣) ،
ثم أعيد إلى طرابلس . حتى إذا تحولت الدولة عن بني العظم وعزمت على تشتيتهم
نقلته إلى ولاية مرعش سنة ١١٧٠ (١٧٥٦)^(٤) ، ثم إلى جدة^(٥) سنة ١١٧٢ ،
ثم جاء الأمر بعزله وضبط ماله ، « ونقل الثقات أنه خرج عنده مال عظيم ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »^(٦) .

٥ — مصطفى باشا العظم :

نال له أخوه أسعد باشا الوزارة وولاية صيدا في سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) ، إذ كان
في حرب مريرة ضد دروز لبنان وعلى رأسهم الأمير ملحم الشهابي ، وكان همه أن
يكون على باشوية صيدا — وقد أنشئت في سنة ١٢٩٠ خصيصة للإشراف على شئون
جبل الدروز (أو جبل لبنان) — باشا يكون متمشياً مع سياسة باشوية الشام إزاء
الدروز . وكان باشا صيدا في ذلك الوقت — محمد اشأ — لا يميل إلى سياسة العنف
ضد الدروز ، وطالما نصح أسعد باشا بالإقلاع عن هذه السياسة ، ولما كانت الدولة
إذ ذاك راضية عن أسعد باشا فقد أجابته إلى ماطلب ، وعينت أخاه مصطفى باشا والياً
على صيدا ، « حتى يعمل بالجيل ما أراد » على حد تعبير البديري^(٧) .

وبقي مصطفى باشا والياً على صيدا حتى تحولت الدولة عن بني العظم ، فنقلته في
سنة ١١٧٠ (١٧٥٦) إلى ولاية أدنة^(٨) وبعد قليل إلى ولاية الموصل^(٩) .

(١١) ص ٨٤

(٢) أشار الأمير حيدر الشهابي في تاريخه (٢٦/١) إلى أن أسعد باشا العظم كان
يكنى الأمير معلم أمير الدروز أعظم الكراهية بينا كان أخوه سمه الدين باشا بودة .

(٣) وبسبب ذلك اشتغل في طلب المال من أهل حلب فمضوه وشكوه للدولة .

(ص ١٦٠)

(٤) ص ١٩٩

(٥) ص ٢٢١

(٦) ص ٢٣٠

(٧) ص ١٠٠

(٨) ص ١٩١

(٩) ص ١٩٩

٦ — محمد باشا العظم :

هو حفيد إسماعيل باشا العظم من بنت له. وهو من مشاهير آل العظم وكبرائهم . لازم خاله سعد الدين باشا في حلب ، وطرابلس ، وبعد وفاة خاله أنعمت عليه الدولة برتبة أمير أمراء (أى باشا بطوخين) ثم رتبة الوزارة (أى باشا بثلاثة أطواخ) وولته والياً على صيدا سنة ١١٧٦ (١٧٠٤) ، وبعد عام نقل منها إلى حلب . وكانت له سيرة طيبة في حكم حلب إذ أبطل بها كثيراً من البدع ، وانتقل منها إلى أوروقة (الرها) ، ثم عاد إلى صيدا ، ثم نقل إلى قونية ومنها إلى دمشق سنة ١١٨٥ (١٧٧١) ، فكان أول من وليها من بنى العظم بعد نقل أسعد باشا منها منذ خمسة عشر عاماً ، وأقام والياً بها حتى وفاته في سنة ١١٩٧ (عدا فترة قصيرة في ١١٨٦) وكانت أيامه بها على حد تعبير الراى « مواسم أفراح »^(١) ، وقد عمر في دمشق أبنية كثيرة ، وقرب إليه العلماء والأدباء وراحت في أيامه سوق الشعر ، وقد قاتل بعض الخارجيين على الدولة ، ومنهم على بن الشيخ ظاهر العمر .

٧ — يوسف باشا العظم :

هو ابن محمد باشا العظم ، تولى أولاً باشوية حلب في سنة ١١٩٥^(٢) (١٧٨١) ، ويبدو أنه كان سيء السيرة في الحكم ، فإنه لما عين بعد ذلك والياً على طرابلس (سنة ١٢١٥ = ١٨٠٠) رفض أهلها أن يسمحوا له بدخول المدينة ، بل أخرجوه من مينائها وحاربوه بضعة أيام ، حتى اضطروه إلى الرحيل إلى اللاذقية^(٣) .

٨ — عبد الله باشا العظم :

هو ابن محمد باشا العظم أيضاً ، وكان آخر من تولى الأحكام من بنى العظم^(٤) تولى ولاية حلب سنة ١٢٠٨ (١٧٩٣) ورأت الدولة ضعفه إزاء طغيان الجند الإنكشارية فعزلته ، ثم ولاه الصدر الأعظم يوسف باشا ضيا — أثناء تقدمه لقتال الفرنسيين في مصر — على دمشق ، وكانت له حروب مع أحمد باشا الجزائر ، وفي عهده توالى إغارات (الوهايين) على سورية ، حتى وصلوا إلى جهات حوران

(١) سلك الدرر ج ٤ من ٩٧ — ١٠٢

(٢) التزى: نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٣ من ٣٠٨

(٣) الأمير حيدر الشهابي : لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ج ١ من ٢٠٥

(٤) محمد كرد علي : خطط الشام ج ٣ من ٤٤

واتهم عبد الله باشا بالميل إلى مبادئهم ، وظهر للدولة عجزه عن مدافعهم ، فعزلته عن دمشق ، ونقلته إلى أورفة ، ثم صدر الأمر بمزله ورفع أطواخه وإقامته في حماة (١) .
ونمة آخرون من بنى العظم تولوا حكم بعض الجهات في سورية ، وإن كانوا أقل شهرة ممن تكلمنا عنهم أو معلوماتنا عنهم ضئيلة ، كعبد الرحمن بك أو رحمون بك ابن سعد الدين باشا العظم ، وقد ولى حكم طرابلس (٢) ، وعبد الرحيم بك العظم كان حاكما لحمص سنة ١١٨٩ (١٧٧٥) (٣) ، و خليل باشا والى طرابلس سنة ١٢١١ (١٧٩٦) (٤) وعيى بك متسلم حماة سنة ١٢٢١ (١٨٠٦) (٥) وسلم بك متسلم حماة سنة ١٨١٧ (٦) .

ومن بنى العظم من اتصل بمصر وأحداثها ، نعرف منهم :

ناصريف (أو نصوح) باشا العظم :

وهو ابن سعد الدين باشا العظم ، يبدو أنه فر من سورية على أثر موت أبيه ومصادرة أمواله وأملاكه ، فأتى إلى مصر لاإذا بالأمر المملوكي مراد بك ، حتى إذا وصلت حملة بونابرت إلى مصر في سنة ١٧٩٨ بعث به مراد بك في السفن التي خرجت في فرع رشيد للاقااة الفرنسيين وعرقلة تقدمهم صوب القاهرة : ثم فر ناصريف باشا إلى الشام مع من فر من أمراء المماليك والعثمانيين بعد هزيمتهم ، ثم عاد إلى مصر في صحبة الجيش العثماني الذي وصل تنفيذاً لاتفاقية الجلاء التي عقدت في العريش ، وشهد معركة هليوبوليس حيث هزم الفرنسيون بقيادة كليبر جيش الصدر الأعظم ، ولكنه تسلل إلى القاهرة مع من تسلل إليها من العثمانيين وغيرهم ، وقام بدور بارز في إثارة الناس على الفرنسيين ، فقد قام — على حد تعبير الجبرتي — و« ثمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى » ، وبالعكس إذ حرض على قتل النصارى وعلى ارتكاب كثير من أعمال السلب والنهب ، حتى إذا أخذ الفرنسيون ثورة القاهرة اعتذر الناس للقائد الفرنسي « بأن هذا من فعل ناصريف باشا » (٧) .

(١) الأمير حيدر : لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ج ٣ ص ٦٠٣

(٢) مذكرات لبنان ص ٦٨ ؛ والأمير حيدر ج ١ ص ١٩٩

(٣) المرادى : ج ٣ ص ١٥

(٤) الأمير حيدر : ج ١ ص ١٨٢

(٥) المصدر السابق : ج ٢ ص ٥٠١

(٦) المصدر السابق : ج ٣ ص ٦٣٧

(٧) الجبرتي : عجائب الآثار ج ٣ ص ٩٦، ٩٧، ١٠٤ ؛ والأمير حيدر : ج ٢ ص ٢٢٦

٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ؛ ونقولا الترك : نشرة ثبت ص ٨٠

وذكر الجبرتي^(١) أن مصطفى باشا النابلسي من « أولاد العظم » حضر إلى مصر لاجئاً لدى محمد بك أبو الذهب ، فأكرمه ورتب له الرواتب ، وتوسط له لدى الدولة ، وطلب له ولاية مصر ، فأجيب إلى طلبه .

ولما كنا في معرض ذكر الحكم من بنى العظم يصح أن نذكر آخرهم « حقي بك العظم » رئيس الدولة السورية في عهد الانتداب الفرنسي .

* * *

طوائف العسكر في دمشق:

وعلة العلل في فساد الحكم واضطراب المجتمع اختلال العسكر العثماني في العاصمة والولايات ، وقد بدأ هذا الاختلال في القرن السادس عشر ، ثم اشتد في القرن الثامن عشر . وفي هذا القرن أيضاً بدأ السلاطين المحاولات الأولى لإصلاح العسكر . وقد جاء هذا الاختلال نتيجة لمحاولة استدامة نظم وضعت في وقت كانت فيه الدولة قوية ورقمتها محدودة ، إلى وقت ضعفت فيه الدولة — أو بتعبير أدق السلطة الحاكمة القابضة على زمام القيادة والزعامة ، وهم السلاطين — وعظم اتساع الدولة وتمددت عناصرها وبالتالي مشكلاتها . وانتهى الأمر بأن ظلت هذه النظم قاعة حقاً ، ولكن على الورق . وبقيت قوات يطلق عليها أو تطلق هي على نفسها اسم الانكشارية ، ولكن شتان بين انكشارية القرن الثامن عشر وانكشارية القرن الخامس عشر ، فقد اختلفت عنها عنصرها وتكوينها ونظامها وتسليحها وقيادة ... الخ . وبقيت قوات يطلق عليها أو تطلق هي على نفسها اسم الاسباهية ، ولكن شتان بين اسباهية القرن الثامن عشر واسباهية القرن الخامس عشر ... وهكذا .

أهملت الدولة تجديد جندها في الولايات ، وسمحت لكل وال ولكل صاحب عسكية بأن يجمع لنفسه ما يشاء من جنس ، وهكذا تعددت طوائف الأجناد ، ووجدت في الأباطورية أصناف من الناس ، بل من المصائب ، تطوف في أنحائها ومهمتها الأصلية السلب أنى وجدت له سيلاً ، وهى في الوقت نفسه تعرض خدماتها على الولاة وأصحاب المصيبات ، ولكن تحوّلهم إلى عسكر لم ينسهم قط صفتهم الأصلية ، فكانوا رجال عصابات وقطاع طرق أكثر من أن يكونوا جنوداً .

وطبيعى أنهم حرصوا على استدامة الامتيازات التى كان يتمتع بها الأجناد فى الدولة ، عندما كانوا أجناد حقاً ، من مرتبات وعلوفات وحكم ذاتى واستعلاء على الطوائف الأخرى من غير العسكر وهكذا .

وهذه الامتيازات كان المجتمع الإسلامى قد أضفاها على طوائف الأجناد منذ أسند إليهم مهمة الدفاع عنه زمن الإغارات الصليبية والمغولية ، وفى سبيل القيام بهذه المهمة قبلت الطوائف الأخرى — من غير العسكر — أن تنزل عن مكان الصدارة فى المجتمع لطوائف الأجناد ، وتقنع بأن تكون أدوات إنتاج التغذية للجهود الحربى . ويكفى فى هذا المجال أن نذكر أن الأراضى فى الدولة الإسلامية أصبحت إقطاعاً للأجنساد ، يأخذونها — حسب رتبهم — لتكون بمثابة مرتبات أو أجزأ . كما رصدت الأجناد موارد معلومة من دخل البلاد .

حتى إذا انتهت الأزمة ، ووقفت الحرب ، وقامت (الهدنة) بين دار الحرب ودار الإسلام ، عملت طوائف الأجناد على أن تستديم لنفسها المركز الممتاز الذى ناله أيام الحرب . ولكنها — من ناحية — لم تعد وفقاً على العسكر وحدهم ، إذ دخل فى سلكهم رجال العصابات وأرباب الحرف والمشتغلون بالفلاحة ... الخ ، حتى أصبحوا يعملون فى كل شئ إلا (الجندي) ، ومن ناحية أخرى حرصت الطوائف الأخرى من غير الأجناد على أن ترفع من مكانتها لتتال نصيبها الحق فى المجتمع فلا تكون موضع استغلال وعدوان مستترين . ومن هنا امتلأ تاريخ الولايات العثمانية بأخبار النزاعات بين طوائف العسكر ، وبينها وبين الطوائف الأخرى من غير العسكر . والجبرتى والبدبرى وأمثالهما من كتاب الحوليات فى القرن الثامن عشر يقدمون لنا أمثلة كثيرة من هذا الاضطراب والفساد . فلنحاول الآن أن ندرس أحوال العسكر فى دمشق فى القرن الثامن عشر ، مما أورده البديرى بصفة خاصة .

كان العسكر فى دمشق فى ذلك العصر ينتمون إلى طوائف شتى :

- ١ — جند الدولة ؛ وقد عرفوا باسم « القبوقول » أى عبيد الباب أو حرس السلطان ، وهم أنكشارية الدولة وكانوا جنداً مشاة .
- ٢ — الإنكشارية اليرلية ، أو المحلية أو البلدية ، وهم من أبناء الشام ، وكانوا من الفرسان (١) .

(١) يلاحظ أن جند الانكشارية كانوا منذ تكوينهم مشاة ، أما الانكشارية المحلية فكانوا فرساناً .

٣ — أخلاط شق يستخدمهم الباشا وقت الحاجة كالمغاربة — وهم مشاة ،
وإذا كراد والتركمان وهم فرسان ، ويطلق عليهم أحياناً اسم اللوند وأحياناً اسم
الدالاية أو الدلاة .

ولا نعرف على وجه التحديد متى وكيف حدث انقسام الجند إلى انكشارية قول
أو انكشارية الدولة ، وانكشارية يلية أو محلية ، وأكبر الظن أن الإنكشارية
الحلقة كانوا في أول الأمر بقايا فرق الإنكشارية المعروفة في الدولة العثمانية من
أقامهم السلاطين العثمانيون عقب فتح سورية حاميات في ولاياتها ؛ ثم أهملت الدولة
تجديد هذه الحاميات ، فلجأ رؤساؤها — وقد طال مقامهم في تلك البلاد —
إلى تجديد أخلاط من أبناء الشام من أهل الحرف والصناعات وغيرهم^(١) ، حتى أصبح
يطلق عليهم اسم (انكشارية يلية أو بلدية) أو (انكشارية الشام) أو جند الشام
أو أولاد الشام .

وكانوا طوائف أو عصابات تتبع كل منها رئيساً ، والرياسة متوارثة في بيته^(٢)
ولهم بيوت وقرى موقوفة عليهم^(٣) . وكان الظن — وهم من أولاد الشام — أن
يكونوا حرساً لأهل الشام ضد طغيان الحاكمين أو عدوان طوائف الجند الأخرى ،
ولكنهم سرعان ما سرت إليهم عدوى الاستملاء والاستبداد والطغيان ، وكانوا على
أهل دمشق وغير دمشق حرباً وشرّاً مستطيراً .

أقول غير دمشق ، لأن حلب كانت في العصر العثماني — من الوجهة العسكرية —
تابعة لدمشق ، أي أنها لم تكن مركز حامية عثمانية ، فكانت دمشق تبث إليها بعض
فرقها من الإنكشارية « للمحافظة عليها » ، فسرعان ما تحولوا إلى الاستبداد

(١) ذكر المحي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١٢٩/٢) في ترجمته
« لجدا وردى بن عبد الله الطاغية أحد كبراء جند الشام » في القرن السابع عشر أنه « استتبم
رعاعاً وجسماً لا استغفهم فأطاعوه . . . وكان هو وأحفاده قد عاثوا في البلاد وفتنوها ، ومنه
كانت نشأة فساد العسكر الدائم وطفانهم » .

(٢) ذكر المرادى في سلك الدرر (٦٣/٢) في ترجمته الحسين بن موسى باشا المعروف
بأبن حسن التركاني الأصل الدمشقي البدائي أنه « من رؤساء الأجناد وكبراء أو جاني البتكرية
(الانكشارية) . . . وهو وأسلافه لهم قدم في الرياسة . . . ربما كانوا مع توابعهم ولواحقهم
وأقاربهم يقاربون ربح العسكر » .

(٣) انظر ترجمة المرادى (١٠٧/٢) لدرويش بن عبد الله المنفي آغت (أغا) أو جاني
البتكرية البرلة في سنة ١١٥٧ .

بأهلها : « كان يذهب منهم في كل سنة طائفة إلى حلب وينصب عليهم سردار من كبارهم ... وتقووا في حلب وفتكوا وجاروا ... حتى رهبهم أهلها وصاهرهم كبراًؤها واستولوا على أكثر قرأها ... بحيث قلت أموال السلطنة وصارت أهالي القرى كالأرقاء لهم»^(١). وتصدى لهم الحلبيون ولكنهم هزموا ، وصفا الوقت الدمشقين ووضعوا أيديهم على أكثر موارد المدينة ، ففرض والى حلب أمرهم على السلطان فأمر بإجلائهم عن حلب ، وتصدى لنصوح باشا لهذه المهمة وحاربهم حرباً عنيفة حتى تمسكهم إلى دمشق ، « وانقطع أمرهم عن حلب وعن سرداريتهم فيها » . وعلق المحي على ذلك : « ولته انقطع عن دمشق أيضاً ، فلمعمرى إن بلدة تأمن غوائلهم ولا ترى مصائبهم ونوازلهم لمى أمانة من جميع الصائب مدفوع عنها بلطف الله تعالى جملة النوائب ، فإنهم مدار كل ضرر آجل وعاجل ، وليس لهم تالله نفع ولا تخم طائل » .

وقبلت الدولة رجاء والى حلب ، فأذنت له بتكوين قوة عسكرية خاصة بحلب ، فكون « قولاً جديداً ورتبه على هيئة قول الشام »^(٢) .

أما دمشق فقد قاومت فيها الدولة جند الإنكشارية المحلية بقوة جديدة من إنكشارية الدولة ، أرسلت إليها « نحو الثلاثمائة من جند السلطان العروفين بالقبوقية ، فاستقروا بقلعها وتسلموا أبواب المدينة وباب المحكمة والحسبة وسوق الخيل وميزان الحرير وبقية الخدم (أى الوظائف) التي كانت مخصوصة لمسكر الشام » . وزاد والى الشام على ذلك أن دبرمكية فتك فيها بعدد من رؤسائهم ، وبذلك ضعف جند الشام أو الإنكشارية المحلية بمض الشيء^(٣) . ولكنهم لم يستلموا قط لسلطان القبوقول ، بل عادوا في أواخر القرن السابع عشر إلى شيء من سابق قوتهم^(٤) ، وامتلاً تاريخ دمشق منذ منتصف القرن السابع عشر حتى قيام الحكم المصرى في سنة ١٨٣١ — بأخبار النزاع العنيف المستمر بين هاتين الطائفتين من الجند .

والبديرى في حويلاته يتبع فنوناً من هذا الصراع . حاول باشوات الشام أن يسكوا الميزان بين هاتين القوتين المتخاصمتين ، فكانوا يميلون إلى إحداها كما طغت الأخرى ، وهكذا . كما أنهم سموا إلى تكوين قوة

(١) المحي : ج ٤ ، ص ٤٤٨ وما بعدها في ترجمة نصوح باشا .

(٢) النزى : شهر الذهب ج ٢ ص ٢٦٦ — ٢٧٠ .

(٣) المحي : ج ٤ ، ص ٣١١ .

(٤) المصدر السابق : ج ٤ ص ٣٣١ — ٣٣٢ .

عسكرية خاصة بهم يستعينون بها على أولئك وهؤلاء ، من هذه الأخطال الذين كانت تمتلئ بهم بلاد الشرق الأدنى ، من الغاربة والأكراد والتركمان وغيرهم ممن لا تربطهم بالبلاد عائلات أو عصبية ، ولكنهم لم يكونوا خيراً من الآخرين ، وكان الباشا يضطر أحياناً إلى أن يقض الطرف عن نهيمهم للناس ، ربما توافيه فرصة للتخلص منهم وهكذا . ازداد طغيان جند الدولة (القبوقول) في الشام ، حتى دعا عليهم « شيخ الشام » الشيخ عبد الغنى النابلسي (المتوفى سنة ١١٤٣) ، واستجاب الله فيما يروى للقار (١) لدعائه ، فقرر إخراجهم من دمشق (سنة ١٧٤٠) وأصدر السلطان خطاً شريفاً بإبطال القبوقول من الشام « وأن من استخدمهم أوردتهم ملمون بن ملمون » (٢) . فهدأت المدينة « واصطلحت أحوال الناس » (٣) .

وخلال الميادين للانكشارية اليرلية فزاد رؤسائهم طغياناً ، حتى استحالوا إلى أشقياء أو (زرباوات) في مصطلح أهل الشام . وحاول سليمان باشا العظم إصلاح هذه الحالة ، فزعم على القبض على رؤسهم ، وأعلن أن دماءهم مهدورة « وأعطى أسماءهم للدلال » ، ولكنه عجز عن القبض عليهم ، فاضطر - وكان على وشك الخروج للحج - إلى أن يصدر أمراً بالعفو عنهم (٤) .

ومات سليمان باشا وصادت الدولة أمواله ولم يستطع خليفته ابن أخيه أسعد باشا أن يفعل شيئاً ، فزاد الإنكشارية طغياناً ، وراحوا يحرقون الباشا ، ويطلقون عليه أسماء السخرية .

ولكن أسعد باشا كان يدبر الأمر سرا ، فاستصدر من الدولة إذناً بإيادتهم ، وجمع جموعاً من الدالائيه ، وفاجئوا القلعة فملكوها ، وكانت الحصن الحصين للانكشارية وهجموا بالمدافع على دور رؤسائهم في حى سوق ساروجة والميادين ، فأحرقوها ونهبوها وملاّت جثث القتلى شوارع المدينة ، « فسكنت بعد ذلك الشام وصارت كفتح ابن » (٥)

وفر رؤساء الإنكشارية لاجئين إلى الدروز ، فتقوّوا بهم ، وظلوا يهددون بالإغارة على دمشق ، وخاصة أثناء غيبة الباشا وأكثر القوات العسكرية في الحج .

(١) نشرة المنجد ص ٦٨

(٢) ص ١١٠ .

(٣) البديري : ص ٥ - ٦

(٤) ص ١٨ - ١٩

(٥) ص ٦٩

وهكذا ملك الباشا زمام الموقف في المدينة بأربعائة من عسكر الدالاتية ، ولكنهم ما لبثوا أن مدوا أيديهم ليتقاضوا الثمن من أرزاق الناس وأعراضهم ، وهم على ما هم عليه من فساد - قد تنعاسوا في حرب الدروز ، بينما صمد بقايا الإنكشارية في القتال ، فأنبهم الباشا قائلاً : « تبالكم من أعوان ولين تأخذكم من أنصار ! تأخذون العلاف ، المال وتهربون من الحرب والقتال ، والمتطوعون (يقصد جند الشام من الإنكشارية) يقاتلون لله ورسوله ويتسابقون للحرب مع ما قد فعلت بهم من الفعل من قتل وسلب وخراب ديار » ودعا إليه جند الشام « وأوعدهم بالإحسان والإكرام » .

ولكن الباشا لم يبر بوعده خشية أن يعودوا إلى سابق طغيانهم ، بل إنه رأى أن خير ما يفعله أن يطلب جندا من الدولة ، وهكذا عادت للشام بعض فرق القبول ، « فدخلوا بكبر وحر وعتو » و « رجعت دواتهم أحسن مما كانت » (١) .

وكما فعل الدالاتية والانكشارية فعل القبول ، فقد اعتزوا واستبدوا بالناس وتطاولوا على الأشراف ، وكانت للأشراف مكاتهم في المجتمع الدمشقي ، وكانوا فئة مسلحة ، وكثيرا ما حملوا السلاح وقاتلوا . وأراد أسعد باشا أن يسجل على أهل دمشق اعترافا بأن الأمر لا يصلح إلا بجند الدولة ، خرج يوما للدورة - أي لجمع مال الدولة من جهات نابلس وعجلون - فدعا إليه علماء المدينة ليسلمهم زمامها أثناء غيابه ، فاعتذروا إليه قائلين :

« يا أفندينا ! نحن أناس منا علماء ومنا فقراء ومنا مدرسون ، وضعتنا مطالعة الكتب وقراءتها . . . فقال لهم : هذا إقراركم ، وكيف وأنتم الأعيان . فقالوا : حاشا لله ، إنما أعيان الشام القبول (٢) . وتيقن الباشا أن البلد لا تصلح إلا بهم » ، فدعا رؤساءهم وسلم زمام الحكم في المدينة لهم ، « وكان ذلك منه دهاء » (٣) .

ونقل أسعد باشا من ولاية دمشق (١١٧٠) والحال بين الانكشارية والقبول على ما هو عليه ، فكل فريق حذر من الفريق الآخر متربص له ، ورأى الباشا أن

(١) ص : ٩٣ ، ١٥٩

(٢) لا شك أنهم قالوا هذه العبارة في سخرية مريرة .

(٣) ص : ١١١

يصلح ما بينها قبل رحيله، ولكنه لم يستطع، وعادت الفتنة، ولم تسكن إلا بعد أن
مضى نقيب الأشراف والعلماء بالصلاح بينهما، وكتبوا عليهم «حجة بحضور القاضي
والفق وأعيان البلدة مضمونها أن كل من تعدى يكون عنده مائة كيس لطبخ السلطان
ودمه مهدور» (١)

ولكن ما أن خرج الباشا للحج حتى عاد القتال بين طوائف الجند، وتحزبت
بينها أحياء المدينة فقاتل بعضها بعضاً (٢). وانتهر البدو الفرصة فنهوا قافلة الجردة
وقافلة الحج، وكانت نكبة لا مثيل لها.

وجاء إلى الشام وال شديد المراس، عزم على أن يفتك بجند الشام، فجمعوا
جموعهم فبلغت نحو عشرين ألفاً «أظهروا الشجاعة وقلة الخوف منه»، ولكنه
هزموا أمام جند الدولة الكيف للسلح بالدفاع الذي ساقه الباشا عليهم، وظل
الباشا يطاردهم في المدينة حتى خارج باب الله، ونهبت دورهم وقتل منهم الألوف
واتسرد الباقون، واعتبر الجند دمشق مدينة للأعداء فتحوها بحمد السيف، فأمنوا
في المدينة والقرى المجاورة لها وأهلها منها وسلباً.

وبينا لم يكن الباشا يطعم جنده إلا اللحم والأرز والخبز الطيب، يجتمع مئات الناس
على الأفران فلا يجدون خبزاً، «وانتكبت أهل الشام نكبة في ذلك العام ما عهدت
من أيام التيجور والله عاقبة الأمور». وأراد الدمشقيون أن ينهضوا لرد العدوان،
ولكنهم «لم يجدوا أحداً يأخذ بيدهم». وافقد الدمشقيون الحماية بعد أن تمزقت
الإنكشارية المحلية أو أوجاق الشام كل ممزق (٣).

وكانت هذه آخر فتنة بين طوائف الجند في دمشق تحدث عنها البدرى، ولكن
الفتن بين هذه الطوائف لم تقف، وما زالت دمشق تقاسى منها أهوالاً، حتى جاء
الحكم المصرى (١٨٣١) فوضع للحكومة والجندية بها نظاماً جديدة.

* * *

(١) ص ٢٠١

(٢) ص ٢٠٢

(٣) ص ١٥ : ٢١٧

الحج الشامي^(١) :

وقد استأثرت أنباء الحج بجانب كبير من اهتمام البديري : فقد حرص في كل عام على أن يتتبع هذه الأنباء ويسجلها ، منذ تفصل قافلة الحج وركب الحمل ، ثم قافلة الجردة من دمشق ، حتى تصل كل منها إلى غايتها في الأرض المقدسة ، ثم تعود قافلة إلى دمشق ، فهو يذكر وقت طلوعها ، ثم عودتها ، وما قد يحدث لها في الطريق من حر شديد أو برد قارس ، من عطش أو سيل ، من رخص أو غلاء ، من أمن أو اعتداء . وهو حريص دائماً على أن ينوّه بمسلك أمير الحج — وهو باشا الشام — إزاء الحجاج وما يلقونه في الطريق . حتى إذا عاد الحجاج سالمين غانمين تنفس البديري — وتنفس معه الدمشقيون — الصعداء ، وحمدوا الله وأثنوا عليه .

وهؤلاء الحجاج الذين يتجمعون في دمشق ويخرجون منها للحج ، ليسوا من دمشق وحدها ، ولا من سورية وحدها ، وإنما بفضل أهمية موقعها — كأ أكبر مدينة على حافة الصحراء السورية الحجازية وعلى أقصر طريق من الآستانة إلى الحرمين الشريفين — غدت دمشق مركزاً يتجمع فيه الحجاج من بلاد العجم وتركيا وتركستان وغيرها من الجهات الشمالية .

وأصبح لدمشق بذلك لون من القدسية أو الشرف ، حتى دعيت (شام شريف) ووقع على عاتق المدينة مسؤولية استقبال وإيواء وتموين هذا العدد الكبير من الحجاج من مختلف الجنسيات ، الذين كانوا يتجمعون فيها في وقت واحد معين من كل عام استعداداً للرحيل إلى الحرمين الشريفين .

على أن دمشق أفادت من هذه المسؤولية فائدة كبيرة من الناحية الاقتصادية ، فقد كانت مواسم الحج مواسم للتجارة أيضاً ، وقد اعتاد أكثر الحجاج الغريب أن يحملوا معهم كثيراً من منتجات بلادهم لبيعها في دمشق ليستعينوا بشئها على أداء نفقات الحج ، وكثير منهم يبادلون بمنتجات بلادهم منتجات سورية ، فكانوا بذلك يجمعون بين التجارة وأداء الفريضة . وهكذا كانت خانات دمشق وأسواقها تمتلئ وتمج بخليط عجيب من الناس والأصناف والأبل والحيل ودواب الحمل ، فتروج فيها

(١) موضوع (الحج الشامي) من الباحث الهامة في التاريخ السوري الحديث . وقد ألف في هذا الموضوع كاتب فرنسي كتاباً قيمياً وهو Treason : Le Pèlerinage Syrien, Paris 1937 . ولكن أكثر ما كتبه يتعلق بالقرن التاسع عشر .

حركة التجارة ، وكان أهل دمشق ينتظرون وصول قافلة العجم باهتمام كبير خصوصا إذا كانت كبيرة العدد ، فانهم يحضرون معهم « ريات ذهب ... ولواؤ كبير وصغير وأحجار ومعادن وشال وغير ذلك » ، فيحدث — على حد تمبير البديري — « جبر خاطر لعموم الناس في البيع والشراء » (١) .

ووقع على عاتق وزير دمشق مهمة ضبط الأمن في المدينة أثناء وجود هذا العدد الكبير بها ، ورقابة الأسعار حتى لا يستبد التجار بأهالى المدينة وضيوفها ، ثم مسئولية إعداد قافلتى الحج والحمل الشريف ، وتأليف القوة العسكرية التى ستصحبهما ، والدفاع عنهما ضد أى عدوان محتمل يشنه العدو فى الطريق ، وإعداد الآبار ومنازل الحج وحراستها ، وتألف عشائر البدو بالهدايا والأموال وتوزيع الصرة على أشرف الحجاز وأموال الصدقة وغلاها على قهراء الحرمين ، وربما وجد أمير الحج مشا كل أخرى تنتظره فى الحجاز ، حيث الحصومات لا تهدأ بين شريف مكة ومنافيه من الأشراف ، فإن الإشراف لا شك كانوا يحبون ألف حساب لأمير الحج الشامى ، ولأمير الحج المصرى ، فإن كلا منهما كان يقود معه إلى الحجاز قوة عسكرية كفيفة بترجيح الجانب الذى تتحاز إليه . وهكذا غدت مسئولية وزير الشام — برصفه أميرا للحج الشامى — أخطر مسئولياته وعلى نجاحه أو فشله فى النهوض بها كان يتوقف مصيره

وقد ردت الدولة خطورة هذه المسئولية ، فكانت تتخير لباشوية الشام — عادة — من كبار رجالها ، وقد رأيت أنها مدت فى ولاية أسعد باشا العظم وإمارته الحاج أربعة عشر عاما ، إذ نهض بهذه المسئولية على خير وجه ، ولم يتعرض الحاج فى عهده لأذى عدوان ، وقد ردت الدولة الأعباء المالية (٢) التى تطلبها هذه المسئولية من باشا الشام فأعفته من المال الذى كان مقدرا على الولايات الأخرى أن تبتهه إلى الدولة

(١) ص ١٦١

(٢) قدر فولتى (ص ٢٥٩) تكاليف قافلة الحج والحمل بستمائة ألف كيس (والكيس خمسة جنيهات) ، تنفق فى شراء المشاعل والغرب والمبال ومواد التموين وأجر الجمال والأدلاء . ألم هذا عدا ١٨٠٠ كيس اعتماد الباشا أن يوزعها على المشائر الضاربة فى طريق الحج . وقال فولتى إن الباشا كان يمرض هذه التكاليف بأن كان يرث جميع المهجاج الذين يتوفون فى الطريق . وقد جرت العادة بذلك ، على أنه لوحظ أن أكثر من كان يموت فى الطريق هم أغنياء المهجاج ! .

في كل عام ، أما باشا الشام فقد اكتلت الدولة بأن فرضت عليه مبلغا بسيطا بصفة رمزية^(١) ، كما أنها عهدت إلى باشواتها في الولايات السورية الأخرى ، في حلب وطرابلس وصيدا بأن يكونوا عوناً لباشا الشام . فكانت تعهد إلى واحد منهم بأن يعد قافلة لتأمين الحاج في طريق عودتهم من الحجاز ، وكان يطلق عليها قافلة الجردة .

وقد بدأ وإلى الشام يتولى إمارة الحاج في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، أما قبل ذلك فقد جرت عادة الدولة بأن تعهد لحاكم نابلس وعجلون بإمارة الحج الشامي ، وغالبا كان هذا الحاكم يختار من كبار العسكريين بدمشق أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين ، ومنهم « بنو فروخ » وهم أسرة نابعة تولى كثير من أفرادها إمارة الحاج في القرن السابع عشر ، وكان آخر من تولى هذا المنصب منهم عساف باشا (الذي توفي في سنة ١٠٨١ = ١٦٧٠ - ١٦٧١) ، ففي ذلك العام اعترض العربان قافلة الحج الشامي ونهبوا الحجاج وسدوا الآبار وقتلوا أمير الحج^(٢) . ففي العام التالي قررت الدولة أن يتولى باشا الشام إمارة الحاج ، وقد كان « حاكما ترتعد منه الأسود »^(٣) . ومنذ ذلك الوقت أصبحت العادة أن يتولى باشوات الشام إمارة الحج في كل عام ، واستمر الجمع بين مناصبي وزير الشام وأمير الحاج الشامي لشخص واحد نحو قرن^(٤) .

وقد ظهرت في القرن السابع عشر إلى جانب أمير الحج شخصية أخرى ، ويدعى صاحبها « أمير الركب » ، وكان أحد الباشوات العثمانيين أو من رؤساء الأجناد ، ولنا نعلم على وجه الدقة اختصاصات منصبه ، ولعله أمير ركب المحمل ، فهو قائد الجند الذين يصحبون المحمل لحراسته ، بينما كان باشا الشام أميراً على القافلة كلها بما تنظم من مدنيين وعسكريين ، وعلى أي حال فسرعان ما اختفى هذا المنصب في القرن الثامن عشر ، وأصبح باشا الشام أمير الحج وأمير الركب معاً .

(١) قدره فواى بخمسة وأربعين كيساً .

(٢) المرادى: ٦٣/٢

(٣) المقار: س ٤١

(٤) هذا باستثناء بعض السنوات ، فثلا في سنة ١٨٢٤ مات باشا الشام في حمص وهو في طريقه إلى دمشق ، وكان وقت الخروج قد أوف ، فبادرت الدولة إلى تعيين باشا حلب أميراً للحجاج الشامي ، وفي مناسبة أخرى كان باشا الشام رجلاً طاعناً في السن فأناوب عنه في إمارة الحج باشا آخر أقل رتبة .

الدورة :

ويتأهب الباشا للخروج للحج قبل حلول موسمه بنحو ثلاثة أشهر ، ويبدأ هذا التأهب بالخروج « للدورة » ، وهى جولة تفتيشية يقوم بها الباشا وبعض جنده فى جهات نابلس ومجولون . ويستهدف بها أمرين :

الأمر الأول : جمع مال الدولة من سكان المناطق الجنوبية من ولايته ، وهى المناطق التى يحكم فيها أصحاب المصبات من شيوخ البلاد وزعماء العشائر . وذلك ليستعين بهذه الأموال فى إعداد قافلة الحج والحمل . وكانت لنابلس وبيت لحم والحليل شهرة فى الخروج على الدولة والامتناع عن دفع أموالها^(١).

والأمر الثانى : إظهار سطوة الدولة فى هذه الجهات التى تستمر بالقرب منها بعد قليل قافلة الحج والحمل فى طريقها إلى بيت الله الحرام .

وقد جرت العادة أن يخرج الباشا للدورة فى أواخر رجب أو فى أوائل شعبان ثم يعود إلى دمشق فى أوائل شوال ، وقد يتقدم خروجه للدورة عن هذا الموعد فيخرج فى أواخر جمادى الثانية أو فى أوائل رجب . وقد يتأخر إلى أوائل رمضان . وفى هذه الحالة لا يستطيع أن يمكث فى الدورة إلا نحو شهر ، وعليه أن يعود مسرعاً إلى دمشق ، لأن العادة جرت أن يخرج الحاج وركب الحمل فى منتصف شوال^(٢) .

وفى بعض السنوات عهدت الدولة إلى حاكم القدس — وهو باشا ذوطوخين ويعد تابعاً لوزير الشام — بأن يجمع مال الدورة . ولكن هذا كان يعد علامة لتحول الدولة عن وزير الشام^(٣).

قافلة الحج :

فى الأسبوع الآخر من شعبان يبدأ توارد الحجاج البعدين إلى دمشق^(٤) وتمتلئ المدينة شيئاً فشيئاً بالحجاج طوال شهر رمضان ، وفى منتصف هذا الشهر — أو فى الأسبوع الثالث منه — يصل ركب « الصرة أمينى » أو أمين الصرة ، وهى المال الذى

(١) فؤادى س ٢٦٠

(٢) البديرى س ٤٨ ، ٨٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٨٢

(٣) س ١٨٨

(٤) س ١١٥

ترسله الدولة لأشراف الحجاز ، وهو يبدأ عادة - رحلته من القسطنطينية في أحد أيام الأسبوع الأخير من رجب^(١)

حتى إذا ما انتصف شوال تكون الترتيبات النهائية لإعداد قافلة الحج وركب الحمل قد تمت ، فيخرج أمير الحج من سراى الحكم بقرب القلعة على رأس موكب الحمل بين ١٥ و ١٧ شوال^(٢) ويتخذ طريق الميدان مجازاً باب المصلى ثم الميدان الفوقاني إلى باب الله في طريق يمتد نحو ثلاثة كيلو مترات ، متجهاً إلى قرية الزريب ، وهى إحدى قرى حوران وتبعد نحو مائة كيلو متر جنوبى دمشق . وبعد خروج موكب الحج بضعة أيام ، من يومين إلى خمسة ، تخرج قافلة الحج الشامي من نفس الطريق^(٣) ، ويتلوها قافلة الحج الحلبى ، ومعهما حجاج المعجم^(٤) ، أو قد يأتون في قافلة خاصة بهم ، ويتجه الجميع إلى قرية الزريب ، نقطة التجمع النهائى^(٥) ، ويقضون بها بضعة أيام (من أربعة إلى ٧ أيام) ريثما يعدون أنفسهم للرحلة الشاقة إلى بلد الله الحرام فيبعون ويتناحون ، وينظم الباشا جنده ويستطلع طلع الطريق ، حتى إذا تم كل شئ تقدم أمير الحج بالحمل الشريف والجند الكشيف يشق الطريق أمام قوافل الحجاج الذين يسرون خلفه .

(١) حدد تريس Tresse وقت مباحرة أمين الصرة للعاصمة العثمانية في ٢٥ رجب ووقت وصوله دمشق بين ٢٠ و ٢٥ رمضان .

(٢) يظهر أن هذه المواعيد تقدمت في القرن التاسع عشر ، فان تريس ذكر أن الباشا يخرج يوم ٥ شوال .

(٣) ذكر تريس نقلاً عن بعض المراجع أن عدد المشتركين في قافلة الحج الشامي ٤٠ ألفاً في القرن الثامن عشر ، ثم تناقص العدد في القرن التاسع عشر ، في تقدير بور غارت (سنة ١٨١٤) ٥ آلاف (وفي سنة ١٨٣٤) ٤٥٠٠ (وفي سنة ١٨٥٣) ٧ آلاف في تقدير برتون .

(٤) قدر البديرى عدد حجاج المعجم في سنة ١١٥٤ بثلاثمائة حاج وقد جاءوا في قافلة الحج الحلبى (س ١٠) وفي العام التالى قدرهم بـ ١٧٠٠ حاج وفداه وامن الحج الحلبى أيضاً (س ٣٠) وفي سنة ١١٦٤ قدرهم بـ ١٦٠٠ حاج وقد جاءوا في قافله خاصة .

(٥) ذكر تريس أن أول مكان يقف عنده الحجاج بعد خروجهم من دمشق هو قرية القدم ، (وتقع بعد باب الله مباشرة) ويمكثون بها بضعة أيام لأجراء الترتيبات النهائية ويحدث التجمع النهائى ، ثم يخرجون منها إلى الزريب . ولكن البديرى في تقيده لقافلة الحج منذ تفصل عن دمشق لا يذكر شيئاً عن قرية القدم ، وإنما يذكر دائماً أن التجمع النهائى يكون في الزريب ، مما يجعلنا نرجح أن قرية القدم أخذت أهميتها كأول مرحلة في طريق الحج في خلال القرن التاسع عشر . أما الزريب فكان يعقد بها في موسم الحج سوق نافذة ، كما أنها كانت سوقاً لسكان جنوبى سورية . وقد بدأت الزريب تفقد أهميتها عندما تحول عدد كبير من الحجاج إلى استخدام طريق البحر الأحمر ثم سكة حديد الحجاز .

وينفض الجمع من المزيّيب ، ويعود (المزيّيباتية) إلى دمشق في أواخر شهر شوال . والمزيّيباتية هم الذين خرجوا لتوديع الحجاج حتى المزيّيب أو التجار الذين عقدوا بها أسواق البيع والشراء . يعود المزيّيباتية فيحدثون أهل الحاج بأنهم في خير حال وأنهم في طريقهم لأداء الفريضة المقدسة .

ويمضي الركب في طريقه إلى الحجاز ، فإذا كان الوقت شتاء مضوا في سيرهم نهاراً واستراحوا ليلاً ، أما إذا كان الوقت صيفاً آثروا السير ليلاً والراحة نهاراً . وهم يتقدمون إلى مكة في طريق مألوف عرف بالدرب السلطاني ، وهو أقرب ما يكون إلى البحر غرباً وهم يؤثرونه على طريق آخر إلى الشرق منه ، وهو على قصره يجتاز أرضاً مجدبة ، ويشق على الجمال الحملة اجتيازه ، وحتى في المرحلة الأخيرة من الطريق بين المدينة ومكة قد يتعرض الحجاج للبدو الضارين بين الحرمين . ويكون وصول الحاج إلى مكة في الأسبوع الأول من ذي الحجة (بين اليوم الخامس واليوم السابع) وفي اليوم التالي لوصولهم يمر أمير الحاج في موكب فخم في شوارع مكة في طريقه إلى الكعبة .

وبعد أن يقوم الحجاج بشعائر الحج يرحلون مكة عائدين إلى المدينة في أواخر شهر ذي الحجة ، ومنها إلى دمشق فيصلونها في الأيام الأولى من شهر صفر .

الجردة :

وبينا ركب الحجاج يغذون السير إلى بلد الله الحرام ، تكون الدولة قد وقع اختيارها على أحد وزرائها أو ولاتها في حلب أو طرابلس أو صيدا أو حاكم غزة إن عاد الحجاج عن طريق (الدرب الغزاوي) متنكبين الدرب السلطاني تجنباً لمخاطر الطريق . فيعكف الوزير - ويدعى حينئذ سردار الجردة - على إعداد قافلة الجردة ، وهي مؤن من بقساط وزيت وأرز وشعير وعليق وجمال وملابس تمدّه لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى الشام خشية أن يكون ماعتدهم منها قد نفذ (١) . ويصحب الجردة طبعاً طوائف من الجند لحراستها والاشتراك مع الجنود المرافقين لأمير الحاج في حراسة قوافل الحجاج في طريق العودة .

(١) قدر فولني أن الجردة كانت تكلف الباشا ٧٥٠ كيساً . وذكر البديري (ص ١٦٠) أن سعد الدين باشاً الأعظم عندما ولي حلب طالب أهلها أن يجعّوا له ٢٠٠ كيس لتفقات الجردة فعمروا وشاغروا عليه .

وقد جرت العادة أن تصل الجردة إلى دمشق من حلب أو طرابلس أو صيدا في منتصف شهر ذى القعدة — أى بعد شهر من خروج الحاج — وتغنى بدمشق بعض الوقت، ثم في اليوم العاشر من ذى الحجة أو في منتصفه تفصل الجردة عن دمشق. يقودها سردارها، وتسير الجردة في نفس الطريق الذى سار فيه ركب الحاج، وبعد أن تغنى في الطريق نحو ٢٢ يوما منذ خرجت من دمشق تصل إلى مكان يسمى هدية، على بعد قليل شمالى المدينة النورة فتقيم بها أياما فى انتظار قافلة الحج، فيكون اللقاء فى هدية، ويقضى الجميع بها بضعة أيام (قد تصل إلى أحد عشر يوما) (١) يكون الحجاج فى خلالها ضيوفاً على قافلة الجردة وسردارها، وتكون هذه الفترة بمثابة (ترفيه) عن الحجاج وتأهيا لقطع طريق العودة.

وبعد انقضاء هذه الفترة يسرع الجميع فى السفر قافلين إلى دمشق. وإذا كان أمير الحج قد سبق قوافل الحجاج وتقدمها فى طلوعها من دمشق ليشق لهم الطريق، فإنه فى طريق العودة إلى دمشق يتأخر عنهم ليكون ردتاً لهم من اعتداءات العربان. حتى إذا اقترب الركب من دمشق أنفذ أمير الحج أحد رجاله — ويعرف بالجوقدار أو الجوخدار — ليسبق الركب إلى دمشق ليشر أهلها بسلامة الحاج، إن كان قد عاد سالماً، أو يطلب إليهم النجدة إن تعرض للعدوان، وهو — فيما يقول تريس — ينفصل عن الركب فى تبوك، ويغذ السير إلى دمشق فى حراسة بضعة جنود متقدماً القافلة بسبعة أيام (٢)، وعادة يصل إلى دمشق

(١) فى سنة ١١٧٣ كان عثمان باشا الصادق وزير طرابلس سرداراً للجردة، وقد أشاد البدرى (س ٢٣١) بحسن صنيعه، عندما انتظر الحجاج فى هدية أحد عشر يوماً « وهذا أمر ما سبق لأحد غيره، وقد أغت الحجاج بالإكرام، فقد أطعم الجائع وسقى العطشان وركب الديان وكسا العربان »، وقد رت الدولة صنيعه فوكة ولاية الشام، وولت ولده ولاية طرابلس.

(٢) هذا جوخدار الباشا، أما جوخدار السلطان الذى يحمل إليه البشرى بسلامة الحاج فكان يدعى مزده حتى (musdegy) تريس س ٢٣٠، وسماه البدرى مشطجى (انظر س ٢٠٧، ٢٠٨) ويبدو مما ذكره تريس أنه فى القرن التاسع عشر كان جوخدار الباشا وجوخدار السلطان والسكراب الذى يحمل يريد الحجاج شخصاً واحداً، فقد ذكر أنه كان يحمل معمر سائل الحجاج الدمثقيين إلى ذويمهم فيدفعها إلى أحد أهالى حتى الميزان، وهذا بدوره يستأجر عملاً بحوار جامع الدرويشية ليوزع منه الخطابات إلى ذويمها. أما الجوخدار فيستمر فى طريقه إلى إسلامبول حيث تعييه طلائع الدافع ويشق شوارع العاصمة صرنديا زى أهل المدينة النورة، ثم يستقبله السلطان والوزراء فيتناولون بعضاً من تمر المدينة، الذى جلبه معه على سبيل التبرك ثم يسلم الخطابات إلى أمسحائها. وبعد إنشاء خط البرق بين الأستانة والحجاز فى سنة ١٢٩٠ لم يعد ثمة حاجة للجوخدار

. Trease, op. cit p, 252

في الأسبوع الأخير من شهر المحرم (بين ٢٢ و ٢٧ منه) حيث يستقبل باحتفالات شائقة ، وحسبه أنه بدد مخاوف الدمشقيين على ذويهم من حجاج بيت الله الحرام ، فيهرعون للاقاتهم حاملين لهم الحلوى والملابس ، كما يهرع التجار إلى الزريب ليقعوا سوق البيع والشراء .

وفي أثر الجوخدار يفدُ الكَتَّاب النير إلى دمشق . والكَتَّاب هو الشخص الذي ينفذه أمير الحاج ليحمل كتبهم إلى ذويهم ، فيصلها بعد الجوخدار بثلاثة أيام وقد يكون للدمشق ولكل من حماة وحلب كتاب آخر .

وفي أثر الكتاب — بعد يومين أو ثلاثة — يبدأ وصول الحجاج إلى دمشق فيصلونها بين ٥٢ و ٥٣ صفر^(١) ، ويستمر دخولهم إلى المدينة نحو خمسة أيام ، وفي أثرهم يدخل أمير الحج وسردار الجردة في كامل زينتهما وأمتهم .

وتقام الزينات في المدينة ويستقبل الأهالي الحجاج مهللين مكبرين حامدين الله على سلامتهم ، فيحدثهم هؤلاء عما لقوا من أهوال الطريق .

والحق أن رحلة الحاج لم تكن زهرة ، كان الحجاج من أبناء الشام يقضون في الرحلة كلها نحو أربعة أشهر (من شوال إلى صفر)^(٢) ، وكانت الرحلة حقا (قطعة من العذاب) ، ومدونات تلك الأيام تفيض بما كان يلقاه الحجاج في كثير من الأحيان من أخطار الطريق ، من ظواهر طبيعية لا يستطيعون لها دفعا ، كالحر اللافتح أو البرد القارس أو السيل الجارف ، أو من عدوان بعض العشائر البدوية ، فيعمرت منهم الألوف ، ويعود الباقيون في أشأم حال ، بينما يظل الناس في دمشق ينتسمون أخبارهم ، وخاصة كلما أوف موعدهم ، ومنهم من يخرج إلى ظاهر المدينة ، عند باب الله ، يستطلعون أنباءهم وكثيراً ما كانت أنباء سوء .

وقد تحدث البديري عما لقيسه الحجاج من أخطار في بعض السنوات : ففي سنة ١١٥٦ « جاء خبر عن الحج الشريف بأنه غرق في الحسا ... وذهب على ما قيل مقدار نصف الحاج من خيل وجمال وبغال ونساء ورجال وأموال وأحمال » وبلغ

(١) وصل الحجاج إلى دمشق في إحدى السنوات في ١٢ صفر متأخرين أسبوعاً عن الموعد المعتاد .

(٢) أما الحجاج الأتراك فيصلون إلى الآستانة حوالي ٢٥ ربيع الثاني بعد غيبة امتدت نحو ثمانية أشهر ، وقد قدرها تريس بـ ٢٦٠ يوماً .

من خطورة الموقف أن الحجاج استغاثوا بأمر الحج - وكان سليمان باشا العظم - وعرضوا عليه أن يهبوه أموالهم ولا يتركوها للعرب ، ولكن الباشا أبت عليه همته إلا أن يخاطر هو وجماعته حتى رد عليهم أحمالهم « ولم يدنس حجتة بشيء ، وقد عدوا هذه النقبة لثله من المهنم العالية والروعة السامية » .

ومضى الحجاج في طريقهم إلى دمشق ، فإذا بسيل آخر يفاجمهم في البقاء ، حتى كاد أن يهلك بقية الحاج ، وبادر الباشا فأنتد رسولا إلى دمشق يطلب النجدة من أهلها ؛ فشق شوارعها ينادى : « يا أمة محمد ! من كان يحب الله ورسوله وتمسك من الخروج فليخرج ومعه ما يقدر عليه من مأكل ومشرب وملبس ... فخرجت الخلق مثل الجراد » (١) .

وفي عام آخر (١١٦٤) فاجأ الحاج سيل في عسافان ، فأمرهم الباشا « بأن يجدوا في السير حتى ترك من العشرة اثنين » (٢) .

وقد يضطر أمير الحاج إلى تنكب الطريق السلطاني حيث تقوم الآبار وتتوافر المياه إلى طريق آخر ليتجنب عدواناً يديره الأعراب ، فلم يجد الحاج ماء فأصابهم العطش حتى مات منهم في اليوم الواحد ألف وخمسمائة حاج (٣) ، ومثل هذا كثير .

أما اعتداء العربان فكان شر ما يخشاه الحجاج في الطريق ، وقد امتلأت مصادر ذلك العصر بأنباء كثيرة عن اعتداءات العشائر البدوية ، وخاصة إذا قبض الباشا يده عن المرتبات والمنح التي كان من المعتاد تقديعها كل سنة للعشائر الضاربة في الطريق بين الشام ومكة .

ويكفي أن نذكر هنا مثلاً واحداً ، وهو النسكة التي حلت بالحاج الشامي في موسم سنة ١١٦٩ ، وكان أسعد باشا العظم قد نقل منذ زمن وجيز من باشوية دمشق بعد أن تولاه أربعة عشر عاماً حج بالناس في كل عام في أمن وسلام ، فقد كان شخصية مرهوبة خشية العربان ، فلم يجرؤوا قط على مد أيديهم بالعدوان ، فما أن نقل من دمشق حتى فشا فيها الاضطراب ، وتجرأ عربان بني صخر فاعتدوا على قافلة الجردة وقافلة الحج أشنع اعتداء ، واتهم أسعد باشا نفسه بأنه حرض العرب

(١) ص ٣٦ - ٣٧

(٢) ص ١٥٢ .

(٣) ص ١٨٨

على ذلك انتقاما لثقله من دمشق ، وصدقت الدولة هذا الاتهام ، فأعدمته وصادرت أمواله .

وقد وصف البديري هذه النكبة وصفا مؤثرا^(١) : قال إن العرب بدأوا بقافلة الجردة عندما وصلت إلى القطرانة ، حيث يضيق الطريق بين الحسا والقطرانة فيسمى البوغاز ، فهاجموا الجردة ونهبوها ونهبوا سردارها « حتى شلحوه لباسه وخاتمه من أصبه وأزلوه من تحته ... وأخذوا طبوله وأطواخه ومدافعه » . وثنى العرب بقافلة الحاج ، فأمنوا فيها قتلا وسلبا ، حتى إنهم ارتكبوا « أفعالا لا يفعلها عباد النيران » ، فقد كانوا « يسلحون الرجل ويفتشون تحت إبطه ودبره وفمه وتحت خصيته وإن وجدوا الرجل كبيرا بطنه أوله قرّ أى قبلة شقوا بطنه وبقروا قره أى قبيلته ، ويدخلون أيديهم في دبر الرجال وفي فروج النساء ، وقد كانت المرأة تضع الطين على قلبها ودبرها سترامورها فيكشفونه ... ومنهم من مات جوعا وعطشا وبردا وحرا ، وذلك بمد ما شرب بعضهم بول بعض ، وما كفى جور العربان ، بل زاد عليهم جور أهل معان ، غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاب النيران » .

ووصلت هذه الأنباء إلى دمشق ، وتكتمها المسلم ، ولكنها تسربت إلى الناس فهاجموا وهاجموا وهجموا على المسلم بالسراى ورجموه بالحجارة ، وخرجت منهم جموع تحمل مؤنا وثيابا ونعالا لمن بقى حيا من حجيج بيت الله الحرام ، وتبرع الشيخ ظاهر العمر — صاحب طبرية — باقتداء العلم النبوى والمحمل الشريف من العربان بقدر من المال .

ونختم هذا الحديث عن قافلة الحج الشامي بذكر التغيرات التي دخلت على بعض إجراءات الحج في القرن التاسع عشر ، منها التحول إلى استخدام البحر الأحمر ، وخاصة حين حلت — ابتداء من سنة ١٨٥٨ — السفن البخارية محل السفن الشراعية في نقل الحجاج بين السويس وجدة ، ثم جاء إنشاء الخط الحديدي بين الاسكندرية والقاهرة والسويس ثم شق قناة السويس فزاد استخدام طريق البحر الأحمر ، فكان الحجاج الآتون من تركيا أو شمالها يفضلون أن يأتوا بحرا إلى بيروت أو إلى الاسكندرية ، وآثر الحجاج الإيرانيون استخدام طريق خليج البصرة (الخليج الفارسي) إلى جدة . ولكن كان أعظم انقلاب في الحج هو إنشاء سكة حديد الحجاز في سنة ١٩٠٨ ، فبطل طريق القوافل تماما .

(١) س ٢٠٤ وما بعدها .

ومن التغيرات التي حدثت أيضا أنه ابتداء من سنة ١٨٥٩ صرف النظر عن إرسال قافلة الجردة اكتفاء بما يحمله الحجاج معهم من مؤن. ثم قرّر الرأي على أن ترسل حكومة دمشق قوة عسكرية من ٣٠٠ فارس ليخرجوا لحراسة الأهالي الذين يودون الخروج للافاقة ذويهم من الحجاج حاملين لهم ما يلزمهم من مؤن ، واستمر هذا الإجراء قائما حتى أنشئ الخط الحديدي فلم يعد ثمة مبرر لذلك .

والمرة الأولى — في سنة ١٨٥٣ — نجحت الحكومة العثمانية في وضع قافلة الحج تحت الحجر الصحي في خان دنون على بعد خمس ساعات من دمشق .

أما إمارة الحج فقد بقيت لوالى دمشق إلى سنة ١٨٦٦ ، حين رأت الدولة أن غياب الوالى عن مقر ولايته مصحوبا بعدد كبير من جند الولاية بضمة أشهر من كل عام يؤدى إلى اضطراب الأمن في المدينة ، فقررت الدولة الفصل بين مناصبي والى الشام وأمير الحج وعينت قائد الجندمة أميرا أو محافظا للحج . وكان قائد الجندمة يختار عادة من الضباط الأكراد من بيوت معينة^(١) .

* * *

هذا هو البديرى الحلاق ، وهذا كتابه « حوادث دمشق اليومية » .

وإن لى مع المؤلف وكتابته قصة طويلة ، تبدأ من سنة ١٩٤٦ ، حين انتدبت لتدريس تاريخ العرب الحديث لطلاب كلية الآداب بالجامعة السورية (جامعة دمشق) وكانت قد أنشئت في ذلك العام . والحق أن جامعة دمشق لها — بين الجامعات العربية — فضل السبق إلى العناية بتدريس تاريخ العرب الحديث . وتوفرت على تدريس هذه المادة ثلاث سنوات متوالية ، حفيّا بها وبالنتائج التي أخذت تتكشف لى ولطالبي فيها .

وقد أجهت منذ البداية إلى أن أتعرف على المصادر الأصلية التي ينبغي ان يستمد منها مادة التاريخ ، فأقبلت على البحث عنها في مظانها ، وكان مخطوط (حوادث دمشق اليومية) أحد هذه المصادر التي اهتديت إليها في المكتبة الظاهرية بدمشق ، فأقبلت على قراءته والإفادة منه ، وقدّرت أهميته فعزمت على نشره .

(١) Tresse. op. cit. p. 73.

والحق أني لم أكن أول من عرف البديري وكتابه وقدّر قيمته، فقد سبقني إلى ذلك كثيرون :

فالمرحوم الأستاذ محمد كرد علي ذكره في قائمة المراجع التي رجع إليها في كتابه (خطط الشام) ونقل منه فقرات .

وكتب عنه الأستاذ عمر رضا كحالة أمين المكتبة الظاهرية تعريفاً بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١) .

وعرف (حوادث دمشق اليومية) صديقنا الدكتور إبراهيم الكيلاني الأستاذ المحاضر بجامعة دمشق ، واعتمد عليه في بحثه الموجز عن أسعد باشا العظم الذي نشره في كتابه (عقريات شامية) .

وعرفه أيضاً صديقنا الدكتور صلاح الدين النجد ، وذكره في قائمة مراجع مصر العثماني في سورية التي أوردتها في صدر كتابه (ولادة دمشق في العهد العثماني) وهو الكتاب الذي نشر فيه مخطوطين صغيرين عن باشوات دمشق وقضاتها، الأول لمحمد بن جمعة المقار والآخر لرسلان بن يحيى القاري . كما أفاد منه الدكتور النجد ونقل عنه في بحثه المنشور عن قصر أسعد باشا العظم .

وعرف (حوادث دمشق اليومية) أيضاً أحد طلاب التاريخ بجامعة دمشق — السيد عبد الغني العطيّش — وقدم عنه بحثاً للجامعة

وعرف الكتاب وقدّر قيمته الأستاذ الأمير جعفر الحسني عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وأمين سره ، وبدأ — فيما أعلم — في تحقيق الكتاب في سنة ١٩٥٤ ثم توقف .

* * *

وعدت إلى القاهرة في سنة ١٩٤٩ ، وتابعت تدريس تاريخ العرب الحديث في جامعة القاهرة ثم في جامعة عين شمس ، وهدت إلى البديري ، وأقبلت على تحقيق مخطوطه بال ضبط والشرح والتعليق والمقارنة ، وأمضيت في ذلك زمناً ، ثم شغلني عنه ما يشغل الإنسان عادة من شئون الحياة والدرس . ثم كان الحدث العربي — بل الدولي — الخطير ، قيام الجمهورية العربية المتحدة ، فرأيت أن خير نحية أوجهها إلى

(١) المجلد العشرون . الجزء السابع والثامن (تموز وآب ١٩٤٥) ص ٣٧٤ — ٣٨٠

موظفى العربى الكبير أن أنشر فى القاهرة هذا الكتاب الذى يؤرخ لدمشق ويصف المجتمع فيها فى سنوات من القرن الثامن عشر . وفى خلال ذلك علت بوجود نسخة من المخطوط فى الخزانة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة ، فأقبلت على مقارنتها بنسخة الظاهرية^(١) . ثم علت بوجود النسخة الأصلية لتتقيح القاسمى للحوادث فى مكتبة الأسرة القاسمية بدمشق ، فطلبت إلى صديق الأستاذ أبو الفرج العش محافظ المتحف الوطنى بدمشق أن يراجعها ، ففضل مشكورا بمراجعتها ، وخرجنا من هذه المراجعة بأنها لا تختلف عن النسخ الأخرى ، كما انتهينا من المراجعات التى أحريناها إلى عدم العثور على النسخة الأصلية من مخطوط البدرى قبل أن تتناوله يد القاسمى بالتقيح . ونشطت لإكمال العمل ، حتى اتخذ الصورة التى يسرنى أن أقدمها اليوم .

* * *

وقد شاركنى فى إخراج هذا الكتاب أصدقاء كثيرون لا أحب أن تفوتنى هنا فرصة التنويه بفضلهم : فصديق الأستاذ أبو الفرج العش صاحب البدرى ومخطوطه معى منذ كان — أى صديق أبو الفرج — يطلب العلم فى جامعة دمشق حتى اليوم . فقد أعاننى على نسخ المخطوط من المكتبة الظاهرية وتحمس لشره ، واشترك معى فى كثير من الشروح والتحقيقات ، وقام فى دمشق باتصالات كنت أقصر عن القيام بها وأنا بالقاهرة ، فأنا مدين له بالشيء الكثير ، ومهما أفعل فلن أستطيع أن أفيه حقه من الثناء والتقدير .

كما أقدم الشكر الجزيل للسادة أعضاء أسرة القاسمى بدمشق ، لاهتمامهم بنشر الكتاب الذى قام بهذيه حدّهم الشيخ محمد سعيد القاسمى ، وللمساعدة التى تفضلوا بتقديمها ، وأخص بالذكر منهم الأستاذ ظافر القاسمى المحامى ، والسيد محمد سعيد القاسمى القيم على مكتبة الأسرة .

وأشكر الصديق الدكتور سليم عادل عبد الحق المدير العام للآثار والمتاحف بدمشق لتفضله بإعارتى بعض الصور لقصر أسعد باشا العظم بدمشق . وقد شارك صديقاى الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور المدرس بجامعة القاهرة والأستاذ عبد القادر طليمات فى مراجعة تجارب الكتاب . فأقدم لهما جزيل شكرى .

(١) فى المكتبة الظاهرية نسختان من المخطوط ولكنهما تتشابهان ، فاعتبرناهما نسخة واحدة ، ونهنا فى حواشى الكتاب إلى ما بينهما وبين نسخة التيمورية من اختلاف ، لا يعدو لسقاط أو زيادة بعض الكلمات أو العبارات .

و كنت أود أن تناح لى فرصة تقديم هذا الكتاب للعالم الأستاذ خليل مردم بك
رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق تقديراله على ما قدم من تشجيع لنشر الكتاب وعلى
ما أبدى من استعداد لطبعه على نفقة المجمع ، فإذا كان موت الأستاذ أخيراً قد حاله
دون تحقيق أمنيتى ، فالشكر أقدمه لزملائه الأفاضل رجال هذا المجمع .

أما أستاذى السيد محمد شفيق غربال فإن مابدلته فى تحقيق هذا الكتاب إنما هو
أثر من فضله على الدراسات التاريخية بعامة وما يتعلق منها بتاريخ الأمة العربية
بخاصة ، وقد تم نشر هذا الكتاب فى مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
التي تترأس برئاسته بتركية من المجلس إدارة الجمعية ، فالشكر خالصاً أقدمه لسيادته
ولزملائى المحترمين أعضاء المجلس .

* * *

وبعد فهذا كتاب فى تاريخ دمشق تضافرت على إخراجه ثلاثة جهود تنتمى إلى
ثلاثة قرون متوالية فى دمشق والقاهرة ، ألفه حلاق دمشق فى القرن الثامن عشر ،
وتناوله بالتقيح والتهديب عالم من علماء دمشق فى القرن التاسع عشر ، ثم وقف على
تحقيقه ونشره للناس مشغل بالتاريخ فى القاهرة فى القرن العشرين .

أحمد عورت عبر الكريم

١٩٥٩ / ٨ / ٨

تنقيح العالم الفاضل الأديب الكامل

الشيخ محمد سعيد القاسمي

لحوادث دمشق اليومية

الواقعة من سنة ١١٥٤ إلى سنة ١١٧٦

التي جمعها الشيخ أحمد البديري

الحلاق الدمشقي

رحمهما الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن تفرّد بالبقاء ، وتوحد بالربوبية والكبرياء ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء ، وعلى آله الأصفياء وأصحابه
الأتقياء .

أما بعد ، فإن حوادث دمشق الشام الیومیة التي صدر غالبها
في أيام الوزيرین العظیمین : سليمان باشا وأسعد باشا اللذين هما من
أعيان وزراء بنی العظم العظام ، جمعها الفاضل شهاب الدين أحمد بن بدير
البدري الشهير بالحلاق ، من سنة ١١٥٤ إلى سنة ١١٧٦^(١) قد اشتملت
على غرائب وعجائب وأهوال ، ولبسطة مؤلفها كتبها بلسان عامي ،
ثم أظن بزيادات كلمات وأدعية مسجعة على سامعها ويسأم قارئها ،
فحذفت القشر من هذه الحوادث ووضعت اللباب ، وهذبها على
حسب^(٢) الاستطاعة بالصواب ، وإليه تعالى المرجع والمآب ، آمين .

(١) توافقت هذه الفترة من سنة ١٧٤١/١٧٤٢ إلى سنة ١٧٦٢/١٧٦٣ ميلادية .
ولكن الواقع إن المؤلف وقف بحوادثه عند سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ - ١٧٦٢)
كما نوه بذلك القاسمي منقح المخطوطة في آخرها .
(٢) في نسخة التيجورية : سيل .

سنة ١١٥٤

قال البديرى رحمه الله ما معناه : وفى سنة ١١٥٤^(١) كان والياً بالشام الحاج على باشا من الأتراك^(٢) وذلك بعد مضى إحدى عشرة سنة من جلوس مولانا السلطان محمود خان^(٣) بن السلطان مصطفى خان ، أيد الله عرش هذه الدولة إلى آخر الدوران .

جرى على لسان العامة أنه سيحدث بدمشق الشام زلازل عظيمة تهدم بسببها أما كن كثيرة ، وأن الرجال ستقلب نساء ، وأن أنهار الشام تجرى طعاما . وتحدثوا فى حوادث كثيرة من مثل هذه الخرافات ، وصاروا يتداولونها فيما بينهم ، ولم يحدث شئ فيما بعد من هذه السنة .

وكانت هذه السنة سنة فلاء فى الأقوات وغيرها ، حتى بلغت أوقية السمن بخمسة مصارى ونصف^(٤) ، ورطل الأرز بستة عشر

(١) يوافق أولها ١٩ مارس ١٧٤١ .

(٢) هو على باشا بن عبدى باشا ، وقد نقل من بلغراد إلى دمشق والياً ، ومكث ثمانية أشهر من أواخر شعبان ١١٥٣ إلى أواخر ربيع الثانى ١١٥٤ (١٧٤٠) — (١٧٤١ م) [انظر محمد بن جمعة المقار : الباشات والقضاة ، نشرة الدكتور صلاح النجد ص ٦٨] وذكره القارى [وزراء دمشق . نشرة النجد أيضاً ص ٧٨] باسم على باشا أبو قبلى . وقال إنه كان حاكماً عادلاً كريماً يحب الفقراء والمساكين . أما الأمير حيدر الشهابى (تاريخ الأمراء الشهابيين ج ١ ص ٣١) فذكره باسم : على باشا أبو ريشة .

(٣) حكم السلطان محمود الأول من سنة ١٧٣٠ إلى سنة ١٧٥٤ .

(٤) مصارى جمع مصرية وهى عملة من فضة رخصت الحكومة العثمانية للحكومة مصر بسكها بدار السك بالقاهرة ويطلق عليها أحياناً البارة ، والقرش أربعون بارة ، ولزال أهل دمشق يسمون النقود مصارى .

حصرية، ومدّ الشعير بثمان مئاري، والخبز الأبيض بأثنى عشر مصرية،
ورطل البكمك بأربعة عشر مصرية والخبز الأسمر رطله بخمسة
مصارى.

وكان في العام الذي قبله الحاكم بدمشق الشام عثمان باشا المحصل^(١)،
أخرج الأورطة إلى القيقول^(٢) من قلعة الشام. ففهم من نفاذ، ومهم
من قتله، والذي بقي كثر له كورحات^(٣) بعد شهادة جماعة من الناس بأنه
غير زرب^(٤)، ولا وقع منه فساد. وشدت شملهم في جميع البلاد^(٥)،

(١) في النسخة اليدوية يكتب اسمه «المحصر» بالراء، والصحيح ما أثبتناه
هنا (المحصل). انظر الآثار من ٩٧٠ والأمير حيدر ج ١ ص ٣١، ٣٢.
وسيشير البديري (في حوادث سنة ١١٧٥) إلى وفاة عثمان باشا المحصل عند ما
كان حاكماً على جدة.

(٢) القيقول تحريف للتركية قبوقول، ومعناها عبيد الباب ويقصده جند
السلطان أو حرسه. والكتاب جائل بأخبار الزاعم بين القبوقول والانكشارية،
أي بين جنود الدولة والجنود المحلية. وسيدكر البديري بعد ذلك في حوادث سنة
١١٥٩ إعادة القبوقول إلى دمشق في عهد أسعد باشا العظم.

(٣) أي حلّ له عمامته، علامة على أنه أصبح لا ينتمي لهذا الأوجاق، وجاء
في رواية للقتار عبارة تمشي مع عبارة البديري، قال القار (ص ١٠٦)؛ والذي استقام
في دمشق غير زربه وصار من جملة الرعايا.

(٤) زربه بمعنى (شقاوته) أي ترك الشقاوة. وكان (الفتوات) يطلق عليهم بالشام
(زربوات).

(٥) تتفق رواية البديري عن حادث تشييت القيقول من دمشق مع رواية محمد
ابن جمعة القار، قال ص (٦٨): «وفيها — أي في سنة ١١٥٣ — وقعت الشواشر
بين الفي فول والأنكجربة (الانكشارية) وسككرب (بمعنى أنفقت) دمشق،
وتفرقت الفي فول في الحارات، وعملوا النازيس، وسككروا البوابات، ثلاثاً أحد =

وكان ذلك إصلاحاً . وقد قتل الشرّ من دمشق الشام واصطلحت
أحوال الناس .

وكان محيى . الجوخدار^(١) من الحج بمشراقى اليوم السابع والعشرين

== يهجم عليهم ... وفى أثناء هذا الأمر جاءت أودتين (أى أوردتان) من الدولة العلية ،
فلما دخلوا وقع منهم مفسد ، وشاركوا أهل الحرف ، وصار منهم التمدى والفساد ،
فوقع رأى ساداتنا العلماء والأكابر وحاكم دمشق بإخراجهم إلى جهنم وبئس المصير .
وكان غالب القبي قول حَوْش (وقد ظنها الناشر : وحوش ، وكتبها هكذا ، ولكنها
(حَوْش) بمعنى أراذل أو أسافل) ، ووقع منهم مفسد وأمور تقشعر منها الأبدان ،
وبقية القبي قول هرب وسافر . والذي استقام فى دمشق غير زيه وصار من جملة
الرعايا . وكان سبب هذا الأمر دعوة شيخنا وأستاذنا قطب العارفين الوارث المحمدي
سيدى الشيخ عبد الغنى النابلسى قدس الله سره العزيز ، فمرت الدعوة عليهم فى سائر
البلاد فزعمهم الله كل بمزق . » وقد توفى الشيخ عبد الغنى النابلسى أ كبر تلامذة الصوفى
الكبير الشيخ محيى الدين بن عربى فى سنة ١١٤٣ (١٧٠٠ - ١٧٣١) أى قبل
وقوع هذه الفتنة بعشر سنوات ، وقد شهد كثيراً منها فى أواخر أيامه فدعا عليهم ،
وكان لأهل الشام فيه اعتقاد كبير . انظر ترجمته فى سلك الدرر فى أعيان القرن .

الثانى عشر للرادى ج ٣ ص ٣٠ - ٣٨ .

[١] جوخدار من التركية چوقدار أو چوقه دار ، والمعنى الأصلى فتى من فيان .

القصر السلطانى ، ثم أصبحت الكاحة تطلق على رسول السلطان أو الوالى .

انظر: Nicolas Turc: Chronique d'Egypte 1798 - 1804. p. 297. نسخة فريت.

Haim Nahoum: Recueil des firmans impériaux ottomans.

p. 358.

والجوخدار هنا هو الرسول الذى يرسله أمير الحج إلى دمشق ليبشر الناس

بعودة الحجاج قبل وصولهم بيضة أيام ، وقد جرت العادة أن يفصل الجوخدار عن

قافلة الحج فى تبوك ، فيصل إلى دمشق قبل الحجاج بسبعة أيام . وقد ذكر تريس

Tresse: Le pèlerinage syrien aux villes saintes de l'Islam,

p. 250 - 252. نقلا عن كورانسيه فصل فرنسا بحلب فى أوائل القرن التاسع عشر

= Corancez: Histoire des Wahhabis p.187. أن الجوخدار كان يحمل كتاباً من

من شهر المحرم . ودخل الكتاب^(١) تلك السنة ليلة الأربعاء ثالث ليلة من شهر صفر . وكان الكتاب [١٢] باكر بشة الحامى ومعه جماعة . ودخول الحج إلى الشام كان نهار السبت ثانى يوم بعد مجيء الكتاب ، ولم يزل ينجرّ وينسحب خمسة أيام حتى دخل المحمل . وذكر الحاج أنهم داروا في هذه السنة دورتين بين الحرمين ، وصار هليهم غلاء وبرد كثير ، وقتل ابن مضيان شيخ عرب بين الحرمين بعد قتال وقع بينهم وبين والى الشام أمير الحج^(٢) .

== شريف مكة إلى السلطان العثماني يبشره فيه بسلامة الحاج ، فيقدمه إلى السلطنة وقت الاحتفال بمولد النبي في جامع السلطان أحمد بالقسطنطينية ، ولهذا دعاه كورانسيز (متردده جى) « le muz degy bachi » أى حامل البشرى . وقد جعل تريس الجوخدار والكتاب شخصاً واحداً ، فقال إن الجوخدار يحمل معه رسائل الحاج الدمشقيين إلى ذويهم ، لهذا كان الجوخدار يقابل في دمشق بأعظم مجالى الفرح وما أن يعلن الجوخدار اقتراب الحاج حتى يهرع أهلهم للملاقاة يحملون إليهم مؤناً وملابس . (١) الكتاب بفتح الكاف وتشديد التاء هو الرجل الذى يسبق الحاج إلى دمشق ليحمل بريدهم إلى ذويهم .

(٢) كان أمم واجبات والى الشام بصفته أميراً للحاج الشامى أن يدفع عنهم اعتداءات القبائل العربية التى تنوى بهم شراً . وقد وصف المقار الحرب التى دارت بين على باشا والعرب ، قال (ص ٦٨) : « وجاء [الباشا] من طريق لم يكن أحد يعرفه ، لأن عرب حرب كانوا رابطين للحاج ، ودخل الباشا والحج إلى المدينة النورة من ناحية جبل أحد ، فزار حضرة الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وخرج من المدينة إلى أن وصل إلى وادى العقيق ، فخرج عليه العرب من الجبال ، فقام هو وجماعته وجمع الحاج وقائلوهم ، فقتل من العرب جماعات كثيرة ، وتجرع جماعة لا تحصى ، وانتصر الباشا والحاج عليهم وانهمزوا مخذولين بإذن الله سبحانه وتعالى وببركة الرسول عليه الصلاة والسلام . » وقد حفلت مصادر ذلك العهد بأخبار اعتداءات العربان على قوافل الحج .

ثم أقام مدة بعد مجيئه من الحج ، والناس في أمن وأمان ثم عزل -
 ووجهت الدولة العلية الشام على سليمان باشا بن العظم ^(١) ، فأرسل
 سليمان باشا قبل دخوله للشام سلحداره ^(٢) زوج بنت الوفاي متسلما ^(٣)
 وبقي نحو شهرين لم يدخل الشام ، ثم أتى ونزل على البقاع ^(٤) ، وأراد
 محاصرة جبل الدروز ^(٥) ، فصالحوه بمال عظيم حتى أرضوه ^(٦) . ودخل

(١) هذه هي الولاية الثانية لسليمان باشا العظم على دمشق ، الأولى من ١١٤٦
 إلى ١١٥١ (١٧٣٣ — ١٧٣٨) منتقلا إليها من صيدا ، والولاية الثانية من ١١٥٤
 عائداً إليها من مصر إلى أن مات في طبرية سنة ١١٥٧ (١٧٤١ — ١٧٤٤) ،
 ثم خلفه على دمشق ابن أخيه إسماعيل باشا وهو أسعد باشا العظم الذي مكث والياً على
 الشام ١٤ سنة .

(٢) السلحدار حامل السلاح أو الموظف الذي يعهد إليه بالإشراف على دار
 السلاح . وكان من الناصب الهامة في عهد سلاطين المماليك أيضاً .

(٣) التسلم في السلك الإداري العثماني بمثابة التصرف على إحدى الصناجق ،
 وقد جرت العادة أن يبعث الباشا أحد رجاله (ليتسلم) إدارة الباشوية قبل وصوله ،
 ويدعى في هذه الحالة بالتسلم .

(٤) سهل البقاع أخصب أراضي لبنان ، ويقع إلى الشرق من جبال لبنان ،
 بين الشام والجبل .

(٥) لا يقصد بجبل الدروز هنا جبل الدروز الذي هو جزء من سورية ،
 ويطلق عليه الآن اسم (جبل العرب) وإنما يقصد به جبل لبنان ، وكان أكثر
 أهله في ذلك الوقت من الدروز .

(٦) يشير البديري إلى القتال بين والي الشام والشهابيين أمراء الدروز ، وقد
 خلف الأمراء الشهابيون الأمراء المنيين في حكم جبل لبنان ، وكان أميرهم في ذلك الوقت
 الأمير ملحم الشهابي ، وقد ارتفع شأنه — على حد تعبير الأمير حيدر مؤرخ لبنان
 في عهد الشهابيين ج ١ ص ٣٠ — « وسرت هيته في دياره وقويت به عزيمة أهل
 بلاده وأمصاره ، فطفقوا بمدون الأيدي على غير ديار [أي إلى ديار أخرى] =

الشام نهار الخميس ثانی عشر جمادى الثانية فى هذه السنة المذكورة
وهى سنة ١١٥٤ . وبعد ثلاثة أيام من دخوله صلب ثلاثة أشقياء من
العرب ، وبعد ذلك أبقي كل شيء على حاله ولم يحرك ساكناً .
وكانت السنة التى دخل فيها بظهر اسمين من أسمائه تعالى : وهما
قيوم حفيظ لسنة ١١٥٤ ، نظمها الشيخ عبد الرحمن البهلول^(١) أحد أدباء
الشام بيت ، فقال :

بهذا العام فيهم قد تجلى . . مع التاريخ قيوم حفيظ
١٥٦ ٩٩٨^(٢)

= ويقولون على أهل الجوار ، فلما عاثوا فى قرى البقاع خرج إليهم باشا الشام وحاصرم
حتى صالحوه على مال عظيم قدره المؤرخ اللبناني بخمسين ألف قرش . ويلاحظ أن
الأمير حيدر ذكر نبأ ذلك القتال فى حوادث سنة ١١٤٤ بينما ذكره البدرى فى
حوادث سنة ١١٥٤ . وقد أشار الشدياق (أخبار الأعيان فى جبل لبنان ص ٣٦٩)
إلى النزاع بين سليمان باشا والأمير ملحم الشهابى ، وقد « اعترج جدآ وتعاضم أهل
بلاده وطفقوا يمدون أيديهم إلى ما يجاور بلادهم ويمخرون فى البقاع » .

(١) هو السيد محمد عبد الرحمن بن محمد الشاكر ويكنى بالبهلول ، كان من
تلامذة الشيخ عبد الغنى النابلسى ، وقد لقبه النابلسى (شيخ الأدب فى الشام) ، إذ كانت
له يد فى النظم ، خصوصاً فى التاريخ . وقد مدح البهلول أستاذه النابلسى بقصيدة
طويلة ، كل شطر بيت منها يحمل تاريخاً واحداً ، وهو سنة ١١٣٦ هجرية (انظر
القصيدة فى كتاب (لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين للأمير حيدر الشهابى . القسم
الأول ص ٢٢ — ٢٨) . ولكن البهلول عانى فى حياته كثيراً ، حتى إنه — قبلما
روى المرادى — حج ماشياً على قدميه فى الذهاب وفى الإياب ، وقد ترجم له المرادى
فى سلك الدرر ج ٢ ص ٣١٠ — ٣١٧ وأورد طائفة من شعره . وسذكر البدرى
وفاة الشاعر البهلول فيما يلى من كتابه فى حوادث سنة ١١٦٣ (١٧٤٩ — ١٧٥٠) .
(٢) جاء هذان الرقآن فى نسخة المكتبة التيمورية ، ومجموعهما ١١٥٤ وهى
السنة التى جاء فيها سليمان باشا العظم إلى دمشق .

وفي هذه السنة كان صوم رمضان الجمعة ، ثم ثبت في آخره أن
الشهر كان أوله الخميس ، وخرج المحمل الشريف مع الباشا في منتصف
شوال نهار السبت ، وثاني يوم جاء الحج الحلبى ، ومعهم من العجم نحو
الثلاثمائة . وبعد أربعة أيام خرج الحج ، وبقيت شردمة من الحاج
لأجل دفتر دار السلطان محمد دخان ، فخرج ثاني يوم الخميس ، وخرج
الحاج كان في كانون الأول^(١) والبرد في غاية الشدة ، وبقي الصقيع
والجليد في الأرض نحواً من خمسة وعشرين يوماً ، والشمس طالعة
والجليد لا يذوب ، حتى قيل إنه مارؤى مثلها ، فقد يست الأشجار ،
وعدمت الثمار على الخصوص الليمون والكباد والنارج ، حتى يبيع رطل
الفحم بالشام بثلاثة مصارى . وأخبرت المزيربانية^(٢) بعد رجوعهم أنه

(١) شهر ديسمبر .

(٢) المزيربانية نسبة إلى المزيرب وهى قرية من قرى حوران تبعد نحو مائة
كيلومتر إلى الجنوب الغربى من دمشق . وكانت محطة هامة تنزل بها قافلة الحاج
الشامى قبل أن تبدأ المرحلة الأولى في طريقها إلى الحجاز . وقد جرت العادة أن
يمكث بها الحاج بضعة أيام ليتخذوا الترتيبات النهائية للتموين وغيره وينتظم الجند
الرافقون لأمر الحاج . ولهذا كانت المزيرب في موسم الحج سوقاً تجارية نابضة .
والمزيربانية هم الأهالى من تجار وغيرهم الذين عادوا من المزيرب بعد أن ودّعوا
الحجاج وباعوهم ما احتاجوا إليه .

وفي الأرجوزة التى نقلها تريس (Tresse: op. cit. p.212) عن أحد أهالى
حى الميدان وكان يتغنى بها الحاج هذا القطع عن المزيرب . وهى الرحلة
الأولى في طريق الحج :

وصفنا المزيرب . . . وكتبنا المكاتب

وفي قلبى تلهب . . . لك يا نبينا

بيع رطل الفحم كل ثلاثة أرطال بقرش .

وفي هذه السنة خرجت [٢٢] الجردة^(١) نهار السبت السابع والعشرين من ذى القعدة ، وصار عليها سردار يعقوب باشا المتولى على مدينة حلب ، وقد ذكر له سيرة مرضية وعدل بالرعية .

قال الشيخ أحمد البديرى : وقد قلت فى هذا العام ، وهو عام ١١٥٤ هذا المواليا فى حق من أظهر الكذب والأراجيف التى قدمنا ذكرها ، حيث قلت :

(١) الجردة هى القافلة التى تحمل المؤن إلى قافلة الحاج وهى فى طريق عودتها من الحجاز ، وكان يمد قافلة الجردة ويقودها إلى الحجاز أحد باشوات حلب أو طرابلس أو صيدا ، وإذا أثر الحجاج فى طريق عودتهم أن يسلكوا الدرب الغزاوى على الدرب السلطانى (وهو أقصر من الأول ولكن أقل أمناً) إشاراً للسلامة من اعتداءات الأعراب كان أهل غزة يمدون جردة محملة بالمؤن ويخرجونها حاكم غزة لملاقة الحاج فى معان . وقد ألحقت الدولة ميناء اللاذقية بياشوية طرابلس ليستعين الباشا بإيراداتها فى إعداد الجردة التى يقودها ، وكانت مهمات الجردة تتألف من بسماط وزيت وأرز وشعير وعليق وحبال وملابس مما ينفع الحجاج ، خوفاً من أن يكون ما عندهم منها قد نفذ . وقد قدر فؤلوى أن الجردة كانت تكلف الباشا ٧٥٠ كيساً (والكيس خمسة جنيمات) وكان باشا طرابلس بوصفه قائداً للجردة فى أكثر الأحيان — يقيم أربعة أشهر فى طرابلس ومثلها فى اللاذقية ليجمع إيرادها ، أما الأشهر الأربعة الباقية من السنة فيقضيها فى مهمة الجردة ذهاباً وإياباً . انظر : فتح الله بن أنطون صائغ : القرب فى حوادث الحضرة والعرب ص ٣٣-٣٣ مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس و Volnéy : Voyage en Egypte et en Syrie p.243, 245, 278. وقد ذكر Tresse (ص ٢٤٦) أن قافلة الجردة كانت تخرج من دمشق فى يوم ١٤ ذى الحجة وتقابل قافلة الحج فى طريق عودتها فى هدية على بعد ٢٢ يوماً من دمشق و ٣ أيام من المدينة المنورة . وفى اليومين اللذين =

من كثر كذب الروافض دبّ فينا الشيب
ما يعلّو الكذب أنه من شروط العيب

من جهة الزلزلة قالوا كلام الريب
هم الملاعين صاروا يعلّو بالغيب
[١٣] غيره

في ليلة السبت خامس عشر في محرم
مالو لقول الروافض زور ومحرم

من جهة الزلزلة النوم تحرم
من نام تحت السقونة يا أخى بالليل
شم الهوى بين أطرافه يبتحرم
غيره

ياناس كذب الروافض شاع في الأقطار
وصيّرونا نساً نقعد بوسط الدار

= يقيمهما الحجاج والجردة في هدية يكون الحجاج ضيوفاً على قافلة الجردة ، ثم تعود القافلتان معاً إلى دمشق ، على أن تسبق قافلة الجردة قافلة الحج ببضعة أيام ، وتستغرق قافلة الجردة في رحلتها في الذهاب والإياب خمسين يوماً . وأضاف Tresse أن باشا طرابلس (أو الجردجى باشا) كان يستغل هذه المهمة فيجمع في فرض المغارم على التجار الفرنسيين ، وتدخلت السفارة الفرنسية في القسطنطينية ، فأصدر السلطان فرماناً للباشا والقاضي بمنع ذلك .

ينزل عليهم غضب واحد أحد قهار
روّعوا الخلق في هل زلزلة ياناس
همو حمير اليهود جوا سقر في النار
غيره

بثبوت إن الروافض يوم الحشريا أخيار
حمير للركب للخاخان والجوقار^(١)
راموادسياسة بجاق^(٢) عمت الاقطار
في ليلة السبت قالوا الزلزلة بتصير
هل يعلم الغيب إلا الواحد القهار
غيره

في ليلة السبت قالوا الزلزلة بتصير
والطفل من عجبها بين الوري بتجير
أسألك يارب بمن جا للأنام بشير
تمسح روافض أهل الشام يا معبود
واحرق آباهم وغور^(٣) كورهم^(٤) والبير

(١) لعله يقصد الخاقان والجوقدار .

(٢) جلق هي دمشق .

(٣) لعله يقصد كور إسماعيل قائد القبو قول ، وقد قتل في الفتنة التي قامت
في تلك السنة بين القبو قول والإنكشارية وأدت إلى طرد القبو قول من دمشق
وقد أشار إليها البديري والمقار (أنشودة النجد ص ٦٨) .
(٤) لعلها : في .

قد قالت الناس كذبة ما سمعناها
 أنهار الشام يا أخى ينقع ماءها
 تجرى طعام بدال الماء مجراها
 فاختية^(١) ورز أصفر ولحم سمين
 قوموا انظروا للكيب والسمن غطاها
 غيره

سمعت واحد يقول يا أخى قساظلكم
 هي عاطلة تا قوم^(٢) معكم أعاونكم
 لأن أدهانها الألوان^(٣) تساعدكم
 وتخبوها لأيام الغلا والقحط
 لا يجبسوها الكيب فى دربها عندكم
 غيره

فى سنة أربع مع الخمسين يا سادات
 سمعت أخبار ما سمعت^(٤) بها عادات^(٥)

(١) لون من ألوان الطعام بالشام .

(٢) أى حتى أقوم .

(٣) ها الزلزلة وها الألوان أى هذه الزلزلة وهذه الألوان .

(٤) صارت : فى النسخة التيمورية .

(٥) لعله يقصد أهل عاد .

زادوا بأسرافهم ما سمعوا الكلمات
الكل لله والأعمال بالنيات
غيره

أستغفر الله ربى باعث الأرزاق
واحد مهيمن تجد كلها إطلاق
وامدح المصطفى هو صفوة الخلاق
[٣ ب] يغفر لكم ومعكم أحمد الخلاق

سنة ١١٥٥

تم دخلت سنة ١١٥٥^(١) وأولها يوم الخميس وهو أول المحرم .
وبعد خمسة أيام كان أول آذار^(٢) . وفي تلك الأيام ظهر كوكب وصار
يطلع كل ليلة من جهة الشرق من نصف الليل إلى طالع الفجر ، وله
ذنب طويل ، ومكث أياماً ثم غاب . وقد عمل بعضهم تاريخاً يتضمن
تاريخاً لدخول هذه السنة وهى :

محمد الله الذى أوهبنا	حسن عام وجبانا بالكرم
هل هذا العام يا قوم انظروا	لفظة التاريخ فالايتنم
فاضرعوا لله فى إمامه	بنجاح إنكم خير أمم
وابشروا يا أمة الهادى الذى	خصه الله بفضل وحكم

(١) أولها يوافق ٨ مارس ١٧٤٢

(٢) شهر مارس .

فضل ربى عمنا تكمرة ليس يحصى شكر هاتيك النعم
وكذا كل الورى قد عمهم لطفه سبحانه بارى النسم
وخصوصا هصبة الشام التى هى للأبدال مأوى ملازم
كيف والسادات^(١) قد حلّوا بها سرهم عم لسهل وأكم
فاشكروا الله على عام آنى أظهر التاريخ حفظا ونعم

وكان دخول جو قدار سليمان باشا الوزير ابن العظم سنة ١١٥٥
فى يوم السبت الواقع فى رابع وعشرين من شهر محرم من السنة
المذكورة . وفى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم أقبل كتاب^(٢)
الحج الشريف . وئارت فى اليوم المذكور ريح شديد يوهين ولياتين قلعت
أشجارا كثيرة وهدمت أماكن لا تحصى . ووقع فرع عظيم من شجرة
الخرنوبة التى فى الحضرة على رأس غلام مرأق فأت لوقته ورجلين
آخرين فمشمهم ، وسكن الريح بوقته .

وفى يوم الاثنين ثالث صفر من السنة المذكورة دخل الحاج
الشامى إلى دمشق ، ودخل سليمان باشا العظم ثانى يوم . وكان صحبته
يعقوب باشا سردار الجردة المنفصل عن حلب . وكان الحج فى تلك
السنة بأمن وأمان ورخاء ورخص ، غير أن الباشا ذهب بين الجرحى
من قبا وخرج من جبل عرفات من عند قبة النور ، وآب راجعا من
الطريق الذى جاء منه على باشا .

(١) السادات الأشراف أو السادة .

(٢) انظر فيما سبق ص ٧ حاشية رقم (١)

قال [البديري] : وفي ذلك العام [١٤] تأخر بحجى . الفرمان المقرر على سليمان باشا عظم زاده ^(١) ، فلفطت الآراذل والأسافل بالقول والفعل وأظهروا بدعا كثيرة من محض الحرام ، ولا زالوا على تلك الأحوال حتى جاء الفرمان ، وكان دخوله صبيحة رابع جمادى الثانية من السنة المذكورة ، وكان القاضى بالشام عبد الوهاب أفندى الملقب بأزاده . وفي ذلك العام أمر فتحى أفندى ابن القلانسى الدقترى ^(٢) فى تعبير طريق الصالحية ، فقلب بلاطه وعمر صفته وأصلح حاله مع الناس .

(١) أى ابن العظم .

(٢) كان الدقترى أو الدفتردار من الشخصيات البارزة فى دمشق فى ذلك العهد وهو المشرف على حسابات الولاية ، والقلانسى تحريف للقلانسى نسبة إلى قلانقس من أعمال حمص وقد اشتهر بالجرأة والإقدام ، وتولى النظارة على وقفى السلمانية ، وكانا من أهم الأوقاف بالشام ، وصاحب العلماء والأدباء والكتاب وأرباب الموسيقى والضحكين ومدحه الشعراء ، حتى إن أحد أدباء عصره وهو الشيخ سعيد الدمان جمع مدائحه فى كتاب سماه : الروض النافع فيما ورد على الفتح من المدائح . وكان الدقترى نفسه يقرض الشعر ، وكانت له عصبة قوية ، فوضع أتباعه فى المناصب الهامة بالشام ، غير أنهم عرفوا بالفسق والفجور ، واستبد الدفتردار بالأمر وكثرت ثروته وعظم نفوذه ، حتى طغى وتجبر ، وجاهر بالمظالم ، وكان يحمى أصحاب الشر من رجال أو جاق الإنكشارية المحلية (البرلية) الذى كان هو ينتمى إليه ، وقد عظم فسادهم ، « وكلهم — فيما يقول الرادى — ينطقون بلسان واحد كأنهم روح فى جسم واحد » ، حتى هزوا بالبasha نفسه — وهو أسعد باشا العظم ، فاستصدر أمرا بقتله ، و « ضمن الدولة تركته بألف كيس » وخلق الدقترى فى « الحنة » بمرأى دمشق ، وأرسلت رأسه إلى القسطنطينية وصودرت أمواله للدولة ، وكذلك فعل أسعد باشا مع أتباع الدقترى . (المرادى : سلك الدرر ج ٣ ص ٢٧٩ وما بعدها) . وسيتحدث البديرى بعد ذلك فى حوادث سنة ١١٥٩ =

وفي غرة رجب المبارك من السنة وهى سنة ١١٥٥ جاءتنا جارية^(١) مباركة ، وكنا قد اشترينا لنا منزلا جديدا فى محلة التعديل ، وكنا فى ضيق فقنا : لعل بقدمها يحصل لنا الفتح والفاحة ، فسميناها صالحة ، جعلها الله تعالى فالحة .

وفى ٢٢ من جمادى الثانية عمل حضرة سليمان باشا العظم دوانا ، وجمع فيه الافندية والاغوات ، وأخرج خطأ شريفا^(٢) بالعدل والتفتيش على المفسدين فى دمشق من الانكشارية ، وطلب رؤساء الميدان^(٣) وهم الاغوات للحضور ، فأبوا وأرسلوا له يسألونه ما يريد ، فأرسل يطلب منهم ستة عشر رجلا من الاشقياء الذين يسموهم باصطلاحهم زرباوات^(٤) ، فأرسلوا يقولون له : نحن لا نقدر هلى

= من مصرع فتحى الدفترى ويد كرسياته وحسناته . وقد قال يصف نفوذه فى أوائل حكم أسعد باشا العظم : « كان هو السلطان فى الشام وصاحب نفوذ الكلام وكلامه يقضى الأشغال والأمر مفوض لئى الجلال » .

(١) يقصد المؤلف أنه ولدت له بنت .

(٢) هو فرمان السلطانى وعليه خط السلطان

(٣) حى الميدان من أقدم أحياء دمشق ، وكان فى أول الأمر بمثابة ضاحية لها تقع إلى الجنوب منها فى طريق الحج ، وكان معقل الانكشارية المحلية (البرية) وعرف بهذا الاسم نسبة إلى (ميدان الحصى) القديم وهو قريب منه . سوقاچيه : دمشق الشام ، لمحة تاريخية ص ٤٥

(٤) الزرباوات هم (الفتوات) فى الاصطلاح المصرى . انظر فيما سبق ص ٥

إلقا. القبض عليهم فدونك وإياهم . فبالحال أزال عنهم كدكاهم^(١) ،
ووجهها على غيرهم وأعطى أسماءهم للدلال ، وأمره أن ينادى فى شوارع
الشام أن هؤلاء الستة عشر دمهم مهدور ولا جناح على من قتلهم
وغيرهم فى أمن وأمان من سليمان باشا . ففرحت الناس أجمعين ، لأنهم
كانوا من أعظم المفسدين . وثانى يوم قتلت الدالاتية^(٢) رجلا أنكشاريا ،

(١) كدكات جمع عربى للكلمة التركية كدك (gedik) ومعناها الأصلية
امتياز أو إعفاء ، ثم تطورت إلى معان شتى ، فهى تعنى أحيانا السند الذى يتسلم به
الجندى راتبه ، وهى هنا بمعنى التمكين من مزاولة صناعة ما ، وكان يعد نوعا من
الملكية يمكن التنازل عنه أو بيعه أو توارثه عند وفاة صاحبه . وإذا أراد مشتغل
بحرفة أن يحصل على كدك وجب عليه أن يدفع مبلغا من المال للحكومة بعد أن يثبت
أنه يملك الأدوات التى يحتاج إليها فى عمله . والكدك نوعان : نوع يسمح لصاحبه
بأن يقوم بعمله أينما أراد ونوع آخر يقيد صاحبه بمكان معين

Gibb & Bowen. Islamic Society and the West Vol 1. part
١. p. 711, 282.

والأستاذ شفيق غربال : مصر عند مفروق الطرق ، ترتيب الديار المصرية كما شرحه
حسين أفندى [مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية المجلد الرابع الجزء الأول — مايو
١٩٣٦ ص ٢٦ . وفى ٨ ذى الحجة ١٣٧٧ (١٨٦١) أصدرت الحكومة
العثمانية قانونا من ٢١ مادة لتنظيم (السكدكات) . انظر : مجموعة التنظيمات العثمانية
المنشورة باسم : الدستور . ترجمة من التركية إلى العربية نوفل أفندى نعمة الله نوفل
المجلد الأول . بيروت ١٣٠١ ص ٩٢ — ٩٦ .

(٢) الدالاتية أو الدلاة كلمة عربية مشتقة من (دلى) التركية بمعنى مجنون أو
متهور ، وهم طائفة من الجند ، وصفهم الجبرى (الطبعة الأهلية ج ٤ ص ٢٤١-٢٤٢)
فى حوادث سنة ١٣٣٠ بمناسبة إرسال محمد على فرياق منهم إلى الحرب فى الحجاز
بقوله : « وهؤلاء الطائفة التى يقال لهم دلاة ينسبون أنفسهم إلى طريقة سيدنا عمر
مابن الخطاب رضى الله عنه (كذا) . وأكثرتهم من نواحى الشام وجبال الدروز =

فهربت الناس وسكّرت^(١) دمشق الشام . فسأل الباشا عن ذلك ، فقيل له
إن بعض الموصلية والبغادة^(٢) الذين كانوا قبقول وطرّدوا في زمن هتمان
باشا المحصل حين قتلوا بعض الأنكشارية مرادهم الآن يعملوا فتن .
فأمر منادياً ينادى أن لا يبق بعد ثلاثة أيام أحد من الموصلية والبغادة
والقبقول ، وكل من بقى منهم يصلب وماله ينهب .

وفي ٢٤ من جمادى من هذه السنة دخل القاضى محمد أفندى
الملقب بفندق زاده ، ونزل في الصالحية ، وكان الباقي من مدة القاضى

= والمتاوله وتلك النواحي ، يركبون الأكايش ، وعلى رؤوسهم الطراير السود
مصنوعة من جلود الفم الصغار ، وطول الطرطور نحو ذراع ، وإذا دخل الكنيف
نزع من على رأسه ووضعه على عتبة الكنيف ، وما أدرى أذلك تعظيم له عن مصاحبه
معه في الكنيف أو الخوف وحذر من سقوطه إن انصدم بأسكفة الباب في صحن
المرحاض أو لللاق . وهؤلاء الطائفة مشهورة في دولة العثمانيين بالشجاعة والإقدام
في الحروب ، ويوجد فهم من هو على طريقة حميدة ومنهم دون ذلك ٤ . وقد وصفهم
الأستاذ شفيق غربال بأنهم « أشقياء من أكراد سوريا ... كانوا شرّاً من رأى أهل
مصر » (محمد على الكبير ص ٣٣) . وقد اشتهر عنهم بأنهم إذا احتفى بهم أحد
فلبس قبايعهم حموه ودافعوا عنه (ميخائيل الدمشقي ص ٣٣ ، ٩٨ - ٩٩) . وبيت
الدهالآت من البيوت المعروفة بدمشق حتى اليوم .

(١) سكّرت بمعنى أقفلت في تعبير أهل الشام .

(٢) الموصلية والبغادة هم ممن ينتمون إلى الوصل وبغداد ، وكان يقيم منهم
بالشام عدد كبير التحقوا بالخدمة في الأوجاقات ليفيدوا من اضطراب الأحوال بالشام
في ذلك الوقت [انظر : ميخائيل الدمشقي ص ٣٢ - ٣٥ في حوادث سنة ١٨١٢
عن فتنه البغادة في الشام على الباشا واعتصامهم بالقلعة ثم الفتك بمدد
منهم وطرّد الباقيين سواء من الجند أو من التجار ثم المغو عنهم .

القديم أربعة^(١)، وبعد إتمامهم بأمر القاضي الجديد وظيفته في المحكمة.

وفي عشية ليلة الثلاثاء ثالث رجب من هذه السنة [١٢٠٤هـ] ارتحل سليمان باشا طالباً فقال الظاهر عمر حاكم قلعة طبرية^(٢) ومعه عسكر عظيم أكثره دالاتية، وأخذ معه القنابر واللغمجية والطوبجية الذين جاؤوا من إصطنبول بطلب منه، ثم وصل إليها وحاصرها حصاراً شديداً^(٣)،

(١) لم يميز المؤلف هذه الأربعة، أكانت أياماً أم شهوراً.

(٢) الشيخ ظاهر العمر الزيداني من الشخصيات البارزة في تاريخ سورية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. كان ينتمي إلى قبيلة فلسطين تدعى الزبادنة، بدأ بأن نال ولاية طبرية والتزام أموالها من باشا صيدا، فلما استقر بها حصنها ودعا أهله إليها، واستخدم الجند وكثر أتباعه، وتحالف مع أقوى القبائل العربية الضاربة في تلك الأنحاء وهم بنو صقر، ثم شرع يضم البلاد التي حول طبرية شيئاً فشيئاً سواء سلباً أو حرباً. ويطلب من وزير صيدا التزامها مدعياً أنه يريد حمايتها من العربان، حتى قوى سلطانه وذاع صيته، فضم إليه عكا، وقد جعلها قاعدة له وحصنها، كما ضم إليه بلاد نابلس وحيفا وصفد، وأقب بشيخ مشايخ صفد. وقلقت الدولة لاتساع سلطانه، فأبّت عليه ولايتها في سورية، فتحالف ظاهر مع علي بك الكبير الذي كان قد خلع طاعة الدولة في مصر في ذلك الوقت، واتصل بالقائد الروسي في البحر الأبيض المتوسط، وكانت روسيا في ذلك الوقت متبكية في حرب مع الدولة العثمانية، ولكن الدولة قضت على حركة علي بك مستعينة بعمالوكه محمد بك أبي الذهب، ولم تصل إلى ظاهر مساعدة روسية ذات قيمة، وانتهى الأمر بهزيمة ومصرعه على يد تابعه الدنسكزلي سنة ١٧٧٥. [انظر تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد تأليف ميخائيل نقولا الصباغ العكاوي. نشره الحوري قسطنطين الباشا]

(٣) ذكر الصباغ مؤرخ سيرة الشيخ ظاهر العمر حصار سليمان باشا العظم قلعة طبرية في حوادث سنة ١٧٥٣ (١١٦٧ - ١١٦٨ هـ) وذكره الأمير حيدر =

وأرسل حضرة سليمان باشا يطلب من أهل الشام سلاماً فأرسلوا له ما طلب ، وبعد مدة أرسل يطلب فعالة وبساتنية ويكون معهم مرور ومساحي . ومجلاف^(١) ، فأرسل جميع ما طلب إليه . ولم يزل محاصراً القلعة ، وهو يضرب عليها بالمدافع والقنابر ، ولم يؤثر فيها ، وقد ساعدته الدروز وأهل نابلس ونائب القدس خليل أغا ابن أبو شنب^(٢) وعرب بني صخر . وعرب السقر^(٣) مع قعدان بن ظاهر السلامة^(٤) . وقد ضيقوا على أهل القلعة الحصار . لكن أخبر بعض أهل طبرية بأن المحصورين بالقلعة ما حصل لهم ضيق لأن مؤنهم كثيرة ، وقيل إن باب القلعة يفتح في وقت مخصوص ، وبعض الناس تغدو إليهم وتروح بما يطلبون . وقد قبض على ذخيرة مرسله لهم ، وذلك بأن أهل « دير حنا »^(٥) وفيها أخو

= الثهابي في حوادث سنة ١١٥٧ (١٧٤٤م) . ولكن التاريخ الصحيح هو ما ذكره البديري هنا وهو سنة ١١٥٥ هـ (١٧٤٢ م) ويتفق معه القصار (ص ٦٩) بل يتفق معه في اليوم الذي بدأ فيه سليمان باشا العظم الحصار وهو ٣ رجب من تلك السنة (١) مجلوف : في النسخة التيمورية .

(٢) أبوشيب : في النسخة التيمورية .

(٣) ذكر الصباغ في تاريخه لظاهر العمر (ص ٦٣ - ٦٤) أن عرب « الصقر » كانوا أولاً مع ظاهر وأن فرسانهم كانوا يطاردون جند الشام للتهزمين وقد استمروا يناصرون ظاهراً حتى ارتفع شأنه ، ثم لما استتب له الأمر رفع يدهم ومنعهم من السلب والنهب ومن عواندهم التي كانوا يأخذونها من البلاد ، فخرجوا عليه بعد ذلك وناصبوه العداء ، وقد كان عرب الصقر يتزلون في الإقليم بين جبل نابلس والناصرية (الصباغ ص ٥٤) .

(٤) قعدان أحد زعماء بني صقر ، وسيأتي ذكره في الكتاب .

(٥) دير حنا قرية بفلسطين بها قلعة قديمة ، وقد جعل ظاهر العمر أخاه الأكبر سعاداً عليها (الصباغ ص ٥١) .

الظاهر عمر أرسل لأخيه كتاباً مع شخص ، وأرسل ذخيرة بارود وخلافها مع أشخاص ، فالتقى رجل من عسكر سليمان باشا القبض على الشخص الذى معه المکتوب ، وذلك بعد تفتيشه . وجد الكتاب موضوعاً فى نعله ، فأخذ حضرة الباشا الكتاب وقرأه وقرّره ، فأفر بالنجدة والذخيرة المرسلة لأخى الظاهر عمر ، فحالاً أمر سليمان باشا بقتله ، وأرسل جماعة للقوم الذين معهم الذخيرة فأخذت منهم ، وقتلوا غالبهم ، وقطعت رؤوسهم ، وأرسلها سليمان باشا إلى إسلا مبول ، وشدد الحصار . وأرسل سليمان باشا لأخى الظاهر عمر الذى فى دير حنا يقول له : إذا فرغنا من أخيك جئنا إن شاء الله إليك . وستأتى تمة فتجها إن شاء الله تعالى .

وكان هلال رمضان فى هذه السنة نهار الاثنين وأثبت بعد العشاء . وأشعلت القناديل فى سائر مآذن الشام ، وضربت مدافع الإثبات فى منتصف الليل ، وحصل للناس زحمة فى حركة السحور ، حتى فحمت دكا كين الطعام ليلاً كالحبازين والسّمانيين^(١) .

وفى تاسع رمضان المذكور هطلت أمطار غزيرة على عامة البلاد والله الحمد . وغرق مركب بساحل صيدا [١٥] بلك المدة ، وكان قادماً من مصر وفيه أرزاق كثيرة ، عوض الله أصحابها خيراً ، قيل إنه غرق

(١) السمانون هم (البقالون) فى تعبير أهل مصر .

في نوء قاسم كوى^(١)، وجاءت الصرة^(٢) من إسلامبول يوم الجمعة ،
وجاءت الخزنة السلطانية^(٣) من مصر يوم السبت ثالث عشر من
رمضان ، وقد تأخرت عن وقتها ، وكان صنجقها عمر بك .

وجاءت البلطجية^(٤) من إسلامبول نهار الاثنين في الشهر المذكور
ومع ذلك حضرة سليمان باشا العظم في حصار طبرية ، وقد شدد
على أهلها كما يأتي .

وفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من هذا الشهر شهر رمضان
توفي الرجل الصالح الحاج أحمد الحلاق بن حميش ، كان رجلاً صالحاً رأى
العجائب لأنه كثير السياحة ، وكان حسن المعاشرة والوداد ، وكان
حلاقاً لفرد زمانه وقطب أوانه الشيخ عبد الغنى النابلسي قدس سره ،
وكان يخلق أيضاً للشيخ مراد أفندي النقشبندی الكسيح ، ولعمدة

(١) في القاموس المحيط كُوى على وزن كُسى وهو نجم . وفي الخفص لابن
سيدة كُوى نجم من الأنواء فنوء كوى من الأنواء المعروفة عند الفلكيين
العرب . أما كلمة قاسم فلا محل لها إلا أن تكون مصحفة ، وربما كانت العبارة
(نوء قاسم كوى) .

(٢) الصرة هي الأموال التي كانت ترسلها الدولة في كل عام إلى الأشراف بالحجاز .

(٣) الخزنة هي الأموال التي كانت ترسلها مصر في كل عام إلى خزينة السلطان
بالقسطنطينية وكانت في أغلب الأحيان ترسل برآ عبر الأراضي السورية ، ومنجق
الجزنة هو قائد الجند العيين لحراسة الخزنة في طريقها من مصر إلى القسطنطينية ،
وكان يختار من كبار الأمراء المالك .

(٤) البلطجية هم الرسل .

مذهب السادة الشافعية شيخنا الشيخ محمد العجبوني ولأمثالهم ، وكان يحلق مجاناً للفقراء من طلبة العلم وغيرهم . ومن صلاحه وتقواه أنه ما وضع يده على مريض إذا رمد وقرأ ما تيسر إلا شفاه الله وعافاه . قال مؤرخها الحلاق الشيخ أحمد [البديري] : وكان صاحب الترجمة أستاذي ومعلمي في صنعة الخلاقة ، ومنه حصل لي الفتوح والبركة ، رحمه الله تعالى .

وثاني يوم الأربعاء توفي الشيخ مصطفى المغربي ، وكان رجلاً دينياً أخذ الطريق من الأسماذ الشيخ يوسف الطباخ .

وفي تلك الأوقات اشتد الغلاء في سائر الأشياء سيما المأكولات ، وجود الأغالل وغيرها ، فمن عدم تفتيش الحكام صار البياعون يبيعون بما أرادوا ، غير أن الغنم كان قليلاً جداً ، فصار الجزائريون يذبحون الجاموس والجل والمعز ، فصار يباع رطل اللحم الشامي بثلاثين مصرية ، ورطل لية الغنم بقرش وربع ، والبيض كل ثنتين بمصرية ، والسمن رطل وأوقيتين بقرش ، والثوم رطله بثلاثين مصرية ، ورطل الخبز بأربع مصارى وبخمسة مصارى وبأكثر . وقد كان بثلاث مصارى ونصف . فبقدم شهر رمضان المبارك غلت الأسعار حتى الحضر ، فقد كان قبل رمضان الكوسا كل مائة بمصرية ، فلما هلّ رمضان صار خمسة وأربعة بمصرية ، والباذنجان كل رطلين بمصرية [٥٠] ، فصار كل رطل بمصريتين ، واللحم عدم ، وكل ذلك من عدم تفتيش الحكام .

وكان نهار عيد الفطر يوم الأربعاء ، وقد صمناه ثلاثين يوماً
يا كمال العدة ، فدخل العيد ، ولم يأت حضرة والى الشام سليمان باشا
(من الدورة^(١)) ، بل هو الآن مقيم على حصار قلعة طبرية .

وفي يوم السبت رابع شوال جاء تبشير رسمي من حضرة سليمان
باشا^(٢) بفتح قلعة طبرية ، فضربت المدافع وعملوا الزينة ودقت
الطبول والزمر .

وثاني يوم الأحد دخل حضرة سليمان باشا العظم إلى دمشق ،
فسبق كخيته^(٣) والعسكر ، وترك على قلعة طبرية على أغابن الترجمان ،
وعنده بعض العسكر والفعالة ، وأمره أن لا يقدم دمشق حتى يخرجها
بعد إخراج أهلها منها

(١) الدورة : كان باشا الشام — قبل موسم الحج بنحو ثلاثة أشهر — يخرج
للدورة ، وهي جولة تفتيشية في جهات نابلس وعجلون ، وكان جيل نابلس ملكاً
خاصاً للدولة (مثل يافا) ويتزعم مشايخه بيت الجرار ومركزهم قلعة مسانور ، وقد
نشأوا في بيت قديم بنابلس ، وهو بيت طوقان (الصباغ ص ٤٩ ، ٥١) . وكان
الباشا يستهدف من هذه الدورة أمرين : الأول جمع الأموال الأميرية من سكان
الناطق الجنوبية من إباته ؛ وهي المناطق التي يسودها نفوذ أصحاب المصبات من
شيوخ البلاد وزعماء العشائر ؛ وذلك ليستعين بهذه الأموال في إعداد قافلة الحج .
والأمر الثاني : إظهار سطوة الدولة في هذه الأجزاء من إباته وهي التي
ستمر بها بعد زمن وجيز قافلة الحاج الشامي إلى بيت الله الحرام .

Volney : Voyage..... p.. 260.

(٢) العبارة الواقعة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية ، وواضح أن
الغنى لا يستقيم إلا بها .

(٣) الكخيا أو الكخذها هو وكيل الباشا أو نائبه .

قال المؤرخ : وبلغني أن سبب فتحها أنه لما اشتد الحصار على أهلها ، وقد قلّ الزاد من عندهم ولم يتمكنوا من جلب قوت بما قد أحاط بهم من المساكر والعربان وأنه بعد ضرب المدافع والقنابر أمر حضرة سليمان باشا بحفر (خنادق)^(١) ولغم طوله مائتان ومائون ذراعا ، ولما باغهم ذلك ضاقت عليهم الدنيا وازداد فرهم ، أرسل الظاهر عمر المحصور شيخ طبرية إلى عمر بك صنيق الخزنة المصرية التي تأتي للدولة العلية بهيئة وافرّة ليتوسط بالصلح بينه وبين حضرة سليمان باشا ، وكان ذلك قبل وصوله ووصول الخزنة لدمشق . فلما وصلت سار عمر بك ، ودخل على حضرة سليمان باشا ، لأن بينه وبين حضرة الباشا مودة وصداقة حينما كان سليمان باشا حاكما بمصر^(٢) . وكان عمر بك رجلا وقورا كبيرا السن ، وقال له : يا حضرة الوزير ، أنا رجل كبير السن بمنزلة والدك ، وإن كنت من جملة خدمك ، وداخل على جاهك

(١) هذه الكلمة غير واردة في النسخة الظاهرية .

(٢) تولى سليمان باشا العظم ولاية مصر في سنة ١١٥٢ (١٧٣٩) ، ولم يمكث بها أكثر من عام ، إذ نازعه الأمراء المماليك وأرسلوا يشكونه إلى السلطان ، فزله (المرادى ج ١ ص ٣٨) وقد ذكر الجبرتي بئى من التفصيل في حوادث تلك السنة (ج ١ ص ١٥٥ — ١٥٦) النزاع بين سليمان باشا والأمراء وعلمه بأن الباشا لما استقر في ولاية مصر أراد إيقاع فتنة بين الأمراء ، بل دبر مكيده للفتك بعدد من رؤوسهم ، ونجح فعلا في تنفيذ بعض ما دبر ، ولكن خصومه تجمعوا عليه ، فأراد الاحتماء بباب الانكشارية فرفضوا واضطروه للرجيل من مصر ، وكان ممن استعان بهم سليمان باشا العظم ، الأمير عمر بك بن علي بك قطامش ، وهو الذي قاد بعد ذلك قافلة الخزنة المصرية إلى القسطنطينية — على نحو ما ذكر البديري — وزار صديقه القديم في دمشق وتوسط لديه للشيخ ظاهر العمر

في الصلح بينك وبين عبد نعمتك ودولتك الظاهر عمر شيخ طبرية
 والصفح من شيم الكرام ، وأنتم الكرام لا سواكم . فأجابه حضرة الباشا
 بأنه يصير خير إن شاء الله تعالى . ولما كان ثاني [أيام] العيد ، عيد الفطر
 اشتد على أهل طبرية الأمر ، وزاد عليهم الحصر ، خرجوا إلى أعلا
 الأسوار رافعين أصواتهم ينادون حضرة على أغا الترحمان ، ولما قرب
 منهم قالوا له : لك الأمان ادخل الباب . فأخذ الإذن من الباشا ودخل
 [١٦] الباب . وكان حضرة سليمان باشا قد أدركه السفر إلى الحاج ،
 فدخل على أغا إلى قلعة طبرية فتلقوه [كذا] المشايخ ومعهم الظاهر
 عمر ، فرفعوا على قدميه وصاروا يبيكون حوايه ، وعملوا له عشرة
 أكياس ، ليدخل بينهم وبين حضرة سليمان باشا بالصلح ، ثم خرجت
 النساء والأطفال والشيوخ يبيكون وينتحبون فرق لهم ، وسار طالباً
 حضرة الباشا ، فلما وصل إليه وقع على قدميه ، ووعظه بالحلم
 والإشفاق ، وذكر له فضائل محاسن الأخلاق ، فرق قلبه وأجاب
 سؤاله . فلما علم المحصورون وتحققوا أن حضرة الباشا عفا عنهم وصفح
 خرجت النساء ، والرجال والأطفال ، وفي رقابهم المحارم وعليهم
 الذل رافعين أكف الضراعة بالمسكنة ، وضاجين بالأدعية له
 واللسلطان الأعظم ، ودفعوا لحضرته مائتا [كذا] كيس من المال
 بعد ما أخذ ابن الظاهر عمر رهينة وأتى إليه ^(١) إلى الشام ، وأرسل
 جماعة لهدم القلعة وإبادتها .

قال المؤرخ : هكذا حدث بذلك على أغا شاطر باشى ، وقد نقلت لنا هلى غير هذا الوجه . والله أعلم بحقيقة الحال (١)

وفى يوم الجمعة عاشر شوال من هذه السنة توفى الحسيب النسيب السيد عبد الله بن عجلان نقيب السادة الأشراف بالشام ، ودفن بمدفنهم فى سوق الغنم لصيق جامع المرادية ، وكان يومئذ معزولا عن النقابة وهى على ابن أخيه السيد على أفندى (٢) . وفى ذلك اليوم عزل السيد هلى أفندى عن النقابة ووجهت هلى السيد محمد أفندى بن الشيخ عبد القادر الكيلانى ، وفى ذلك اليوم أيضا عزل حامد أفندى ابن العمادى (٣) عن وظيفة الإفتاء ووجهت إلى ابن عمه محمد أفندى ابن العمادى .

(١) لم يرد فى المراجع المعاصرة لتلك الحوادث كتاريخ الصباغ ومخائيل الدمشقى وروفاثيل كرامة والقار والقارى والأمير حيدر الشهابى ما يؤيد هذا « التبشير الرسمى » بفتح سليمان باشا قلعة طبرية ، ويبدو أن البديرى نفسه شك فى ذلك ، إذ قال : وقد نقلت لنا (هذه الحادثة) على غير هذا الوجه والله أعلم بحقيقة الحال ، وسيعود مرة أخرى فيذكر خروج سليمان باشا لقتال الظاهر عمر « حاكم قلعة طبرية » .

(٢) بيت العجلانى من البيوت الشهيرة بدمشق ، توارث كثير من أفرادها نقابة الأشراف بها وترجم المرادى لثغر منهم ، منهم السيد على العجلانى الذى تولى النقابة للمرة الأولى فى سنة ١١٥٠ (١٧٣٧ - ١٧٣٨) ثم عزل عنها وعاد إليها عدة مرات وأخيراً تولاها من سنة ١١٧٢ حتى وفاته فى ١١٨٣ (١٧٥٨ - ١٧٦٩) ، وقد علا شأنه فى عهد الباشا حسين مكى ، فتولى عدة مناصب وحاز عدة إقطاعات (المرادى ج ٣ ص ٢٠٦) .

(٣) بيت العمادى من البيوت الشهيرة بالعلم فى دمشق فى القرن الثامن عشر ، تولى =

قال المؤرخ رحمه الله : وفي ليلة السبت حادى عشر شوال توفيت والدنى فى الثلث الأول من الليل ، رحما الله وعفا عنها وبرّد مضجعها ، وقد فارقت الدنيا وأنا بين رجلها نائم ، وكانت من الفاتنات للعبادات تصلى نوافل الليل ، ولها أوراد ، إلى آخر ما قال .

وفى ذلك الشهر من هذه السنة بعد صلاة الجمعة خرج المحمل الشريف مع الوزير الخطير سليمان باشا بن العظم . وثانى يوم السبت جاء الحج (الحلبى) ومعه ألف وسبعمائة عجمى . وفى عشرين شوال خرج الحج^(١) ، من البلد شيئا فشيئا . وقبل سفر الوزير سليمان باشا عمل [٦٠] ديواناً وأحضر الأعيان ، وأظهر فرمان الذى فيه قتل الزرباوات^(٢) أى المفسدين من الأناكشارية ، وقال لمن حضر : هذا فرمان الذى أمره مفوض لنا قد ألغيناه وعفونا عنهم ، وعدّ ذلك من حسناته .

= كثير من أفرادہ إفتاء الحنفية بالشام ، تلقى حامد العمادى العلم على نفر من كبار علماء الشام والقسطنطينية ونال رتبة السليمانية ، وهى من أرفع الرتب العلمية بين العلماء الأتراك ، ثم دّرس بالجامع الأموى والسليمانية وشغل منصب الإفتاء أربعة وثلاثين عاما وألف كتباً كثيرة ، منها فتاويه ، وقد ألف فى فنون مختلفة ، كالأفيون والمهوية ودفع الطاعون وترجم للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، وكان يقول الشعر ، وقد جمع ثروة كبيرة وظل موضع احترام الناس والحكام حتى مات فى شوال ١١٧١ (١٧٥٨) المرادى ج ٢ ص ١١ — ١٩ .

(١) العبارة الواقعة بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية ولا يستقيم للمعنى إلا بها .

(٢) انظر فيما سبق ص ٥ ، ١٨ ، ١٩ .

وكان أول فصل الشتاء في هذه السنة يوم الأربعاء تاسع وعشرين شوال وهو يوم دخول المزيرباتية^(١) ، وأقام الباشا في المزيربات أربعة أيام ورحل في اليوم الخامس ، وشال الحج عرب بنى صخر^(٢) . وقد كان كل شيء رخيص [كذا] من جميع البضائع ما عدا المعك^(٣) ، والشعير المد بنصف وقرش ، وقد رجع من الغلمان خلق كثير ، وأمطرت السماء مطراً غزيراً يوم مجيء المزيرباتية بعد أن قطوا ، فاستبشرت عموم الخلق وحمدوا البارئ على لطفه :

وفي عاشر ذي القعدة دخل مصطفى باشا متولى طرابلس الشام نهار الاثنين إلى دمشق ، هيئته الدولة العلية سرداراً على الجردة^(٤) . والمذكور كان سفكاً للدماء ظلوماً غشوماً أهرق دماء كثيرة حينما كان في طرابلس ، وكان غالب قتله بالكلاب والشنكل ، يترك الرجل حتى يموت جوعاً وعطشاً ، فهربت غالب أهالي طرابلس من ظلمه وتفرقوا في البلاد ، وأرسل أعوانه في طلب الهاربين ، فالذى قبضوا عليه كان من الهالكين . وبعد مجيئه لدمشق وقعت فتنة بين الدالاتية^(٥) التي للقسا

(١) انظر فيما سبق ص ١٠ حاشية رقم ٢ .

(٢) يقصد أن عرب بنى صخر قدموا الإبل لملح الحجاج ومحاسنهم

(٣) خليط من بياض الطحين وبعض الحبوب يقدم غذاء للإبل .

(٤) انظر فيما سبق ص ١١ — ١٢ .

(٥) انظر فيما سبق ص ١٩ — ٢٠ .

وبين لاوند^(١) الاكراد، وقتل من الفريقين جماعة، وكانت تلك الفتنة في يوم الجمعة، حتى بطلت صلاة الجمعة في كثير من الجوامع.

وفي هرة ذى الحجة ختام السنة المذكورة توفي الشيخ محمد السكيال وكان من رؤساء المؤذنين في جامع الأموى، وكان رجلاً صالحاً، وكان ينسخ كتباً وغيرها بخط مقبول، وكان ينام والقلم بيده ويفيق ويكتب من غير نظر للكتابة، وقد عدت له كرامة.

وفي ذلك اليوم جاء خبر قتل متسلم دمشق^(٢)، قتله عرب الزيد^(٣) وقتلوا من جنده جماعة كثيرة، وذلك لما كانت هذه العرب عاصية على الدولة خرج المتسلم المذكور ومعه جماعة من العسكر، فساروا حتى وصلوا للعرب المذكورة، ففاجأهم المتسلم وجنوده على حين غفلة بالقتل وغيره، وأرادوا أخذ أموالهم وهواشيهم، فردوا عليهم ردفيور صبور فقتلوا المتسلم المذكور وجماعة من عسكره، فحين بلغ هذا الأمر أكابر دمشق عملوا [١٧] ديواناً ثم أمروا منادياً ينادى: من أراد طاعة الله

(١) اللوند هم (أصلاً) رجال البحرية العثمانية من أهل الشرق (Levantis) ثم أصبح الاسم يطلق على طائفة من الجند العثمانية من أخلاط شتى، وقد عرفوا بالفساد والإفساد، حتى أصدر السلطان فرماناً بإبطال طائفتهم، ففرقوا في الأقطار ودخلوا في خدمة الولاة وأصحاب العصيات.

(٢) متسلم دمشق هو نائب الباشا في حكمها أثناء غيابه في الحج، وقد ذكر القار (نشرة للنجذ ص ٦٩) أنه كان يدعى إبراهيم أغا، وذكر البديري بعد ذلك أن اسمه (إبراهيم).

(٣) عشيرة بدوية ويطلق عليها الآن: (الزيدات).

والسلطان ممن له قدرة وقوة على الركوب فلا يتخلف ، فالغارة الغارة على
عرب الزبيد الذين قتلوا المتسلم وهسكروه ، فخرجت الإنكشارية واللباهية
والزعماء ، وهينوا نائباً بدمشق حسين أغا بن الفطيفاني ، المتولى على وقف
المرحوم سنان باشا ، ثم ساروا للعرب ، ورجعوا معهم جسد المتسلم
(المقتول) ^(١) ، وهو في حالة عبدة لمن اعتبر ، ثم غسلاه في سراية الحكم
ودفنوه في باب الصغير ^(٢) . وكان اسمه إبراهيم ، وهو مملوك سليمان باشا بن
العظم حاكم الشام ، وكان مع عدل مولاه ، له ظلم وعدوان وجرأة على
الخاص والعام ، وكان يأمر بالقبض على كل من رآه بعد العشاء ، ويأمر
بتقييده في الحال بالحديد . إلى أن يأخذ منه مال كثير [كذا] ، وإذا أذنب
أحد ذنباً ، ولم يقدر على قبضه يقبض من يقدر عليه من أماله وقرابته ،
ويلزمه بمال هظيم ، وإذا نهأ أحد عن تلك الأحوال يجرّد ، ويطلب
الارتحال ، ولا زال بظلمه وعدوه ، إلى أن أخذه الله . وقبل سبب تدميره
أنه جاءه شيخ الجملة ^(٣) ، الفجيلي ، وقال له سرّاً : قم حتى أكسبك كثيراً
من الغنائم ، ولم يعلم أحداً من كبراء الشام ، سوى قومه الطغاة ، فذهب
هو وقومه ، حتى وصل إلى اللجاة ، فلما وصل إلى تلك القبيلة ساق أوالهم
والحریم . فارتدت عليه العرب ، وأخذ عليه واحد منهم نيشاناً . وضربه

(١) كلمة المقتول غير واردة في النسخة الظاهرية .

(٢) باب الصغير أحد أبواب دمشق القديمة في الجزء الجنوبي من سورها

(٣) قبيلة عربية في طريق حوران . انظر فيما بعد .

ظلم يخطئه، وتركه ملقى قتيلاً، وقتلوا جماعة من قومه، ذلك بما قدمت يداه.
وفي نهار السبت منتصف ذى الحجة، توفى أبونا ووالدنا وأستاذنا
ومريتنا سليمان بن الحشيش الحكوانى رحمه الله. كان فرد عصره
ووحيداً فى أوانه. وكان يحكى سيرة الظاهر وهنتره وسيف، ونوادير
غربية فى التركى والعربى، ومع ذلك فهو أحمى لا يقرأ ولا يكتب.
وكان أشقر أبرص، شديد البياض، إلا أنه بحر خضم لا يخاض، رحمه الله.

وفى يوم السبت خامس عشر ذى الحجة توفى المرحوم عبدالعزيز
أفندى السفر جلالى، وكان فقيهاً محباً للعلماء، مقبولاً عند الحكام
مهاباً وقوراً، وأعطى جاهاً لم ينله أحد من بنى السفر جلالى، محباً لفعل
الخير. ولهذا حصل له القبول عند الخاص والعام.

وفى أواسل الشتاء من آخر هذه السنة قلت الأمطار، ويشت الخلق
ونفض الغلاء على قدم وساق، فأغاث الله عباده بالأمطار [٧ ب]
كالبحار، وذلك فى ابتداء كانون الثانى^(١)، واستمر ليلاً مع نهار
لا يفتر، وأثلجت الدنيا سبع مرات، واستمر ذلك خمسة وأربعين
(يوماً)^(٢)، وتهدمت أماكن كثيرة، بحيث ما بقى محل ولا جهة فى الشام
إلا ووقع الهدم فيها، ثم بعد ذلك طلعت الشمس، وأحيا الله الأرض
بعد موتها.

(١) يناير.

(٢) غير واردة فى المخطوطة.

سنة ١١٥٦

ثم دخلت سنة ١١٥٦ ، ألف ومائة وستة وخمسين ، نهار الاثنين غرة محرم^(١) ، جعلها الله سنة خير ورحمة وبركة . وكان والياً بدمشق الشام سليمان باشا العظم ، وهو في ركب الحج الشريف .

وقد هلّ هذا العام الجديد ، ورطل الخبز الشامي ، بأربع مصرية وبخمسة . ورطل الأرز بثمانية مصرية ، ورطل الدبس بثمانية مصرية ، وأوقية السمن بستة مصرية ولا توجد ، مع أنه كان من نحو شهر كل رطل وثمانية أواق بقرش ، ولكن الخزان ما أبقى للفقراء قمحان ، وأوقية العسل بخمسة مصرية ، ورطل اللحم الضأن بثلاثين مصرية ، ورطل لحم الجاموس ولحم البقر بعشرين مصرية ورطل الثوم باثني عشر مصرية ، وأوقية الزيت بمصريتين وقطعة^(٢) . وهذا الغلاء ما سمعنا بمثله أبداً وقد طال الماطال ، والناس منتظرة للفرج من الملك المتعال .

قال المؤرخ : وفي أوائل هذه السنة الجديدة توفي الحبيب النسيب السيد أحمد البابا ، رئيس حرفة الدباغين . كان رحمه الله بهي المنظر ذا هيئة حسنة ، ولنا معه صحبة .

(١) يوافق ٢٥ فبراير (شباط) ١٧٤٣ م .

(٢) للمصرية (أو البارة) كانت ١٠ قطع أو فلوس . والقرش ٤٠ مصرية . والمصرية من الفضة ، أما القطعة فن نحاس . انظر فيما سبق حاشية ٤ ص ٤ .

وفي رابع وعشرين محرم ، كان دخول الجوخدار^(١) من الحاج الشريف ، يبشر بالسلامة وحسن السيرة . ثم جاء الكتاب^(٢) ومعه المكاتب ، ثامن وعشرين محرم ، نهار الأحد من هذه السنة المذكورة . وفي سابع محرم ، صار في دمشق ، سبل عزمرم ، مارؤى قط مثله من قديم الزمان ، وعقبه نزل برد كبير ، استقام نزوله مقدار ساعتين ، حتى علا على وجه الأرض مقدار ذراع ونصف .

وفي أوائل شهر صفر الخير ، جاء خبر عن الحج الشريف ، بأنه غرق في الحسا قريباً من القطرانة^(٣) ، وذهب على ما قيل مقدار نصف الحاج ، من خيل وجمال وبغال ، ونساء ورجال وأموال وأحمال وقد غرق لأحد التجار سبعة عشر حمل ، كل حمل لا يقام ثمن ، فاستغاوا بحضرة ساليان باشا العظم والى الشام ، وأمير الحاج ، وقالوا : نحن نهب لك ما لنا

(١) انظر فيما سبق ص (٦) حاشية رقم (١)

(٢) انظر فيما سبق ص (٧) حاشية رقم (١)

(٣) الحسا أحد منازل الحج الشامي ، إلى الشمال من معان ، والقطرانة كذلك إلى الشمال من الحسا ، وهما محرومتان من الماء صيفاً ، ولكن بهما ماء في الشتاء . وكان الحاج يلاقون مشقة زائدة ، في ذلك الجزء من الدرب ، حيث تكثير اعتداءات البدو في المضائق ، ويقل ماء الثرب . وكثيراً ما كانت السيول تجرف الركب ، كما ذكر البديري هنا .

فكان الحاج يقولون :

بوغاز الحسا . ما ينتسى

كله أسى . رمل وحصا

انظر : Tresse op. cit. p.22. ، كرد علي : خطط الشام ، ج ٥ ص ١٨٦ -

وخذته أنت ولا تركه للعرب . فخالاً نهض وأخذ معه جماعة ، وذهب نحو مرحلة ، وقد خاطر هو وجماعته ، ثم غاب يوماً وليـلة [١٨] بعد ما جدوا في طلبه ، وإذا هو قادم ومعه الأحمال ، لم تنقص ولا ذرة . ثم ناداهم وسلمهم [كذا] إلى أصحابهم ، ولم يدنس حجه بشيء . وقد عدوا هذه المنقبة لمثله ، من الهمم العالية والمروءة السامية ، وبوصولهم أيضاً للبلقة^(١) جاء أيضاً سيل عظيم ، أخذ مقدارا عظيماً من الحج ، وأراد أن يتمم على بقية الحج ، لولا أن تداركه الله بلفظه . ولما حصل هذا الأمر ، كتب حضرة أمير الحاج سليمان باشا توقيعاً ، وأرسله إلى الشام وإلى من حواليه ، بأن يأتيه بعاف وذخيرة ، فنادى المنداد في شوارع دمشق : يا أمة محمد ، من كان يحب الله ورسوله ، ويمكن من الخروج فليخرج ، ومعه ما يقدر عليه من مأكـل ومشرب وملبس ، فليخرج ليلاقي الحجاج ، فخرجت الخلق مثل الجراد .

وفي يوم الأحد رابع صفر الخير دخل الحجاج ، وثاني يوم دخل المحمل الشريف مع حضرة سليمان باشا ، وكانت سنة هائلة أخبر الحجاج أن مدة العلق صار بهرشرين ، وفي بعض الأماكن بأربع قروش ، وكل ثلاث تمرات بمصرية ، وهذا شيء ماسمع من قديم الزمان ، وبيع كعب البقسماط ، بثلاث قرش . وكانت دمشق أشد غلاء من غيرها ، حتى مدة الملح وصل ثمنه إلى ثلاثين مصرية ، والدبس الأوقية

(١) البلقاء موضع بناحية معان .

مصرية ، واللبن في آدار^(١) رطله بسبعة مصارى ، والخبز لا يوجد ،
والحكام يخزنون ، وأهل البلد يفعلون كعلمهم ، وإلى الله المصير .

وفي يوم الاثنين ثالث عشر شهر صفر الخير من هذا العام ، توفى
العالم العامل ، الشيخ أمين أفندى ابن الخراط رحمه الله

وفي غرة ربيع الأول من هذه السنة شرع حضرة والى دمشق
الشام ، سليمان باشا ابن العظم في فرح ، لأجل ختان ولده العزيز
أحمد بك ، وكان في الجنينة التى في محلة العمارة ، وجمع فيه سائر الملاعب
وأرباب الغناء واليهود والنصارى ، واجتمع فيه من الأعيان والآكابر
من الأفندية والأغوات^(٢) مالا يحصى ، وأطلق الحرية لأجل الملاعب
يلعبون بما شاؤوا ، من رقص وخلاعة وغير ذلك ، ولا زالوا على هذا
الحال سبعة أيام بلياليها . وبعد [ذلك] أمر بالزينة ، فتزينت أسواق
الشام كلها سبعة أيام ، بإيقاد الشموع والقناديل ، زينة ما سمع بمثلمها .
وعمل موكب ، ركب فيه الأغوات والشربجية^(٣) ، والآكابر
والانكشارية ، وفيه الملاعب الغريبة ، من تمثيل شجعان العرب وغير
ذلك . [٨ ب] وثانى يوم طهروا ولده أحمد بك ، وأمر من صدقته أنه
يظهر من أولاد الفقراء وغيرهم من أراد ، فصارت تقبل الناس
بأولادهم ، وكلما طهروا ولدا يعطوه بدلة وذهبين . وأنعم على الخاص

(١) آذار وهو شهر مارس .

(٢) رؤساء الجند .

(٣) الأعيان .

والعام ، والفقراء والمساكين بأطعمة وأكسية وغير ذلك ، مما لم يفعل أحد بعض ما فعل ، ولم نسمع أيضا بمثل هذا الإكرام والإنعام ، على الخاص والعام ، فرحمه الله وجازاه أحسن الجزاء ، آمين :

وبعد هذا الفرح العظيم ، عمل فتحى أفندى الدفترى ^(١) فرحاً عظيماً بهذا الشهر ، أعنى به (ربيع الأول ، زوج ابنته لابن أخيه ، وكان فرحاً عظيماً ما عمل بدمشق نظيره) ^(٢) ولا بلغ أحد أنه عمل مثله ، وكان سبعة أيام ، كل يوم خصه بمجاعة : فالיום الأول خصه بحضرة والى الشام سليمان باشا بن العظم ، واليوم الثانى إلى الموالى ^(٣) والأمراء ، واليوم الثالث إلى المشايخ والعلماء ، واليوم الرابع التجار والمتسدين ، واليوم الخامس إلى النصارى واليهود ، واليوم السادس إلى الفلاحين ، واليوم السابع إلى المغانى والمومسات ، وهم [كذا] بنات الخطا والهوى . وقد تكرم عليهم كرمأ زائداً ، ويعطيهم الذهب والفضة بلا حساب . وكان قبل الفرح عمل تهليلة ، جمع بها جميع مشايخ الطرق .

وفى السادس والعشرين من ربيع الأول بهذا العام توفى نقيب القباء فى دمشق ، على الحرف والصنایع والطرق ، الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ محمد الحلاق القادرى ، صاحب الحلقة فى الجامع الاموى .

(١) انظر فيما سبق ص (١٧) حاشية (٢)

(٢) العبارة المحصورة بين قوسين ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) علماء الأتراك .

وفي يوم الخميس ثامن والعشرين من ربيع الثاني، في هذه السنة المذكورة، توفي الشاب السعيد، سلالة الطاهرين، ونفذ الصديقين، أحمد أفندي البكري الصديقي، وكان من النجابة على جانب، ودفن بتربة الشيخ رسلان رحمه الله.

وفي يوم الاحد غرة جمادى الاولى من هذه السنة، شرع حضرة سليمان باشا ابن العظم، في تعمير وترميم نهر القنوات، وجعل جميع المصارف من ماله جزاءه الله خيرا، واشتغل بها من الفعلة مائتا فاعل، فأمر بقطع بعض الصخر من طريقها، وبتشديد أركانها، وإصلاح ما فسد منها، ورفع جدرانها وبضبطها ضبطا جيدا، وبإصلاح فروض مستحقيها على الوجه الحق، وأن يأخذ كل ذي حق حقه. فكانت هذه العمارة والضبط ما سبقه إليه أحد من عهد إصلاحها من أيام النعمور^(١) لما أصلحت بعده، وقد [١٩] تمت عمارته في برهة خمسة عشر يوماً في أول ربعمائة الصيف^(٢). ولما تم أمر بإطلاق النهر، فكان إطلاقه على أهل دمشق فرجة من أبهج الفرج، ويوم مثل يوم الزحام. وقد أرخ هذه العمارة شيخ الأدب في الشام الشيخ عبد الرحمن البهلول^(٣)، مادحاً حضرة الوزير سليمان باشا ومشيرا لتاريخ تميم البناء، فقال:

(١) يقصد غزوة تيمورلنك بدمشق، وكانت في سنة ١٤٠١ م.
 (٢) ربعمائة الصيف: تميز يطلقه أهل الشام على الأربعين يوماً الأولى من فصل الصيف وفيها يشتد الحر.
 (٣) انظر فيما سبق ص ٤ حاشية رقم (١).

جزى المولى أمراً^(١) الشام خيراً سليمان الزمان ودام دهرها
بما قد جدّد القنوات صدقا بإخلاص زكاً سرا وجهرها
فيا طوبى له إذ نال أجرا على مرّ الليالي مستمرا
له في كل مكرمة أيا دياحسان عات وهلم جرا
فكم صنعت يداه وجوه بر بها أرخ سبيل الخير أجرا

١١٥٦

وفي نهار الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى توفى الشيخ الفقيه
العالم الشيخ على ، مدرس جامع عز الدين في باب السريجة^(٢) ، وقد ناهز
المانين ، رحمه الله تعالى .

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه
السنة ، قامت العامة وهجمت على المحكمة ، وطرّدوا القاضي ، ونهبوا
الأفران . وسبب ذلك كثرة الغلاء والازدحام على الأفران ، وقلة
التفتيش على صاحب القمح والطحّان والحزان ، فتلافى حضرة الوالى
سليمان باشا هذا الأمر ، وأرسل يشدّد على الطحّانة والحبّازة ، ويهدّدهم
ويخوفهم لحالاً وجد الحبز ، وتحسّن وكسّد ، بعد ما كانت غالب الناس
تبات بلا خبز ، فابتهلت الناس بالدعاء لحضرته .

وفي سادس جمادى الثانية من هذه السنة ، توفى الشيخ مصطفى

(١) « وزير » في النسخة التيمورية .

(٢) حتى يقع إلى الجنوب الغربى من دمشق خارج سورها القديم .

ابن شيخنا، وأستاذنا، شافعيّ زمانه، وفاضل أوائه، الشيخ محمد العجلوني، من افتخرت به محلة القنوات، رحمه الله. وبالأمر المقدور، توفيت زوجته أول يوم، ولحقها ثاني يوم، رنحهما الله تعالى.

وفي سابع جمادى الثانية من هذه السنة، خرج سليمان باشا قاصدا قتال الظاهر عمر، حاكم قلعة طبرية^(١)، واستصحب معه من العسكر، نحو خمسمائة رجل، ألبسهم قلابق. وكانوا يشبهون الأرئوط وسماهم الارائطة. وجاءه فرمان من الباب العالي، بأن يخرج معه الى صيدا ووالى طرابلس والقدس وغزة والرملة وإربد، وقيل ركب معه من جبل الدروز [٩ ب] عشرون ألفاً ويوم الماشر أرسل إلى أغاوات الإنكشارية، وأن يرسلوا له ثلاثمائة إنكشارى، وما بقى من العساكر يرسلونهم لمحافظة قرى حوران. وأرسل أيضا إلى عامة قرى الشام بأن يخرجوا من كل قرية عشرة أنفار، ليحافظوا مع الإنكشارية أيضا. ثم سار بتلك الجموع، وحطّ على مرج القدس بفتح القاف والدال في بلاد المتأولة^(٢)، وأرسل طلب الأمير

(١) انظر فيما سبق ص ٢١، ٢٧، ٢٨.

(٢) المتأولة أو بنو متوال، قوم يتخذون بعض مبادئ الشيعة، وكانوا يسكنون جبل عامل من أعمال لبنان. ومن مشايخهم بنو حرفوش في بعلبك، وبنو صعب في مقاطعة الشقيف، وبنو منكر في الشوير والتفاح، وبنو على الصغير في بلاد يشارة. وكانت الزعامة في بيتهم. وكان كبيرهم، في ذلك الوقت من القرن الثامن عشر، الشيخ =

ملحم^(١) ، فجاءه ومعه مائتا خيال . وبعد مدة جاء خبر لدهشق ، بأنه وقع قتال بين الدروز والمتاوله ، فقتل من المتاوله أكثر من ألف وحرقت الدروز بلادهم ونهبت أموالهم . ثم صالت المتاوله على الدروز فقتلت من الدروز نحو خمسمائة رجل ، وكان معهم الأمير حيدر صاحب قلعة دير القمر^(٢) ، فهام الباشا ، فاعتذروا له فتركهم وشأنهم . ثم رحل حضرة سليمان باشا ، طالباً قلعة دير حنا^(٣) (وأخذ معه شيخ المتاوله نصار وفعه نحو من أربعمئة إنسان ، ورجع الدروز ، ولم

= ناصيف النصار ويدعى شيخ مشايخ المتاوله ، وفي معرض التبجيل يقال له (أمير) . وكان الأتراك يكرهون المتاوله والدروز ، ولهذا كانوا يضربون كل طائفة بالأخرى . وقد أشار الأمير حيدر الشهابي (ج ١ ص ٣٢) إلى ذلك القتال بقوله : « وفي هذه السنة (١١٥٦) خرج سليمان باشا وزير صيدا بالعساكر الكثيرة ، في مرج قدس غربي بلاد بشارة وبلاد الشقيف وإقليم التفاح ، وبقي الباشا في مرج قدس ثلاث عشر يوماً » . وواضح أن سليمان باشا كان في ذلك الوقت ، والياً على الشام ، لاعلى صيدا ، كما أن البديري أشار إلى أن هذا التخريب لبلاد المتاوله إنما قام به الدروز . (١) الاسم غير واضح في نسختي الظاهرية والتمويرية ، وقد رجحنا أنه الأمير ملحم (الشهابي) زعيم الدروز في ذلك الوقت . انظر الحاشية التالية .

(٢) أخطأ البديري فذكر أن صاحب قلعة دير القمر (وهي مقر إمارة الدروز في ذلك الوقت) هو الأمير حيدر ، فقد توفي هذا الأمير (صاحب الانتصار الكبير الذي أحرزته القيسية على الحنية ، في وقعة عين دارة سنة ١٧١٠) في سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ — ٣١) . أما زعيم الدروز في الوقت الذي يتحدث فيه البديري ، فهو الأمير ملحم (الشهابي) ، وقد أشار البديري فيما سبق إلى القتال الذي دار بين سليمان باشا في أول توليته على الشام وبين الدروز .

(٣) انظر فيما سبق ص ٢٢ حاشية رقم ٥ .

يرض معاونتهم ، وكان في قلعة دير حنا^(١) أبو سعد^(٢) أخو الظاهر عمر .

قال [البدرى] : وفي تلك الأيام جاء الخبر إلى دمشق ، بأن القافلة التي سارت إلى بغداد أخذتها العرب ، وكان بها من الأموال ما لا يحصى بقلم ، ومن جملة هدية وافية من حضرة سليمان باشا وإلى الشام ، إلى أحمد باشا بن حسن باشا وإلى بغداد . وقد نقلت الرواة بأن العرب ، الذين أخذوا القافلة من أعوان الخارجى ، الذى خرج من بلاد العراق ، ويسمى طهما سب ، الذى تغلب على ملك العجم وأخذ بلاده ، وعلى ملك الهند وأخذ بلاده ، وقصد مدينة بغداد وحاصرها أشد الحصار^(٣)

(١) العبارة الواقعة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية .

(٢) ذكر الصباغ (ص ٦٠ — ٦٢) أن اسمه سعد . وقد وزع الشيخ ظاهر أبناءه على القلاع ، كما ذكر الصباغ أن سعداً هذا هو الذى دبر مقتل سليمان ، إذ لجأ إلى الباشا متظاهراً بأنه خرج على أبيه وتربص حتى واته فرصة ملائمة فذس السم للباشا .

(٣) يشير المؤلف هنا إلى (نادر قلى) من قبيلة الأفجار الذى انضم إلى طهما سب (الصفوى) المطالب بمرش إيران الذى اغتصبه الأفغانيون ، وانتصر نادر وأصبح وصياً على العرش ، وقد تطلع لاسترداد بغداد من العثمانيين ، لحاصرها (سنة ١٧٣٣) ، وبذل إليها أحمد باشا جهداً عظيماً لإيقادها ، وتم له ذلك بعد أن وصلته نجدة من القوات العثمانية بقيادة طوبال (الأعرج) عثمان .

انظر : Longrigg : Four Centuries of Modern Iraq .

وقد أطلق البدرى على نادر لقب (الخارجى) لأنه ينتمى إلى الشيعة .

وفي سابع يوم من رجب ، جاء خبر لدمشق بأن سليمان باشا ابن العظم قد مات ، ودخل في خبر كان ، فخالفا قام فتحى أفندى بن الفلانسى ، دفر دار الشام ، وختم على دوره وخزائنه وأملاكه^(١) . وأقام على ذلك حرساً بالليل والنهار ، وقرّر على أغا المتسلم على حاله ، وكتب بذلك عرضاً ، وأرسله للدولة العلية .

وفي ليلة الخميس ثامن رجب من هذه السنة ، في وقت الفجر أدخلوا سليمان باشا في نحت ، وأدخلوه لسراية الحكم^(٢) ، وغسلوه بها ودفنوه ضحوة النهار ، في مدفنهم في باب الصغير ، بجوار سيدنا بلال الحبشى ، في القبر الذى فيه ولده إبراهيم بك ، بوصية منه رحمه الله تعالى [١٠] رحمة واسعة . فقد كان وزيراً عادلاً ، حليماً صاحب خيرات ومبرات ، محباً للعلماء وأهل الصلاح . وقد أبطل مظالم كثيرة ، كانت على أهل الشام ، مثل الشاشية والمشيجة والعرض ، وهى أموال تفرض على الحرف والصنائع والحارات في الشام مرة أو مرتين في السنة . قال المؤرخ البدرى : وقد أخبرنى بعض من أثق به عن سبب موته ، وهو أنه دخل إلى حمام هك^(٣) ، وخرج منه محموماً ، وأن الظاهر

(١) كان لملك فتحى أفندى الدفترى هذا ، أثر في إغضاب أسعد باشا العظم عليه ، حتى دبر مصرعه ليأخذ بثأر عمه ، كما سيذكر البدرى في حوادث سنة ١١٥٩ .
(٢) السراى مقرّ الباشا ، وهى قرية من القلعة ، وقد أطلق عليها في العهد التركى التأخر (المشيرية) ، ويقوم في موضعها الآن (القصر العدلى) .

(٣) أشار الصايغ في تاريخه لظاهر العمر (ص ٦٢) إلى مسألة الحمام هذه ، ولكنه أضاف إليها أن أسعداً بن ظاهر احتال حتى دس السم لسليمان باشا في كأس =

عمر حاكم طبرية أرسل له كتابا ، يطلب منه الصلح فأبى ، وقال لا يمن إلا برأسك . فأرسل الظاهر عمر يستغيث به ، ويقول خذ من الأموال ما تشاء ، ودع سفك الدماء والقتال ، وارحم النساء والأطفال . فلم يقبل سليمان باشا ، إلى أن دخل الحمام وخرج محمواً ، وعلم أنه ميت لا محالة ، ثم إنه أوصى أن يرسل به إلى الشام ويدفن عند ولده ، ثم قضى نحبه رحمه الله تعالى . فمكثت الأمراء مائة يوم ، ورحل أباييك وأكار الدولة . مع كنية سليمان باشا من عكة ، ومعهم العساكر والمدافع ، وورثوا من طبرية ، ثم ضربت المدافع ، ونزلوا على طبرية ، بعد ما وضعوا الباشا في الثخت وحوله الجوخدارية ، والغلمان تروّح له بالمرأوح يميناً وشمالاً ، وأمروا الخدام أن تنادي بالعسكر وهم مارين : الله ينصرك يا بوخرما^(١) يا سليمان باشا . ثم أمر أن تفرد البيارق وتصطف العساكر وتسير ، ومرّوا على طبرية ، ولم يدر أحد ما جرى^(٢) . ولما وصلوا إلى جسر بنات يعقوب بلغهم أن خمسة آلاف

= الشراب بالحمام . و « عكة » هنا ليست واضحة ، لأن « عكا » كانت مقراً لظاهر العمر وهى بعيدة عن مسرح القتال في طبرية . وذكر القار (ص ٦٩) أن سليمان باشا مات بقرية « لوية » بالقرب من قلعة طبرية ، ويتفق معه رسلان بن علي القاري (ص ٧٨) .
(١) « خرماء » اسم ابنة سليمان باشا ، وقد جرت عادة العرب أن يكنوا الرجل بابنته .

(٢) تختلف رواية البديري عن رواية الصباغ الذي ذكر (ص ٦٤) اضطراب جند الشام ، بعد موت سليمان باشا وانسحابهم بدون نظام ، واستيلاء جند ظاهر العمر على أموالهم ومتاعهم .

من المتأولة كامين لهم ، فرحلوا أول الليل وجدوا في السير ، فلطف اللطيف، ووصلوا للشام طلوع الفجر . ويوم دخولهم قامت الأنكشارية وقتلوا جماعة من الدالاتية تعدياً بلا سبب . وأما فتحى جلبي الدفتردار فإنه أمر بسجن السلحدار والخزندار والسيد محمد بيك ، ابن عم سليمان باشا ومحمد آغا الديري ، وكيل الخرج^(١) والمتصرف بدمشق الشام . وكان سجنهم في باب الأغا ، ورسم على من معهم من الجماعة ، وأقام ينتظر الجواب .

وفي نهار الأربعاء ، رابع عشر شهر شعبان من هذه السنة ، ورد خبر بأن أسعد باشا بن العظم ، الحاكم في حماة ، قد تقررت عليه ولاية دمشق الشام مع إمارة الحاج . فأبقوا متسلها على آغا المتقدم ذكره ، إلى حين حضور الباشا المذكور .

وفي ذلك النهار جاء ثلاثة نجابة ، من المدينة المنورة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم [١٠٠ ب] السلام ، وأخبروا بأن المدينة محاصرة وأنها ثلاثة أحلاف : حلف مع غزّ القلعة ، وحلف مع الطواشي^(٢) ، وحلف مع أهل المدينة ، وأنهم في قتال عظيم ، وأن شريف مكة أرسل إلى الطواشي خمسة عشر يريقاً تساعد على ذلك ، وأن النجابين المذكورين ، قاصدين اصطنبول ، ليخبروا حضرة السلطان

(١) هو الشرف على صرف، المهمات .

(٢) آغا السراي ، وهو شيخ الحرم المدني ، تعينه الدولة ليقضى بقية حياته في مدينة الرسول .

بذلك الحال^(١) .

وفي يوم السبت ، الخامس والعشرين من شعبان المبارك ، الواقع في سنة ١١٥٦ ، كان دخول أسعد باشا ابن العظم لدمشق الشام والياً . وكان دخوله من مسجد الأقصاب ، وهي المحلة المشهورة عند أهل الشام بمز القصب . ودخل بموكب عظيم من الأنكشارية ، وأكابر دمشق وأمرائها وأعيانها .

وفي ليلة السبت ، حكم قاضى دمشق بإثبات هلال رمضان ، وضربت المدافع قبيل العشاء ، وصليت التراويح في جامع الأموى وفي سائر الجوامع .

وفي ليلة الخميس خامس رمضان المذكور ، سافر أسعد باشا بعسكره على الدورة^(٢) ، وترك على البلد المتسلم على أغا المتقدم ذكره . وكان خروجه بزم معتدل ، والبلد بأمن وخير كثير ، فرطل الخبز بخمسة مصارى ، وأوقية السمن بستة مصارى ، ورطل الأرز بتسعة مصارى ، ورطل اللحم ثمانية عشر مصرية ، وغرارة القمح

(١) يشير البدرى هنا إلى بعض وقائع النزاع بين شريف مكة -- وهو إذ ذاك الشريف مسعود -- وخصومه من الأشراف . [انظر أحمد بن زبى دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام -- نسخة على هامش كتابه : الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية . الطبعة الثانية . ص ٩٥ - ٩٨] .

(٢) انظر فيما سبق ص ٢٦ حاشية رقم (١) .

بخمسة وعشرين قرشا . والغلاء بهذه الدرجة ، ولم يكن محل ولاجراد ، ولا قلة مطر ، ولكن من قلة التفتيش ، والالتمات ، وقد سافر حضرة أسعد باشا ، وأبقى المسلم المذكور آنفا ، وقد ترك كل شيء على حاله .

وقد توسط فتحي أفندي الدفترى [في] الصلح بين الظاهر عمر حاكم طبرية ، وبين حضرة أسعد باشا . فأرسل له الظاهر عمر أربعين حملا . محملة أرزا وسكرا وجوخا ، وهذا ما عدا لفتحي الدفترى مما اختص به ، فإنه كان هو السلطان في الشام ، وصاحب نفوذ الكلام ، وكلامه يفضى الأشغال ، والأمر مفوض لدى الجلال .

وفي تلك الأيام وصلت الأخبار ، بأن الخارجي المسمى بطهماسب^(١) ، وصل إلى أرض العراق ، وأخذ مدينة كركوت^(٢) ، ومحاصر الموصل وبغداد ، وقد باع الحرم والأولاد ، نسأله تعالى اللطف بالعباد .

وفي تلك الأيام ، رجعت الإنشاء إلى حامد أفندي ابن المهدي^(٣) . وفي ليلة السبت خسف القمر ، بعد نصف الليل خسوفاً فاحشاً ، وبقي إلى أن طلع النهار . وفي رابع عشر شهر رمضان من [١١١] هذا العام ، ألقى رجل نفسه من أعلا منارة جامع الدقاق إلى الأرض ؛

(١) انظر فيما سبق ص ٤٤ حاشية رقم (٣)

(٢) لعله يقصد كركوك .

(٣) انظر فيما سبق ص ٣٩ وحاشية رقم (٣)

فهلك سريعاً ، بعد أن تكسر جسمه ؛ واسمه الشيخ حسين بن الشيخ يوسف الرفاعي . فسألنا عن سبب ذلك ، فقيل لنا إن أخا زوجته أتى بامرأة إلى بيته ، وكانت من الخطيئات ، ففاه عن ذلك ، فغره وضربه ، فذهب فأخبر أكابر الحارة ، فلم يلتفتوا إليه لأنهم فوق ذلك بالانتماس ، فذهب إلى جامع الدقاق ، وصلى الصبح مع الإمام ، وصلى على نفسه صلاة الموت ، وصعد المنارة ونادى : يا أمة الإسلام ، الموت أهون ، ولا التعريض مع دولة هذه الأيام ، ثم ألقى نفسه إلى الأرض ، عفى الله عنه . وفي ثامن عشر من هذا الشهر رمضان ، وضع رجل يقال له المجري ، طبنجة في بطنه وقتل نفسه ، فسألنا عن سبب ذلك ، فقيل لنا هذا رجل عليه دين ، فقتل نفسه من شدة كربه وقهره ، مع أنهم أخبرونا أنهم وجدوا عنده نحواً من خمسة أكياس قمح مخزونة ، فما سمحت نفسه أن يبيع شيئاً منها ويوفى دينه ، فحسر دينه ودنياه .

وفي يوم الثلاثاء في الخامس والعشرين من رمضان ، في هذه السنة ، أغلقت أهل الشام دكاكينها ، وقامت الأشراف على بيت فتحي أفندي الدفتردار . وسبب ذلك أن تابعا من أتباع فتحي أفندي ، يقال له العفصة ، شتم السيد هلى أفندي النقيب ، وسحب عليه السلاح ، وعلى السيد هلى أفندي بن الشيخ مراد الكسيح في جامع الأموي . فاجتمعت الأعيان ، وعملوا ديوان [كذا] ، وأخرجوا فتوى في قتله وإباحة دمه .

فوقع التفتيش عليه ، فتخبأ في بيت مصطفى آغا بن خضري الشريجي في الميدان ، وكان هذا لعفصة قوْس^(١) السيد علي أفندي المرادي ، وهو داخل إلى داره فلم تصبه ، فانزعجت البلدة ، واجتمعت الأكابر والأغارات والقبحية^(٢) والبلطجية وأمين الصرة ، عند القاضي في المحكمة ، وعملوا عرض [كذا] في فتحى أفندي الدفرذار ، بأنه من أعظم المفسدين هو وأتباعه ، وأرادوا يرسلوه إلى الدولة العلية ، ولئن انظروا بحبيء حضرة أسعد باشا من الدورة ليختمه ، وثاني يوم بطلت هماتهم ، وكان كلامهم كما قيل : كلام الليل يحبه النهار .

وفي ليلة الجمعة ثامن والعشرين [١١ ب] من رمضان ، وجد في جامع الأموى ، عند باب السكلاسة ، رجل شحاذ مذبوح ، وعلى صدره فلوس مبدورة ، وما ظهر غريمه ، وقيل ظنوا أنهم ذهب ، فذبجوه لذلك ، فلما وجدوهم فلوسا^(٣) بدروهم عليه بعد قتله .

وفي يوم الخميس رابع شوال ، قدم أسعد باشا من الدورة .
وفي تاسع شوال توفى علي آغا بن الترجمان ، وكان رجلا ثناؤه بين

(١) أى أطلق الرصاص ، في تعبير أهل الشام .

(٢) المفرد قابجي أو قبجي ، تحريف للكلمة التركية قوجى ، ومعناها بواب أو حارس باب السلطان . ويلاحظ أن هذه الوظائف خرجت عن مدلولاتها الأصلية وأصبحت مجرد ألقاب ، وفي الغالب كان رسول السلطان يدعى قابجي أو قبجي باشى

(٣) أى نحاساً .

الناس جميلاً . وكان قبل يومين ، عمل أسعد باشا ديوان [كذا]
وجمع فيه الأكابر والأعيان ، وسَمَّروا الخنطة والخبز ، فجعلوا غرارة
الخنطة بخمسة وعشرين قرشا ، ورطل الخبز بخمسة مصارى . وهذا
أمر التسعير لا يستقيم على الخصوص في الشام .

وفي يوم الاثنين ، خامس عشر شوال ، رحل أسعد باشا أميراً
للحاج بالمحمل الشريف ، متوجهاً إلى مكة المشرفة ، ونهار السبت
في عشرين شوال رحل الحاج الشريف . وكان الفصل فصل الشتاء ، والسماء
صاحية ، وكان غلاء . وبعض الطاعون . وبعد سفر الباشا بقي رطل
الخبز بخمسة مصارى . ولكن صارت غرارة القمح بثلاثين قرشا .
ثم ضجت العامة ، ورجعوا القاضي ، وما أفاد شيء .

قال المؤرخ (البديري) : وفي ذلك اليوم أفادنا أستاذنا شيخ
قرأء الشام ، الشيخ إبراهيم الحافظ ، ومن قال في حقه أسناد الشام الشيخ
عبد الغنى النابلسي : من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل ، فليسمعه من فم
الشيخ إبراهيم النابلسي ، (أفادنا) بقراءة هذا الدعاء المبارك ،
وخاصيته لهجوم المخاوف في السفر والحضر ، وهو هذا الدعاء :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لقد جاءكم رسول من أنفسكم . »

« عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالموءنين رؤوف رحيم . »

« بسم الله الخالق ، الطائل الأكبر ، حرز لكل خائف ، »

« لا طاقة لمخلوق ، مع الله عز وجل » ، اللهم إني في حماك ،
« وتحت لوائك ، فارحم حماك وانشر علينا لوائك »
« واكشف عنا بلاءك الخارج من أرضك ، والنازل من
« سمائك ، مطشين^(١) ، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو ،
« عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . »

وفي نهار الثلاثاء ، الثالث والعشرين من شوال ، توفي الشيخ العالم
الفقيه الواعظ الشيخ أحمد الخطيب . الواعظ والإمام في جامع الدقاق
في محلة القبيبات^(٢) قبل دمشق [١٢] الشام ، وهي الميدان التحتاني
عند باب الله^(٣) . قال المؤرخ : وتلك المحلة بها موالدي ، ومسقط رأسي
وبها منزلنا ، وبعد وفاة والدنا انتقلنا منها إلى محلة التعديل . وكان
الشيخ أحمد المذكور رجلاً فاضلاً ، فقد أحياتلك المحلة بالعلوم والدين ،
وانتفع به كثير من المسلمين .

وفي اليوم الثالث والعشرين من شوال من هذه السنة ، قدم

-
- (١) كذا ، ولعلها كلمة سريرية مما يدخل أحياناً في أدعيات الروحانيين والتصوفة .
(٢) إحدى محلات دمشق القديمة ، تقع جنوبي ميدان الحصا فهي في طريق
الحجاج إلى الحجاز . وكانت في الأصل قرية يسكنها زراع الناطق المجاورة ، والقبيبات
هي القباب الصغيرة ، وقد ولد أحمد البديري في هذه المحلة .
(٣) أحد أبواب دمشق القديمة ، في الطرف الجنوبي منها ، غير بعيد من مسجد
القدم ، وهو نهاية طريق الميدان ، ومنه يخرج الحجاج متجهين إلى بيت الله الحرام .

سلخور^(١) من جهة السلطان ، بتحصيل مال سليمان باشا^(٢) ، وقدره اثنا عشر ألف كيس ، ودخل الشام مثل شعلة النيران ، وأخرج حرم سليمان باشا من ديارهم لإخراجا شنيعاً ، وصاروا يفتشونهم [كذا] ، واحدة واحدة ، مع النفثيش في جياهم وأعبابهم ، وختم على جميع مخادع الدار ، وأمر بالقبض على ابن عم^(٣) المرحوم سليمان باشا ، وهو السيد محمد ، وعلى جماعة أخرى معه ، وأمر بالترسيم^(٤) الشديد عليهم ، وسأل عن محمد آغا الدرى ، وكيل خرج سليمان باشا ، فأخبروه أنه ذهب مع أسعد باشا إلى الحج ، فأمر بجلبه ، فجأوا به ، وأمر بالترسيم عليه .

قال المؤرخ البديرى : ثم أحضر السلخور القاضى والأعيان ، واستجاب حرم سليمان الباشا ، وأحضر الجلاد وآلة العذاب ،

(١) سلخور تحريف للاحشور ، وكان يطلق على رسول السلطان .
(٢) تتفق مع رواية البديرى عن ضبط أموال سليمان باشا روايات أكثر مؤرخى تلك الحقبة من تاريخ الشام . أما الصباغ ، صاحب سيرة ظاهر العمر ، فيذكر (ص ٦٥) أن عثمان باشا ، كتحدا سليمان باشا ، هو الذى ضبط مال سيده ، فقال ثقة الدولة ، فجعلته خلفاً له ولقب بعثمان باشا الوكيل . وواضح أن عثمان باشا كان وكيلاً لأسعد باشا العظيم الذى خلف عمه فى ولاية دمشق ، وأن عثمان قام بضبط أموال أسعد باشا ، ولهذا لقب بالصادق ، وتولى ولاية الشام فى سنة ١١٧٣ .

[انظر البديرى فى حوادث سنة ١١٧٣ والأمير حيدر الشهابى ج ١ ص ٥٥]

(٣) فى النسخة التيمورية أنه (ابن) الباشا ، وهو خطأ

(٤) أى التحفظ عليهم .

وشدّ على الحريم بالطلب ، وأن يعلموه من المال أين مخبأ ، فلما رأوا
التشديد خافوا من العذاب وأقروا له عن بعض مخائيه تحت
الأرض ، فأرسل خلف المعمارية الذين عمروا السرايا ، وكانوا نصارى ،
وكان المعلم نصرانياً يقال له ابن سياج ، فأمر القبحى بتمذيبهم ، وقطع
رؤسهم وأيديهم ، فلما تحقّقوا عذابهم قالوا : نحن نذلّك على كل ما عمل
ثم أنهم حفروا له تحت الدرج ، فبان عن سرداب ، فرفعوا عنه
التراب ، ونزلوا في درج ، فظهر مكان واسع وفيه صندوق مقفول وعليه
غالات وقفول ، فأخرجوه وفتحوه ، فأرأوه ملآن من الدراهم
والريالات . ثم أخرجهم النصراني إلى مخدع ، فحفر في دوائره ،
فإنه فيه سبع برانى ، مملوءة من الذهب المحبب السلطانى ، فلما رأى
الحاضر ذلك الحال زافت منهم الأبصار ، ثم عدوه وضبطوه ،
فوجدوه ثمانمائة كيس وخمسين كيساً . فلما بلغ الناس ما خرج عنده
من هذا المال ، وكان فى أيام شدة الغلاء ، مع سوء الحال ، لهجوا بالذم
والنكال ، وقالوا قد جوع النساء ونزجىال والبهاشم والأطفال
حتى جمع هذا المال من [١٢ ب] أصحاب العيال ، ولم يراقب
الله ذا الجلال .

وقبلا جاء قبحى لضبط مال سليمان باشا ، فضبط ألفين وخمسين
كيساً ، فلم يره بشيء [كذا] . وقد كان فتحى أفندي الدفتردار
اشترى غالب متاعه والأغلال ، فكان عنده من القمح ما بلغ ثمة

خسة وعشرين كيساً ، وكانت الغرارة بخمسة وعشرين غرشاً ،
والكيس بخمسةائة غرش ، فانظر كم غرارة بخمسة وعشرين كيساً ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله . وسبأى الكلام على بطش الله ، وغضبه
بالدفترى المذكور ، لأن الله تعالى يمهل ولا يمهل ، ولا تحسبن الله
غافلاً عما يعمل الظالمون .

وفى اليوم الرابع والعشرين ، وهو يوم السبت من شهر
ذى القعدة ، توفى الشيخ محمد المكثبى ، هو وابنه ، فى الطاعون المشتد
فى هذه الأوقات . وكان إماماً فى الجامع القلعى ، وشيخ كتاب فى محلة
الخراطين ، فتوفى هو فى أول النهار ، وابنه فى آخره . وكان مبدأ هذا
الطاعون أول الخريف ، فى أواخر الصيف ، واستمر حتى دخل
الشتاء وزاد كثيراً ، وقد قيل بدخول السنة الجديدة يذهب .

وفى أوائل ذى الحجة ، طلع نجم له ذنب ، من جهة الغرب ، ويستمر
إلى بعد العشاء بقليل ، واستقام إلى أن دخلت السنة الجديدة .

سنة ١١٥٧

وكان دخولها غرة محرم^(١) الحرام يوم السبت سنة سبع وخمسين
ومائة وألف ، ١١٥٧ ، فى النجم الذى له ذنب ، يطلع من جهة الغرب ،
ثم صار يطلع من جهة الشرق ، وذنبه إلى الغرب .

(١) يوافق ١٥ فبراير (شباط) ١٧٤٤

وفي تلك الأيام قتل نفسه شيخ التكية . وفي تلك الأيام كثرت بنات الخطا ، ويتبرجن بالليل والنهار ، تخرج ليلة قاضي الشام بعد العصر إلى الصالحية ، فصادف امرأة من بنات الخطا ، تسمى سلمون ، وهي تعربد في الطريق ، وهي سكرى ومكشوفة الوجه ، ويدها سكين . فصاح جماعة القاضى عليها ، أن ميلى عن الطريق ، هذا القاضى مقبل ، فضحكت وصاحت وهجمت على القاضى بالسكين ، فأبعدوها [كذا] عنه أعوانه . ثم جمع القاضى الوالى والمتسلم ، وذكر لهم ما وقع له مع هذه العاهرة ، فقالوا له هذه من بنات الخطا واسمها سلمون ، واقتن بها غالب الناس . حتى صار ينسب إليها كل حاجة أو متاع ، فيقولون هذا المتاع سلمونى ، وهذا الثوب سلمونى . فأخرج المفتى فتوى بقتلها ، وإهدار دمهآ تسكيناً للفتنة ، ففتشوا عليها وقتلواها . (١٣) وأرسلوا منادياً ينادى فى البلد ، أن كل من رأى بنتاً من بنات الخطا والهوى ، فليقتلها ودمها مهدور ، فسافر [عدد] منهم وبرزوا البقية . ومع ذلك فالطاعون مخيم فى الشام وضواحيها ، مع الغلاء ووقوف الأسعار .

وفى نهار الأربعاء تاسع عشر محرم من هذه السنة ، ورد من الدولة العلية خط شريف إلى القبحى ، الذى جاء لضبط مال سليمان باشا ، بأن يجمع أهيان البلد ويقرأ عليهم فرمان ، ومضمونه بأن يفتش ويفحص على مخلفات الباشا المذكور ، وأن يغذب الرجال والنساء

بلا معارض ، حتى يقرّوا بالمال . فأجابوا بالسمع والطاعة . فأول من
أتى به ، ابن عم الباشا السيد محمد وهدده ، خاف بالاطلاق ، أن ما عنده
هلم . وقيل ضربه ، فأقرّ على مكان ، وقال احفروا هنا ، خفروا في دار
الباشا حول الوجاق . فبان عن أربع زلع ذهب ، فيهم ستة عشر ألف
ذهب . ثم ضربوا الطواشي ، فأقرّ بأنه مودع عند رجل ، يقال له الحاج
حسن الطرابلسي ، مخلاة ملائنة ريبالات . فسارت إليه الأعيان ، وأنوا
به وبالمال ، فأخرجوه فوجدوا داخل المخلاة بين المال جوهرة
ليس لها قيمة . ورأوا المال ناقصا عن ما قال الطواشي ، فأمر القبطي
بحبس الذي خرج من عنده المال . وحبس أولاده ومن يلو ذبه .
وأمر بحضور نساء الباشا وحريمه . وقد ذكرنا أولا أنه أخرجهم
[كذا] من الدار عنفاً وتركهم تحت الترسيم ، والآن امر بإحضارهم
فأحضروهم . وصار يقرّهم فأنكروا وجحدوا ، فأمر بحبسهم ،
فحبسوا في باب البريد^(١) وشدّد عليهم . وكان سليمان باشا سرية مقدمة
على جميع محاطيه تسمى زهرا ، كبأنها البدر في أفق السماء . وكان قد
تركها القبطي عند سليمان بك وكيل سليمان باشا على أملاكه تحت
الترسيم . فلما جاءه العرمان بعقوبة الرجال والنساء أمر بإحضارها ،
وسألها عن المال ، فأنكرت وادعت أنها مارأت شيئا ولم تعرف شيئا .
فأمر بضربها ، فضربت على وجهها ويديها وأجنابها ، حتى عدمت صوابها

(١) أحد أبواب مدينة دمشق القديمة ، ولا يزال اسمه يطلق على الطريق المؤدى
إلى المكتبة الظاهرية ابتداءً من المكتبة .

فلم تقرّ بشيء ، [١٣ ب] وهى تخلف . أن ليس لها علم ولا خبر ولا أطلعها . [سيدها سليمان باشا] على أمر ، فتركها تحت الترسيم ، لأنه جبار لئيم وشيطان رجيم ليس له شفقة على الحريم ، عذبه الله بنار الجحيم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . ثم بعد ذلك جمع الفبجى جميع حريم الباشا الجوار [ى] والأحرار جملة واحدة ، وأخذ جميع ما معهم [كذا] وما عندهم من ذهب وفضة ومتاع وحلى وألبسة وجميع ما تقتنيه النساء ، وذلك بعد العذاب والإهانة والضرب الشديد . قاتله الله بجلود لا دباغ لها وعذبه بنار الخلود .

ثم إن سليمان باشا كانت له زوجة هى بنت الشيخ ياسين القادرى ، لما رأت ما حل بصحبياتها من الإهانة سألتها القبجى عن مال زوجها الباشا ، وهددها بالعذاب ، فخافت وأعطت له شكلا من الذهب يساوى عشرة أكياس ، وأعطته تمسكات ، وهى سندات كانت على بعض التجار بنحو مائة وخمسين كيسا . وكان جميع ذلك المال إرثا عن أبيها الشيخ ياسين القادرى ، رحمه الله وقُدس سرده .

وكل هذا الحال وأسعد باشا العظم فى الحج . ولما جاء أسعد باشا من الحج عمل ديوانا ، وحضر القبجى وأخرج خطأ شريفاً بأن أمره مفوض يفعل ما يشاء من تعذيب وقتل وحبس ، ولا أحد

يعترضه . وقد ظن الناس أن أسعد باشا يقوم ويقعد لذلك ، فخرج الأمر بخلاف ذلك ، وقام ولم يحرك ساكناً . وسيأتى قريباً أخذ ثار سليمان من فتحي أفندي الدفتردار .

ثم بعد مدة جاء فرمان بالعفو ناهيه ، وجمعوا محمد آغا بن الديري والسيد محمد بن عم سليمان باشا والسيد سليمان ، فباعوا القمح والأملاك وما بقي من الأمتعة والزردخانه^(١) إلى أسعد باشا بأربعمائة كيس .

وفي نهار الخميس خامس ، جمادى الأولى ، سافر إلى إصطنبول القبجي المذكور . وقد ظنت الناس أن أسعد باشا ابن أخى سليمان باشا يفعل أمراً فى القبجي وفى فتحي الدفتردار فلم يقع منه شيء وسيأتى تدبيره فى تدمير الدفتردار قريباً .

وفي آخر جمادى الثانية جاء خبر من الدولة العلية فى طالب فتحي أفندي الدفتردار ، فسار صحبة القبجي الذى جاء فى طلبه .

وفي خامس يوم رجب تعصبت أعيان الشام ، وعملوا عرضاً فى فتحي أفندي [١٤] بأنه من المفسدين ، وما تم [الأمر] معهم لاختلاف كلهم .

(١) الزردخانه المكان الذى يحفظ فيه السلاح ، ويقصد بها هنا السلاح نفسه .

وفي ليلة الثالثة والعشرين من رجب بعد انشاء انشقت السماء ونزل منها آفة عظيمة ، واشتهر ذلك بين الناس . قال المؤرخ : ولم أرها بعيني .
وفي ثامن يوم من شعبان دخل قاضي الشام محمد أفندي زاد ، وكان رجلاً عاقلاً ، إلا أنه ما عنده سياسة ولا تدبير .

وفي اليوم الرابع عشر من شهر رمضان بهذه السنة جاء فتحي أفندي الدتردار من اصطبل ودخل الشام بفرح وسرور ، ولم ينله أدنى ضمير . وسبب ذلك ما بذل في الإصطبل من المال الذي به تميل قلوب الرجال . وكان محسوباً على الفضلار^(١) وجماعة من رؤساء الدولة كبار . وقيل إنه دخل إصطبل سرّاً وفرق المال سرّاً وجهراً ، وكان قد طلبه السلطان ، فزَيَّوا رجلاً بزيه ، وأدخلوه على الملك ، فقرعه بالكلام وبما وقع منه ، وما أرسلت أدل الشام من الشكايات عليه ، فكان كلما قال له حمزة الملك محمود خان كلاماً يشير له برأسه أن نعم ، وكان قد أمره بذلك من أدخله ، فخافاً أمر بقتله فقتل ، وهو ينظر أنه فتحي أفندي الدتردار ، ثم أمر وافتحي أن يلحق بالشام . إلا . وفي آخر ذي الحجة بطلت العالوس^(٢) الذي (كذا) كانت ضرب الشام .

(١) تحريف لوظيفة « قَزَهْ لِرَأْغَاسِي » أي الأغا الذي يشرف على حريم السلطان وكان عبداً خصياً ، وله نفوذ قوى في بلاط السلطان .

(٢) عملة من نحاس . انظر فيما سبق ص ٣٥ ، ٥١ .

سنة ١١٥٨

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة وألف نهار الثلاثاء^(١) . وقد تفاقم الأمر من تعدى الزر باوات^(٢) وهم الأشقياء ، فاستطالوا في سب الدين وظلم الناس وغير ذلك . وحاكم الشام حضرة أسعد باشا لا يحرّك ساكناً ، ولم يفعل شيئاً ، حتى صاروا يسمونه سعدية قاضين^(٣) ، نائمة مع النائمين ، ونرى الأشقياء للعرض والمال مستحلين^(٤) . لكن البلد من الحركات ساكنة ومن ظلم الحكام آمنة .

وفي خمسة عشر من جمادى الثانية توفى الشيخ الفاضل معتقد أهل

(١) يوافق ٣ فبراير (شباط) ١٧٤٥ .

(٢) انظر فيما سبق ص ٥ ، ١٨ ، ٣٠ .

(٣) قادين وهى السيدة ، وفى النسخة التيمورية : سعدية خاتم .

(٤) أشار إلى هذا المعنى القارى [ص ٧٩] فقال عن أسعد باشا فى أول حكمه : « وما تمرض لأحد بظلم ولا قتل أحداً ، فلما نظر أوجاق الانكشارية هذا الفعل احقره وطعموا فيه » . وفى ذلك يقول الراى [ج ٣ ص ٢٨٧] : « لأن الشقى منهم كان إذ ذاك يجيء إلى حبس السرايا ويخرج من أراد من المحبوسين من غير إذن أحد علنا وقهراً ، وإذا مرّ الوزير بهم وهم جالسون لا يلتفتون إليه ولا يقومون له من مجالسهم ، بل يتكلمون فى حقه بما لا يليق بمسمع منه ، فيحتمل مكارههم ولا يسمع إلا السكوت ، واستمر أمرهم على ذلك إلى أن كتب فى شأنهم للدولة العلية ، فورد الأمر بقتلهم وإبادتهم ، فأخفاه الوزير مدة ، ثم بعد ذلك أظهره وشرع فى قتلهم وإبادتهم ؛ وأعطاه الله النصر ، وفرجت عن أهالى دمشق الشدائد وأزاح الله هذه الظلمات بمصابيح النصر والفتوحات . »

الشام على الإطلاق الشيخ يوسف الطباخ الخلقى . قال المؤرخ : وما من الله به على أن حلقت رأسه واغتصمت دعائه ، رحمه الله ورضى عنه .

وفى نهار الاثنين الحادى والعشرين من جمادى الثانية من هذه السنة قامت العامة من قلة الخبز وغلو الاسعار وهجموا على السرايا ، رافعين أصواتهم بالبكاء والتضرع ، قائلين ما يحل من الله قلة الشفقة على العباد الذين تضرروا بالفلاء ، وأنت حاكم الشام ومـئول عند الله هنا وعن هذه الأحوال . فقال لهم أسعد باشا : [١٤ ب] اذهبوا إلى المحـكمة ، واشكوا حالكم إلى القاضى . فاقبلوا نحو المحـكمة ، واصطرخوا فيها يشكون حالهم وما أصابهم وما هو واقع بهم . فخرجت جماعة القاضى بالعصى وطردهم ، وكان ذلك بأمر نائبه ، فهجمت العامة ورجعهم بالحجارة ، فأمر القاضى أعوانه أن يضربوا بالبارود فضربوهم ، فقتلوا منهم رجلا شريفاً وجرحوا منهم جماعة ، فغارت العامة عليهم ، وساعدتهم بعض الأنكشارية ، فهزموا القاضى وقتلوا باشا جو قدار وبعض أعوانه ، ونهبوا المحـكمة وحرقوا بابها ، وسكرت الناس البلد ، فركب بعض الأغارات وردّ الناس . وأما القاضى فقد هرب من فوق الأسطحة هو ونائبه وجماعته ، فأخذه بعض الأكارب وصار يأخذ بخاطره ، خلف القاضى لا يسكن هذا الشهر إلا بالقلعة . ثم جمعوا مال القاضى ومataعه والذى نقص منه فرضوه على خزينة الوجاق^(١) وعلى

(١) يقصد أوجاق الانكشارية .

بعض الأكابر والأعيان ، وأرضوا القاضى وصالحوه وإلى المحكمة ردّوه .

وفى نهار الثامن والعشرين من جمادى الثانية توفى الشيخ الزاهد صاحب الأحوال والسكرات الشيخ أحمد النحلاوى الأحمدي ، ودفن براوته القاطن بها جوار ستي خاتون شاه أخت المالك العادل السلطان نور الدين الشهير بزقاق المحكمة .

ثم فى هذه الاوقات زاد غلوّ الأسعار وقلت الامطار وعظمت أمور السفهة والاشرار ، حتى صار رطل الجبن بنصف قرش والبيضة بمصرية وأوقية السيرج بنصف الثلث ، ومد الشعير بنصف قرش ، ومد الحنص بنصف قرش ، ومد العدس بنصف قرش ، وفرارة القمح بخمسة وأربعين قرشا ، بعدما كانت بخمسة وعشرين غرشا ، وأوقية الطحينة بأربعة مصارى ، والدبس كل ثلاثة أرطال بقرش ، ورطل العسل بقرش وربيع ، وكل شىء مهنض منه فوق العادة ، حتى صامد الملح بنصف قرش^(١) .

وفى تلك الأيام هلك مصطفى آغا ابن القباى كخيبة الانكشارية بمرض أهيا الأطباء برؤه ، وكان من الذين يدخرون القوت ويتمنون الغلاء لخاق الله ، فعجل الله العذاب والعقاب ، لقد بلغنى عنه أنه لما أرادوا دفنه حفروا له قبراً فوجدوا فيه ثعباناً عظيماً ، فحفروا غيره فوجدوا كذلك ، حتى حفروا عدة قبور وهم يجدون الثعبان قلت : وقد سبق

(١) فى النسخة التيمورية : قرش وربيع .

ذلك فيما سلف لبعض الظالة . وقد وجدوا في تركته من السمسم مائة غرارة ، على أن في البلد كلمها لم [١٥] يوجد مد سمسم ، ووجدوا من القمح شيئاً كثيراً ، وقد ظلب منه أن يبيع غرارة القمح بخمسة وأربعين قرشاً فلم يقل ، وحلف لا يبيعها إلا بخمسين ، فهلك ولم يبع شيئاً ، فبيعت في تركته ، ورحم الله عباده بموته ، لأنه أرحم الراحمين .

سنة ١١٥٩

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة وألف ، وكان أولها يوم الأحد^(١) . وقد دخل قاضيها معطى أفندى . وقدامه أعوانه حاملير البندق والسلاح ، حتى وصل إلى المحكمة ، وهذا لم يقع لغيره ، ثم جلس في المحكمة لا يحرك ساكناً ، وفقه الله .

وكان الحاكم في الشام والوان بها حضرة الوزير الخطير أسعد باشا ابن الظم ، يده الله وأعز كلمته . وكان غائباً في الحاج ، رانتسلم والكيخية موسى^(٢) . ولكن النلاء تأثم على قدم وساق ، مع الكرب والخوف والشدة .

(١) يوافق ٢٤ يناير (كانون ثان) ١٧٤٦

(٢) هو الكتخد موسى أغا ، وقد عين بعد ذلك والياً على صيدا [الصباغ

س ٧٦] .

وفي ثالث صفر دخل الحاج دمشق نهار الخميس صحبة أميره المعظم
والوزير المفخم حضرة الحاج أسعد باشا المعظم ، فهو والحجاج على
غاية من الصحة والسلامة . ثم بعد ذلك أرسل يطلب الدالانية^(١) طالباً
حينما ، فلما رأت الأنكشارية [ذلك] ضافت عليهم الأرض ، وقالوا
كأقوالهم السابقة^(٢) في قلة أدبهم : الست سعية تريد أن تغدر بنا ،
وهذا الأمر لا يخوفنا . ثم زادوا بحمل السلاح ونهب المال وسبي العرض
وسب الدين ، وغير ذلك من المظاييع . ولما زادوا عتواً وفتكاً ، ولم يراقبوا
حضرة الحق جل جلاله ، أرسل الله تعالى من غضبه ريحاً شديدة على
الشام ، ما رؤى مثلاً في سالف الأيام ، فقلعت الأشجار من أصولها
وأرمت غالب الجدران ، حتى ظنت الناس أن القيامة قد قامت .

وفي يوم الاثنين ثاني عشرين صفر من هذه السنة المذكورة بينما
الساقبيل الظهر في أشغالهم ، وإذا بضجة عظيمة وضرب بارود ، فقبل
ما الخبر ، قبل ما نكت الدالانية القلعة ، فسكرت البلد وزاد الزرع في
كل أحد ، ولما بلغ الخبر للأنكشارية قاموا على قدم وساق . وقالوا :
أخذت ما الدلعة باشاب ، واجتمعوا في باب الجابية^(٣) بالسلاح الكامل

(١) انظر فيما سبق ص ١٩ — ٣١٠ ٣٠ — ٤٧٠ ٣٢ .

(٢) انظر فيما سبق ص ٦٢

(٣) أحد أبواب مدينة دمشق القديمة . وينسب إلى قرية الجابية ، لأن الخارج
إليها كان يخرج منه . صلاح النجد : دمشق القديمة ص ٥٣ .

ينظرون القتال . ولما وصل الخبر لحضرة أسعد باشا فرح واستبشر
ونادى : اطلبوا سوق ساروجا^(١) وجدوا في الطلب ، وأمرهم أن يتركوا
جهة القبلة ، وكان ذلك منه حيلة وخدعة . ثم نادى في عسكره نداء شاع
في البلد بأن مرادى [أحمد بن التلطقجى وعهد الله [١٥ ب] بن
حمزة ومن لهم من الاتباع ، وكانا من رؤساء وأمراء سوق ساروجة .
هذا والجنك^(٢) يلعب بسوق ساروجة ، وكأنه لم يكن حاكم بالشام إلا هم ،
فأراد الله تدميرهم . ثم أمر حضرة الباشا أن يوجهوا المدافع على سوق
ساروجا ، فوجهوها عليهم وأمر بضربها بالكل فضربت ، فما كان
بأقل من حصّة يسيرة حتى احترقت الدور وانهدمت البيوت ، واحترق
بيت ابن التلطقجى وعدم عن آخره ، ونهبت المساكن كل ما فيه . ثم
سرى الذهب في بقية الدور ، فنهبوا وقتلوا ومثلوا وبدعوا ، وذهب
الصالح والعالم ، حتى صارت محلة سوق ساروجا قاعاً صفصفاً . وأما
ابن القلطقجى فإنه فر هارباً بعد ما بذل من الشجاعة هو وجماعته الغاية
القصوى . ثم أمر حضرة الباشا أن تدار المدافع على جهة الميدان
فوجهوها ، وكان رأس المفسدين بها مصطفى أغا بن خضرى جربجى ،
حتى سمي نفسه سلطان الشام . وعنده زمرة من الأشقياء يتقوى بهم ،
وبها أيضاً أولاد الدرزى أحمد أغا وخليل أغا ، ولهم بها دولة .

(١) أى إطلاق الرصاص .

(٢) هى ضاحية نشأت في شمالي مدينة دمشق على طريق الصالحة ويروت
واختصت على الغالب بسكنى الضباط والجنود . [سوقايجيه ص ٤١] .

فحين بلغ هؤلاء المفسدين بأن حضرة أسعد باشا وجه عليهم المدافع بالساكر أوقع الله الرعب في قلوبهم ، وركنوا للهرب والفرار ، وطلبوا البرارى والقنار^(١) . وبانزاههم وهربهم تقطعت قلوب بقية من كان من الشجعان من أهل الميدان ، فمنهم من هرب ولحق بساداتهم . ومنهم من قبر في المغائر^(٢) والقبور ، ومنهم من غطس في النور . ولما وصلت الميدان المدافع لم يجدوا فيها من يدافع ، فأول ما اشتغلت الساكر بهدم دار ابن خضرى ، بهدم ما نهبوا جميع ما فيها من المناع وغيره . وكذلك فعلوا بدار ابن حزة وبغيرها من الدور ، حتى نهبوا نحواً من خمسمائة دار ، وبعد ذلك اشتغلوا بهدم الدور التي نهبوها .

وأرسل حضرة أسعد باشا ، أسعده الله وقواه ، خبراً إلى مشايخ الحارات بها وأعلمهم بأن يقبضوا على بقية الأشقياء الموجودين ، وإن لم

(١) هرب أحمد أغا القلطةجى وبعض أعوانه إلى جبل لبنان ولجأوا إلى الدروز محتجين بنى يربك وتقوتوا بهم ، فأخذوا يقطعون الطريق إلى دمشق ويغيرون على أطرافها ، فأرسل أسعد باشا إلى الأمير ملحم الشهابى طالباً إخراجهم من بلاده . ولكن بنى يربك رفضوا ، فشن الأمير الحرب على يوتهم . ونزع آل تلحوق ومعهم القلطةجى إلى سهل البقاع . ثم تصالح الباشا والانكشارية وأذن لرؤسائهم فى العودة إلى دمشق ، وكذلك تصالح الأمير ملحم مع الشايخ من بنى تلحوق وعادوا إلى بلادهم . [الأمير حيدر ج ١ ص ٣٧] . وانظر فيما بعد ص ٦٩ . من هذا الكتاب .

(٢) جمع صاحب الكتاب مغارة على مغائر .

يفعلوا يلزمهم بغرامة أموال عظيمة . فصاروا يتبعون الأشقياء واحداً
 بعد واحد ، ويقولون لحضرة الباشا : هذا السقي فلان العلاني ، وهذا
 الأغا العلاني ، وهذا الثريجي العلاني . وحضرة الباشا أمر بضرب أعناقهم
 أمام باب السرايا وترك جسومهم [١٦] تأكل منها الكلاب مدة
 طويلة ، حتى صاروا عبرة لمن اعتبر . فسكنت بعد ذلك الشام ، وصارت
 كقدح لبن ، وصارت الناس في أمن وأمان ، وستر الأعراس .
 فلك الباشا البلد بنحو أربعمائة من العسكر الدلالية . وقد أمنت البرية ،
 فكان ذلك بهمة القوبة ، بعد ما كانت تقول كبراء الميدان وأعيانهم :
 لو جاءنا عشر باشاوات ومعهم السلطان ما حسبنا لهم حساب ، ولشرطنا
 ذنبهم بالطبجيات . فانظر الآن ، فقد صاروا أذل من الذباب ، وطعماً
 لأخس الكلاب .

وأما أولاد ابن الدرزي فإنهم هربوا والنجأوا إلى عرب ابن كليب هم
 وأتباعهم ، وأما ابن حمزة وأتباعه [فإنهم فروا نحو طبريار النجأ وبالظاهر
 هم ، وأولاد الماطقجي وأتباعهم هربوا]^(١) إلى جبل الدروز ، والذي
 منهم وقع جعلوا جلده رقع ، وكان أعظم مصيبة وخذلان لبيت حسني

تركان^(١) ، قتل منهم خمسة رجال : حمزة بيك ومحمد آغا وحسن آغا
ونخيل آغا وسایسهم . وكانوا من المفسدين الظالمين المؤذين ، مهتكمين
للحریم ، سبایین للدين ، عدا حمزة بيك فإنه كان بخلاف ذلك ،
فقد ذهب غلطاً وهدرا .

وقد زينت البلد ، والمدافع تضرب صباحاً ومساء مدة شهرين ،
والنوبة مع الأتباب الأرية . وكفى الله المؤمنين القتال ، وقطع دابر
القوم الذين ظلموا . والحمد لله رب العالمين .

قل المؤرخ البديري : وقلت في وصفهم من المواليا :

أين الزلافة^(٢) التي كانت شديه السيف

جزمات لا يشلحوها^(٣) بالشتا والصيف

(١) كان حسن تركان من رؤساء الأجناد وكبراء أوجاق الانكشارية بدمشق ،
وهو دمشقي الأصل من حيّ البدان ، وقد صار كتحدا الأوجاق ، واستكثر من
أهله وأتباعه في الأوجاق ، « حق كانوا — فيما يقول المرادى — يقاربون ربع
العسكر » ، ثم نكبوا في عهد أسعد باشا المظفر ، وأصبحت البقية الباقية منهم « من
آحاد الناس » . [المرادى ج ٢ ص ٦٣] .

(٢) الزلافة في عرف الشاميين هي المتو والتظاهر بالرجولية [من تعليق ناسخ
المخطوطة الظاهرية] .

(٣) أى أحذية لا يخلعونها في الشتاء ولا في الصيف .

إن شاف واحد صديقه لا يقله^(١) كيف
ديك الزلاقة مضت يا حيفها يا حيف

وفي آخر ربيع الثاني أرسل حضرة أسعد باشا العظم عسكراً عظيماً
إلى مدينة بعلبك، لقتل واليها الأمير حسين^(٢)، فلم يجدوا له أثراً، فدخلت
الأنعوان ونهبوا وسابوا وفعلوا ما فعلوا، ثم أتوا بثمانية رجال من أعيان
بعلبك، ومن جعلهم مفتيها لدمشق الشام، فشنق مفتيها المذكور، وضربت
أعناق الباقين.

وفي تلك الأيام أرسل حضرة أسعد باشا حملة من العساكر إلى
العرب، لخماء واربءوس من العرب وجمال وأغنام وسلب وغير ذلك.
وقد أربب حضرة أسعد باشا المذكور الكبار والصغار، وعظم صيته
حتى في البراري والقفار، وصاروا يضيفون لاسمه الحاج، ويقولون:
الحاج أسعد باشا.

وفي هذه الأيام جاء من الدولة العلية قبجي ومعه من حضرة

(١) أى لا يقله.

(٢) ردد الأمير حيدر الشهابي في تاريخه (ج ١ ص ٣٤ - ٣٨)، ذكر القتال
بين أسعد باشا العظم والأمير ملحم الشهابي أمير الدروز، وكان معه الأمير «حسين»
ابن الحرفوش صاحب بعلبك، ولعله الأمير حسين الذي ذكره البديري هنا. وقد
أشاد الأمير حيدر بانتصار الأمير ملحم على القوات التي وجهها الباشا إلى البقاع.

السلطان هدية ملوكة لحضرة الحاج أسعد باشا . وهي كرك عظيم مفتخر
وسيف ملوكي وخلع وتشاريف . وذلك لم يسبق لغيره من الوزراء
والحكام ، إلا إلى الوزير الأعظم صاحب الختم^(١) ، لما كان في سفر
حرب ، وصار على يده فتوح بلدان ، فسمحان المعطى المانح^(٢)

وكانت (الدولة) منذ أمد غير بعيد قد رفعت أروط التبقول من
الشام^(٣) ، ولم تر لفات برمة^(٤) . فأرسل حضرة أسعد باشا حفظه الله
يطلب من الدولة أروطاً ، فأرسلوا له أروطة أون طقوز^(٥) ، ودخلت
بوكب عظيم ، سرت أناساً وأكملت أناساً .

وأرادت بعض الأشقياء أن تقيم رؤسها ، فأخبروا حضرة الباشا
بذلك ، فأرسل يقول للأغا : كل من أدخله من أولاد الشام^(٦) من
غير جنسك لا يرجع اليوم إلا على نفسك . فانتظم الحال ، وقويت

- (١) حامل ختم السلطان وهو الصدر الأعظم .
- (٢) أشار إلى ذلك الأمير حيدر الشهابي في تاريخه (ج ١ ص ٣٥) فقال :
« فأنعمت عليه الدولة العلية بطوق ، أي علامة الرضا وأن لم يبق ينجر عليه سلاح
ولا يقتل » . ولكن ذلك لم يحل دون قتله ومصادرة أمواله بعد ذلك .
- (٣) انظر فيما سبق ص ١٣ ، ٢٠ .
- (٤) كان للجنود من التبقول لباس رأس خاص ، وهو عمام (لفات) تُبرم .
- (٥) الأروطة التاسعة عشرة .
- (٦) يريد أسعد باشا بذلك أن يتفادى ما حدث لأوجاق الأنكشارية من دخول
(أولاد الشام) من رجال الحرف في الأوجاق وتسلطهم عليه ، حتى دعى أوجاق
البرلية (أي المحلية أو البلدية) ، بل يبق الأوجاق (التبقول) تركياً خالصاً .

دولة القبة قول في دمشق الشام ، وبرموا اللقات ، ورجعت دولتهم أحسن مما كانت .

وفي جمادى الأولى من هذه السنة وصل الجراد للشام ، وكان حولها له ستين مخيم ، فزول على بسايتها . فأكل حتى لم يبق ولم يذر ، فأرسل حضرة الباشا رجلين من أهل الخبرة يأتونه بماء السممر ^(١) . ثم إن هذه

(١) السممر نوع من الطير كان الناس يعتقدون أنه يفتك بالجراد ، فكانوا يحرسون على الإتيان به إذا نزل الجراد بأرضهم ، ولكنه - في اعتقادهم - لا يأتي إلا تابعا نوعا خاصا من الماء يجلب خضيفا من عين بين إصفهان و شيراز . فإذا نزل الجراد بأرض جلب إليها من تلك العين ماء ، بحيث أن حامل الماء لا يضعه على الأرض ولا يلتفت وراءه ، فيبقى طير السممر على رأس حامل ذلك الماء كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد ، فتقع الطيور عليه وتقتله . وقيل من شرطه أن يكون حامل الماء من أهل الصلاح ، ولا يمر به تحت سقف ، فإن فعل بطل مقعوله . [المرادى ج ٣ ص ٢١٤ - ٢١٥ ، الغزى : ج ٣ ص ٢٣٠ ، ٢٦١ - ٢٦٤] .

ويبدو أن ماء السممر لم يقد في مكافحة الجراد ، فلجأ القوم إلى « مراسلات » يكتبونها له ويملقونها ، « فلم يحصل - فيما ينقله المرادى - ضرر على الزرع ، وظهر من ذلك تأثير عجيب في دفع مضراته » . وفي هذه « المراسلات » يعلن الجراد للغير بالخصور إلى « مجلس الشرع الشريف بدمشق » لسماع الحكم عليه بالرحيل ! . ثم بطل اعتقاد الناس في ماء السممر وفي الأدعية والمراسلات ، ولجأوا في مكافحته إلى جمعه ودفعه أو إحراقه . ولكن اعتقادهم في طير السممر نفسه ظل قائما إلى زمن متأخر ، ففي سنة ١٨١٦ أغارت أسراب الجراد على بلاد الشام وأهلكت الزرع « حتى أرسل الله له السممر ، ففقس في أرض وادي التيم وغير أماكن ، ثم لحق الجراد بمد طيرانه فاخفى من جميع عرب بستان (عربستان = البلاد العربية) وأراح الله العالم منه » . [الأمير حيدر الشهابي ج ٣ ص ٦٣١] . وقد أشار الرحالة فولني إلى مقاومة الجراد بطير السممر (ص ١٨٥ من مجموعة مؤلفاته)

السنة كانت كثيرة الأمطار والخيرات والفواكه والنبات . ومع ذلك فأهل الشام في شدة عظيمة من الجلاء ، ونهض الأسعار في جميع البضائع . وكان حضرة أسعد باشا حفظه الله عمل ديواناً ، وأرسل خلف بائعي القمح ، وطلب منهم إحضار القمح وهدّهم ، فحلفوا له بأنه ما عندهم شيء ولا يوجد . فقال لهم أنا عندي قمح كثير في حمّة^(١) ، فادخلوه . فأرسلوا يطالبون جميع ما يوجد من القمح خاصة حضرة الباشا وغيره ، فجاءهم من حمّة أحوال قمح بغير حساب ، وباعوه في الشام على السعر الواقع . ومع ذلك فرطل الخبز بخمسة مصرية ، وقد طالت هذه الشدة .

وفي نهار الأحد بعد العصر خامس عشر جمادى الثانية من هذه السنة ضربت مدافع ، فسألت الناس عن الخبر ، فقيل إن سعد الدين باشا أخا أسعد باشا جاءته رتبة ورامة ، وجاءه طوخ^(٢) . ففرعت أكابر

(١) حيث ضياع الباشا وأهله من بني العظم ، وكان أسعد باشا حاكماً بحمّة قبل أن ينتقل إلى دمشق .

(٢) الطوخ [أو الطوخ] جزء من شعر الحصان من ذيله أو معرفته ، يرفع على الراية علامة التكريم . وكانت الباشوية من ثلاث رتب : باشوية بطوخ ، ثم باشوية بطوخيف ، وأرفع منهما الباشوية بثلاثة أطواخ ، وهي رتبة الوزارة أو الولاية . أما السلطان فترفع أمام موكب سبعة أطواخ . ويرجع هذا التقليد إلى عصور الأتراك الأولى ، عندما كانت حياة الرجل منهم مرتبطة بحصانه .

الشام لأجل (تمهنة) أخاه [كذا] أسعد باشا . وكان أسبقهم تمهنة
الباشا فتحى [١٧] أفندى دفتر دار الشام . فلما رآه الباشا قام ودخل
لدهليز الخزانة ، فتبعه وجلس عنده ، فأخرج أسعد باشا صورة عرض
وأراه إياه ، فأخذه فتحى أفندى وقرأه ، وإذا فيه الأمر بقله . وقال
له حضرة الباشا ما تقول فى هذا . فقال سمعاً وطاعة . لكن أنا فى جيرتك
أخذ من المال ما أردت وأطلقنى . فقال له الباشا : ويلك يا خانن ، أنا لم
أنس ما فعلت فى نساء عمى^(١) . ثم أمر برفع شاشه وقطع رأسه ، فوضع
فى رقبة جبل ، وسحب إلى خارج السرايا وقطع رأسه ، وأرسل للدولة .
ثم أمر الباشا أن تعاف بجثته فى سائر شوارع الشام وطرقها وأزقتها
ثلاثة أيام ، ففعل به ذلك ، وطيف به عرياناً مكشوف البدن وتركوه
للكلاب ، ثم دفنت جثته بتربة الشيخ رسلان وأمر الباشا بالإحاطة
على داره وعلى ماله والقبض على أعوانه ، فألقوا القبض على خزانداره
عثمان وعلى ولده فأمر بحبسهما ، ثم أتوا بأكبر أعوانه — وكان يلقب
بالفصا^(٢) فقطع رأسه حالاً . وزادوا على أعوانه بالتفتيش ، فقتل
بعض أعوانه وخرامه ، ثم ضبط الوزير تركنه وأمر آل أتباعه جميعاً للدولة

(١) انظر فيما سبق ص ١٧ ، ٤٥ ، ٤٩ — ٥١ ، ٥٥ ، ٦١ [٩٩] ص ٤٥ ،

٤٧ ، ٥٠ — ٥٤ ، ٥٢ — ٥٨

(٢) انظر فيما سبق ص ٥٠ ، ٥١ .

العلية ، فبلغت شيئاً كثيراً ، وتفرّق الباقون أيدي سبا ، كأن لم يكرنوا وانقضت دراهم كأنها طيف خيال .

قال المؤرخ [البديري] : ذلك بما كسبت يدها ، فقد كان ظلوماً غشوماً بغيضاً لأهل الشام ، يريد لهم الجور والظلم ، لا يراعى الكبار ولا الصغار ، إلا ناس من الأشرار : وهم من حزب الشيطان ، قد اتخذهم عدة لكل عدوان . وتحقيق أمره وخبر قصة البطش به ألخصها ، وأنا الفقير مهذب هذا التاريخ ومحرر هذه الورقات ، فأقول : ذكر المرادى^(١) في آخر ترجمة فتحي الدفيري المذكور ما ملخصه : كان المترجم يراجع في الأمور حتى من الوزراء والصدور ، طالت دولته وعظمت عليه من الله نعمته ، واشتهر صيته وعلاقته ونشر ذكره ، لكنه كان يتصدى للاستتالة في أقواله وأفعاله ، وأتباعه متشاعرون بالفساد والفسوق وشرب الخمر وهتك الحرمات ، وهو أيضاً متجاهر بالمظالم ، لا يبالي من دعوة مظلوم ، ولا يتجنب الأذى والتعدي ، ونسب إلى شرب الخمر أيضاً وغير ذلك . فلهذا كانت أقرانه وغيرهم يريدون وقوعه في المهالك ، ولما توفي [١٧ب] الوزير سليمان باشا العظيم وإلى دمشق الشام وأمير الحاج ، وجاء من قبل الدولة الأمر بضبط أمواله وممتلكاته ، نسب المترجم إلى

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ج ٣ ص ٢٧٩ وما بعدها .

أمور . وفي خلال ذلك تولى دمشق حاكماً وأميراً للحاج ابن أخيه
 الوزير أسعد باشا العظم الذي كان حاكماً [في حماة]^(١) ، فأكد
 للترجم فعله المنبوب إليه حين وفاة عمه ، ولم يره إلا ما يسهـه .
 وكان المترجم متميماً إلى أوجاق اليرلية^(٢) . وكان الأوجاق في ذلك
 الحين قواة ثمة وجيوشه بالفساد متلاطمة ، وهم عصبة وجوع يذل
 لهم أكبر قرم^٣ بالمذلة والخضوع ، قد أبادوا أهل العرض وانتهكوا
 الحرمات وأباحوا المحرمات ، ولم يزالوا في ازدياد حتى عمّ فسادهم
 البلاد والعباد . وكانت رؤساؤهم زمرة ضالة وفئة منمردة وصاحب
 الترجمة فتحى أندى يوليهـم مكرماته ويمنهم إحسانه وإنعاماته ، وهم
 لبابه وفود ، قد اتخذوه ركناً وسنداً ، وأرباب المقرل في دمشق في هم
 وكدر وخوف وحذر ، كل منهم متجير في أمره ومتنـوف من هذا
 الحال وعرف بشـه . وأمير الحاج قننـذ والى دمشق أسعد باشا المذكور
 ناظر لهذه الحال . متجير من لك الأجرال ؛ لأن الشقى منهم كان يـجى .
 إلى حبس السرايا وينـرج من أراد من المحبوسين من غير إذن أحد علناً

(١) السكمانان المحصورتان بين قوسين ساقطتان من النسخة الظاهرية .
 (٢) آشرنا إلى دخول أهل الشام من أرباب الحرف في أوجاق الانكشارية
 فيطروا عليه ، حتى أصبح يعرف بأوجاق اليرلية أى الجند المحلية أو البلدية ، وقد
 أصبحوا أشبه ما يكونون بالعصبات . يلتف كل منهم حول زعيم ، وعظم فسادهم ،
 وقد أورد البديرى طائفة من أفعالهم ، ونوّه بفنك أسعد باشا بعدد من رؤوسهم وهرب
 الباقيـن .

(٣) أى الرجل صاحب الشأن .

وقرأ . وإذا مرَّ الوزير المذكور بهم وهم جالسون لا يلتفتون إليه ولا يقومون له من مجالسهم عند مروره بهم ، بل ينكبون في حقه بما لا يليق بسمع منه ، فيتحمل مكارههم ولا يسعه إلا السكوت . واستمرَّ أمرهم على ذلك ، إلى أن كتب في حتمهم للدولة العلية ، فرد الأمر بقتلهم وإبادتهم ، فأخناه الوزير مدة ، ثم بعد ذلك أظهره ، وشرع في قتلهم وإبادتهم ، وأعطاه الله تعالى النصر ، وفرجت عن دمشق الشدائد . ثم بعد أشهر قليلة كتب الوزير المذكور إلى الدولة العلية بخصوص صاحب الترجمة وما هو عليه ، وأرسل الأوراق التي في حقه مع علي بك كول^(١) أحمد باشا ، وكان ذلك بتدبير خليل أفندي الصديق^(٢) وأعيان دمشق . ثم صادف أن صاحب الدولة كان حسن باشا^(٣) ، وكان يفيض المترجم فتحمى لكونه لما جاء قريب حسن باشا المذكور وهو أحمد أغا آغات^(٤) . أو جاق اليكجيرية طرده ، وصار أخيراً وزيراً ، فأدخل للسلطان أحواله ، وعرفه طابق مكاتبة أسعد باشا

(١) كول بالتركية معناها مملوك .

(٢) مفتي الحنفية بدمشق [الراوى ج ٣ ص ٨٤] .

(٣) هو الصدر الأعظم حسن باشا ، ولى الصدارة في سنة ١١٥٦ (١٧٤٣ م) وصرف عنها بعد ثلاث سنوات [دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، ج ٧ ص ٣٨٨] .

(٤) أغا آغات أو جاق الأنكشارية كبير ضباطه .

[١١٨] . وكان أسعد باشا ضمن للدولة تركته بألف كيس^(١) ، فجاء الحبر بقتله .

وكان قبل ذلك صار من أهل دمشق فَرَضَ في خصوصه ، فلم يفد ، وكان هو ياسلامبول ، فأعطى العرض له ، ولما جاء لدمشق صار يخرج ، وينتقم من اسمه مكتوب فيه . وكان السبب في ذلك وجود آغت دار السعادة بشير أغا ، وكان المترجم منتعيا إليه ، وكان للآغا المذكور نظر على المترجم وحماية ، فصادف الأمر بالمقدور أن بشير أغا توفي وحن القضاء وآن وقته ، فجاء الأمر بقتله ، فقتل شر قتلة على الوجه الذي قدمناه ، وبالتاريخ الذي ذكرناه .

وقد عمل البديري صاحب الأصل في واقعة فتحي الدفري المذكور هذه المواليا ، فقال :

ياما فعل فتحي لما صار دفتر دار
عزّه زمانه وسعده حول داره دار
دولاب عزه رقص ياناس لما دار
لم يعتبر أن هذا الدهر بو^(٢) غدار

(١) اعتبر الأستاذان جب وبون Gibb & Bowen ; op. cit. II. p. 3. n هذا العمل من أسعد باشا العظيم رشوة قدمها للسلطان ، حتى أذن له بقتل الدفتردار ومصادرة أملاكه .

(٢) أى [به] ،

ومع ماله من سيئات كان له حسنات ونفع في بعض الأوقات
للأنام . فن آثاره المدرسة التي في القيصرية ، وأوقف جرايات
وشوربة لطابة العلم ، وعمر رصيف درب الصالحية ، وعمر الحمام
في ميدان الحصا المسعى باسمه ، والقهوة أيضاً . ومن أعظم آثاره
تجديده لمنازل تكية السليمانية التي في المرجة ، وذلك بعد سقوطهما
أيام الزلزلة ، فأعيدتا أحسن مما كانتا ، وله غير ذلك . غير أن سيئاته
أكثر من حسناته . نسأله تعالى أن يتغمدنا بلطفه وعفوه ، ويحيرنا
من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، فإنه قريب مجيب آمين .

وفي تلك الأيام جاءوا بشيخ جبرود ، وأخبر أسعد باشا بأنه
قتل شخصاً ، فسأله الباشا فأجابته ، وقال إنه قد قتل أبي فقتلته ، فأمر
بقتله ، فقتل حالا . وفي يوم الأحد ثالث عشر رجب من السنة
المذكورة توفي محمد آغا ابن الديري في داء الدوسنطارية ، وقد كان
مدركا لأعمال (أسعد باشا وأعمال أبيه إسماعيل باشا وعمه سليمان
باشا ، وكان وكيلا [١٨ ب] للخرج)^(١) ، لكن عاينه مدار كل
الاعمال ، وصاحب الكلمة الناندة عندهم ، حتى قيل إنه صاحب
كل حركة وقعت بالشام ، ولأنه ارتكب للفواحش من شرب خمر
وغیره مع إبدائه للراعايا . وكان أيام الفتن يمشى قدام الدلاية يساب

(١) العبارات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية في هذا الوضع
ثم جاءت في موضع آخر فلا محل لها .

وينهب ويخرب بيوت الأنكشارية ، وقد أتى بأحجار بيوتهم
وأخشابهم وعمّر بها دارا ، فقامت العمارة حتى ملك مع الهالكين ،
وضبط الباشا ماله ونواله ، وذهب مع الذاهبين .

وثاني يوم موته قتل الباشا هثمان آغا خزندار فتجى أفدى
الدفردار كما قدّمنا ، وقتل معه أحمد آغا الشربجي خزندار فتجى
الثاني ، وضبط مالهما .

وبهذا اليوم ، وهو يوم الاثنين رابع عشر رجب ، جاءوا بماء
السمرمر^(١) ، وطلعت لملاقاته المشايخ وأهل الطرق بالأعلام والمزاهر
وطبول الباز ، ودخلوا بموكب عظيم بكت فيه خلق كثير ، وعلقوه
بمارة الشيخ الأكبر^(٢) في الصالحية ، وفي منارة تكية المرجة^(٣) ،
وفي منارات الجامع الأموى ، وأبقوا في السرايا قِرب من ماء
السمرمر^(٤) ، وذكروا أن مرادهم أن يعلقوهم في أراضى حوران .
هذا والغلاء قائم على قدم وساق ، لم يقع مثله في قديم الزمان .
فرطل الخبز وصل إلى سبع مصارى ، والوسط بستة ، والردى
الدون بخمسة مصارى ، ورطل الكعك بخمسة عشر مصرية ، ورطل

(١) انظر فيما سبق ص ٧٣ .

(٢) يقصد جامع الشيخ محي الدين بن عربى

(٣) تكية السلمانية .

(٤) في النسخة التيمورية : وألقوا في السرايا من ماء السمرمر ، وعبرة
الظاهرية أضبط .

الرز بمشرة مصارى، وأوقية السمن بخمسة مصارى فى وقت جلبيه ،
وأوقية الطحينة بخمسة مصارى ، وأوقية السيرج بخمسة مصارى ،
وأوقية القريشة^(١) بثلاث مصارى ، وكذلك الجبن والدبس الرطل
بثمانية عشر مصرية ، ورطل العسل بقرش ونصف ، ومد الملح وصل
عنه للعشرين مصرية ، ومدّ الحصى بثلاث أرباع المصرية ، وكذلك
العدس . وأغرب من ذلك مع كثرة الفاكهة رطل التين الطرى بأربعة
مصارى ، والكوسا كل ثلاثة بمصرية ، والباذنجان الرطل بثمانية
مصارى ، وكل يقطينة^(٢) بأربعة مصارى ، ورطل اللحم نصف قرش
والبطيخة بنصف ربع ريال، إن كانت صفرا [ء] أو خضرا [ء] ،
والخيار الرطل بمصريتين . وقد دام هذا الأمر سبع أو ثمان سنين ،
لكن فى هذا العام قد زاد الحدّ ، والحكام لم يفتشوا على الرعية ،
وهذا مع قلة البيع والشراء والكساد وكثرة الديون على العباد ،
وظلم بعضهم البعض ، وقد ضاقت على العباد فسيح الأرض .
والحكم لله .

وفى يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر رجب فى هذه
السنة تسع وخمسين ومائة [١١٩٠] وألف جمعَ حضرة أسعد باشا
العظم أكابر الشام وأعيانها فى المحكمة ، ووقف جميع أملاكه على

(١) نوع من الجبن لا يزال أهل الشام يصنعونه ويتفننون فى صناعته .

(٢) اليقطين هو ما يسمى فى مصر بالقرع العسلى .

أولاده ، ثم على أولاد أولاده على حسب ما اشترط في الوقفية ، وفارق
على أولاد عمه ما كان لهم ، وقد كان ضبط مال محمد آغا ابن الديري وعمل
حسابه على عقله ، فظهر لحضرة الياشا أنه قد تبقى له مع ابن الديري
المذكور اثنا عشر كيسا . ثم جاءت الأوصاف^(١) وأخبرت حضرة الياشا
بأن لهم متبقى في ذمة ابن الديري من أيام آييك إسماعيل باشا وعمك
سليمان باشا ، [و] في أيام دولتك اثنا عشر ألف قرش ولجوا في طلبها .
فقال : الحقوه وخذوهم منه ، فأنا باقى لي معه اثنا عشر كيس ذهب ، فليس
لكم فائدة في هذا الطلب ، فكل منهم ترك ماله عند الله وذهب .

وفي ليلة الجمعة لخمس وعشرين من شهر رجب أسعد باشا
إلى الدورة من هذه السنة . وفي ليلة الثلاثاء التاسعة والعشرين من
شهر رجب من هذه السنة توفي مصطفى أفندى زاده قاضى الشام ،
وصار ولده نائبا عنه بمكانه .

(١) الأوصاف جمع (صنف) بمعنى طائفة من طوائف الحرف ، وتنظم المشتغلين
بالحرفة والقلنوات والإشراقات (أى الصبيان) تحت زعامة شيخ الطائفة ، وتنظم
الطائفة الشئون المتصلة بالحرفة والمشتغلين بها ، ومن ذلك الترقى فى سلك الحرفة
وتحديد الأسعار ومستوى العمل والعلاقة بين الطائفة والحكومة . وكانت كل طائفة
تربط نفسها بولى معين أو طريقة صوفية خاصة وتسام فى إحياء حفلاتها الدينية .
وقد عظم نفوذ الأوصاف عندما اندمجت فى الانكشارية ، حتى أصبح هذا الأوجاق
لا يكاد ينتظم — فى القرن الثامن عشر — إلا أهل الحرف ، وقد وصف التزيمى
(ج ٣ ص ٣٥٠) تسلط الانكشارية على الحرف والصنائع ، ومنها الجزارة ، حتى
« كان الرجل لا يقدر أن يطبخ فى بيته إلا نوع الطعام الذى يأمره به لحامه » .

انظر أيضا : Gibb and Bowen , vol 1. part 1. p. 281 & seq.

وفي نهار الجمعة في الثاني^(١) والعشرين من شهر شعبان من هذه السنة قدم محمد آغا بن فروخ^(٢) بمنصب دفترة الشام، مكان فتحي أفندي الفلاقتسي، وأقام في داره المشهورة بهم.

وفي خلال هذه الأيام زاد الهم على الناس، واشتد بهم وقوف الحال مع شدة الغلاء، والحزب بستة مصادري كما قدمنا، حتى صار رأس الكرنب الذي قدر النارية بمصريتين، والباقي هلى هذا المنوال. فالأمر لله الملك المتعال.

وفي خلال هذه الأيام من هذه السنة جاء مقرر طرابلس الشام إلى حضرة سعد الدين باشا، وكان مع أخيه في الدورة، فرجع مع أخيه إلى دمشق، وأقام قليلا، وسار طالبا منصبه، وفقه الله.

وفي هذه السنة كان ثبوت رمضان ليلة الاثنين، والعيد الأربعاء والصوم تمام.

(١) الثامن — في النسخة التيمورية.

(٢) بنو فروخ أسرة ناهية تولى كثير من أفرادها إمارة الحاج في القرن السابع عشر، قبل أن تضاف إلى والى دمشق. وكان آخر من تولى هذا المنصب منهم عساف باشا وقد توفي سنة ١٠٨١ (١٦٧٠ — ١٦٧١ م). وقد تولى محمد آغا بن فروخ دفترة دمشق بعد مصرع فتحي أفندي وظل بالمنصب ثلاثين سنة متوالية. وقد نوه المرادى (ج ٤ ص ٣٨) بحسن خلقه واستقامته، حتى إنه بعد أن أمضى تلك السنوات الطويلة في منصبه طلب إفتاءه منه ومحاسناته، فأرسلت الدولة أحد الروزنامجية « فعملت له الدولة الحساب على مراده »، وقد توفي سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م).

وفي نهار الجمعة بعد الصلاة في سبعة عشر شوال من هذه السنة خرج حضرة والى الشام وأمير الحاج أسعد باشا العظم قاصدا الحج الشريف، والحاج خرج يوم عشرين. ولما سافر حضرة الباشا ترك المسلم بها وهو موسى كنجية مكانه في الشام. فجاءه الخبر بأن الزرباوات — وهم الأشقياء المطرودون^(١) — مرادهم بأن يأتوا إلى الشام على حين غفلة من أعله، ويقتلوا جماعة من الذين تسبوا في طردهم، فاضطرب [١٩ ب] المسلم المذكور، وأرسل استجلب عبد الله الترك آغا الدالاتية المطرود وقوى شوكته وكثر جماعته. وصار محمود آغا آفة (الدالاتية)^(٢) التفكجية^(٣) يدور ويطوف ليلا خارج دمشق، والدالاتية تحوم حول البلد، وقد أفلقوا الخلق وزاد النكد، ولا زال هذا الحال مدة فية (الباشا و)^(٤) الحاج.

سنة ١١٦٠

ثم دخلت سنة ستين ومائة وألف، وكان غرة محرم^(٥) نهار الخميس. وفي نهار الاثنين خامس محرم الحرام من هذه السنة الموافق

(١) انظر فيما سبق ص ٥ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٦٢ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) تفكجية تحريف عربي للكلمة التركية « تفنكجيان » ومفرده تفنكجي .

وهو الجندي المسلح بالبنديقة ، وكان لهم أوجاق خاص .

(٤) ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٥) يوافق ١٣ يناير (كانون ثان) ١٧٤٧

لأول كانون الثاني^(١) زادت المياه بسبب سيل عظيم ، ودخوله للشام
كلن نصف الليل ، (فحصل طوفان لم يسمع له نظير من قديم
الزمان)^(٢) ، هجم الماء من نصف الليل إلى الشام ، وأغرق جميع
ما كان في طريقه من الدكاكين ، وأتلف أموالاً كثيرة لا تعدّ
ولا تحصى ، حتى صار المرجة كالبحر ، ومع ذلك الماء يخطف الطير ،
وله خرير ودوى وهدير . وقد غطت هذه الزيادة حجر تاريخ
القلعة ، ومرت في الأسواق والدور ، وأخرجت شيئاً غير محصور .
وقد صارت تحت القلعة وفي المناخ بالارتفاع طول قامة الإنسان .

قال المؤرخ البديري : وقد دخلت إلى قهوة المناخية بعد انصراف
الماء فوجدت الماء في أعلا مساطبها أعلا من ذراع ، وقد شاب من
هولها الكبير والصغير . وقد غرق بها أناس غير محصورين ، مع
ما أتلفت من البهائم والأموال . وقد أضرت بجميع ما مرت عليه
وانهدمت أما كن كثيرة لا تحصى وتركبتها (بلاقع)^(٣) . نسأله تعالى
اللطيف في المقدور آمين .

وفي خامس صفر كان قدوم الحاج الشريف ، وقد أخبرت
الحجاج بأن هذه السنة من أجمل السنين وأحسنها ، وجميعهم شاكرون

(١) ٥ من المحرم ١١٦٠ يوافق ١٧ يناير (كانون ثان) ١٧٤٧ لا أوله .

(٢) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من النسخة التيمورية أيضاً .

وداعون لحضرة أسعد باشا بالدوام ، من كثرة ما حصل لهم في الطريق من الراحة والخير والإنعام من حضرة الباشا لعموم الحجاج ، فجزاه الله أحسن الجزاء آمين .

وقدم مع أسعد باشا من الحجاز في هذه السنة باكير باشا والى جدة ، وأقام في دار فتحي أفندي المتقدم نحو شهرين في الشام ، ثم سار قاصداً حماة ، ولم يعلم ما سبب مجيئه . وعاد أيضاً مع الركب الشامى شيخ الإسلام وأقام مدة في الشام ، وسار طالباً لإسلامبول . وكان رجلاً كبير السن وقوراً ، ما حرّك ساكناً في الشام مدة إقامته .

وبعد قدوم الحج قدمت خزنة مصر^(١) إلى الشام ، وقد تأخرت عن ميعادها . وقد شدّد الطلب حضرة أسعد باشا بعد مجيئه من الحج على [١٢٠] الزرب الأشقياء ، فقبضوا على أمين ابن الحديد^(٢) وعلى عبده بن حمزة عنبر ، فأمر بقتلهاما فقتلا ثم قتلته . وقد زادت الدالائىة الاهتداء والجور ، وخرّبوا البلاد والقرى ، فكثرت الشكاية منهم إلى والى الشام أسعد باشا ، فكتب للدولة عليهم في شأنهم ، فجاء مرسوم بإبادتهم ، فأمر منادياً أن ينادى كل من أقام من الدالائىة في الشام أكثر من ثلاثة أيام من أهلى الفساد

(١) انظر فيما سبق ص ٢٤

(٢) الحداد — في النسخة التيجورية .

والعناد قدمه مهدور ، ثم بعد أيام ظهرت الدالانية ولم تتم القضية ،
والحكم لله عالم الخفية .

وفى يوم الأربعاء جاء خبر بأن عرب غزوة نهبت هرب الرشا ،
وأن الأكراد الذين كانوا مع عرب غزوة أخذوا جميع ما نهبوه وسلبوه
من مال وجمال وغنم ونساء . وكانت الغنم كثيرة لا يحصى عددها
إلا الله ، وأن الواقعة كانت مهولة ، وأنه قتل من الفريقين خلق كثير .
والمساعد للعرب حضرة أسعد باشا (على ما قيل)^(١) . فجاءوا بالأغنام
إلى الشام . وقد كان أهل الشام فى غلاء اللحم وأكل الذرة والشعير
لهم سمين ، فبيع رطل اللحم فى هذه السنة بسبعة مصارى وعمانية إلى
العشرة . مع علم الناس أنه سلب حرام ، فمنهم من ترك أكله وهم أقل
من القليل ، والباقي وهم عموم الناس لم يبالوا . فإنا لله وإنا
إليه راجعون .

قال المؤرخ البديرى رحمه الله : وكان الجراذ مفرزا من العام
الماضى فى الشام وأراضها ، فلما جاء فصل الربيع صار يظهر شيئاً فشيئاً
إلى أن ظهر مظهراً شديداً ، وبدأ يزحف مثل النمل والذر ، فبدأ يأكل
الزروع ويلف النباتات ، فوَقعت الناس فى كرب عظيم . فنبّه حضرة أسعد

باشا حفظه الله على الفلاحين عموماً بأن تجمعهم وتأتى به . وقد فرض على الأراغى الخمس^(١) كل أرض قطارين ، وكذلك القرى والضياع ، كل ضيعة شيئاً معلوماً يجمعونه . فجىء به أحمالا وأمر به أن يدفن ، فدفن منه بعض فى مفارة عند مقبرة البرامكة وردم عليه ، ثم صاروا يحفرون حفائر فى قبور النصارى واليهود ويضعونه فيها . ثم لم يزل يكثر وينتشر ، فأمر حضرة أسعد باشا أتابه الله بأن تعاد الفريضة على كل قرية من قرى دمشق ، مائتا قطار ، وأن من لم يأت بالمطلوب فعليه جزاء كذا ، وأمر أيضاً حفظه الله بعض المأمورين أن تضبط عليهم ، وأن يضعوه فى جبل الصالحية فى آبار ومغائر .

قال المؤرخ [البدرى] : وبلغنى أنه فى ثلاثة أيام وضعوا فى الصالحية (ألف وسبع مائة قطار [٢٠ ب] من الجراد ، عدا ما وضع فى المغائر والآبار فى غير الصالحية)^(٢) .

وفى يوم الاثنين سلب ربيع الثانى من هذه السنة جاء خبر إلى دمشق الشام بأن الطير المسمى بالسمرمر قد جاء ومرّ على قرية

(١) الأراضى نوعان : الأراضى العشر وهى التى يحجى منها العشر [أى ١٠ ٪ من غلتها] وهى التى لا يبدل فى زراعتها مال أو جهد كبير ، والأراضى الخمس وهى التى يحتاج إرواؤها إلى جهد كالاستخدام الروافع أو السدود ، ويحجى منها ٥ ٪ فقط من غلتها .

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة التيمورية .

عدرا وضمير، وأتلف من الجراد شيئاً كثيراً . فقرحت أهل البلاد سيما
أهل الشام . فخرجت أهل الصالحة ومعهم المشايخ والتغابة^(١)
والنساء والرجال والأطفال بالبكاء والعويل والتضرع إلى الله تعالى
بدفع هذا البلاء ورفع الغلاء، ثم زينت أهل دمشق فرحاً بوصول
السمرمر أحسن زينة .

وفي هذه الأيام شاع خبر بدمشق بأن في الشام امرأة يقال لها
السمّاوية، تمسك الأولاد بالاحتياط والرجال أيضاً، لأجل أن تخرج
السمّ منهم، فخافت الناس وكثر الفزع، وصارت الناس توصي بعضهم
بعضاً منها . وبعد مدة أيام وقعت ضجة بين الناس، فقبل ما الخبر،
قالوا قبضوا على السمّاوية، وإذا هي امرأة عجوز قبضت عليها العامة،
وخلفها الأولاد والرجال كالجراد، وهم يضربونها ضرباً وجيماً،
وذهبوا بها لعند القاضي، فسألها عن حالها ومن أين أنت، فقالت:
والله ياسيدي أنا امرأة فقيرة الحال ولى أولاد وعيال، وهذا القول
عنى زور وبهتان . قال فأمر القاضي بتفتيشها وتفتيش بيتها، ففتشوها
فإذا معها لعب يلعب بها الأولاد والأطفال، وفي جيبها طواق كدار
وصغار، ثم ذهبوا وفتشوا بيتها، فلم يجدوا فيه غير متاع عتيق وقطعة
من الحصير، ثم شهد جيرانها بأنها امرأة فقيرة الحال، ولها زمان

(١) التغابة جماعة ممن يحضرون الاحتفالات الدينية ويدقون الطبول ويهللون.

قاطنة في هذا المكان ، ولم نعلم لها سوء حال ، ثم أطلقوها فذهبت
لحال سيدها .

ثم في تلك الأيام كثير الجراد وأضرّ بالعباد ، وكان الناس
لم يجمعوا منه شيء [كذا] ، وهذا كله مع ازدياد الفجور والفسق
والغرور والغلاء والشور . فخرج الشيخ إبراهيم الجباوى ^(١) ومعه
التغالب بالاعلام والطبول ، وقصدوا زيارة السيدة زينب ، واستغاثوا
عندها بكشف البلاء عن العباد ، ورجعوا آخر النهار ، ثم داروا حول
مدينة دمشق ، ومرتوا أمام باب السرايا وعملوا دوسة ^(٢) . وصار حال

(١) هو شيخ الطائفة السعدية أو بنى سعد الدين أو الجباوية بدمشق . وهم
قوم من المتصوفة ، اشتهرت طريقتهم في بعض البلاد العربية والعثمانية ، وينسبون
إلى صاحبها سعد الدين الجباوى ، نسبة إلى جبا [بين حوران ودمشق] وكان في صدر
شبابه شقيا قاطما للطريق ثم صلح حاله وتصف وأنشأ بدمشق الطريقة التي عرفت
باسم ومات سنة ٧٠٠ هـ أو ٧٣٦ هـ وكانت لهم زاوية بمحلة القبيات بدمشق
وكانوا يعدّون فرعا من الطريقة الرفاعية . ومنهم من كان يأكل الأفاعى حية . وقد
اعتادوا إقامة (الدوسة) في الاحتفالات بالموالد أو عند اشتداد الكرب طلبا لرفع
البلاء عن الناس . [دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية مجلد ١١ ص ٤٢٠ -
٤٢٢ . مادة « السعدية » كتبها مرجليوث والمجى : خلاصة الأثر في أعيان القرن
الحادى عشر ج ١ ص ٣٢ ، ج ٢ ص ٢٠٨] . وكان الشيخ إبراهيم الجباوى
من أكابرهم ، عرفت عنه كرامات كثيرة وكثر أتباعه ومريدوه ، وجمع ثروة كبيرة
لأنه كان متوليا نظارة المسجد الأموى ، وكان موضع احترام الحكام والأعيان . وكان
الناس يتبركون به ويخرجون لزيارته في زاويته بالقبيات .

(٢) الدوسة احتفال كان يقيمه رجال الطريقة السعدية في مولد النبي وبعض
الأولياء ، فكان عدد من رجال هذه الطريقة ينبطحون أرضاً على وجوههم ثم يمرّ =

عظيم وبكاء (شديد)^(١) ، وشعلت قناديل الرجال أصحاب [كذا] ،
 وهم يدعون بهلاك الجراد ورفع البلا . وبعد يومين جاءت أهل الميدان
 بطبول وأعلام وحال وصريح ، وقصدوا جامع المصلى بالدعاء برفع
 الجراد وهلاكه^(٢) . ويقولون : يامن له المراد في كل ما أراد ،
 بالمصطفى الحبيب فرّج عن البلاد [١٢١] فلم يفد ذلك . وكيف يفيد
 ذلك وأكثر النساء قد باحت ، وبنات الهوى ونهم [كذا] الخاطئات
 دوائر أيلانها نهاراً بالأزقة والأسواق ، ومعهم الدلائية والفساق ،

= شيخ الطريقة فوقهم محتطاً جواده يعود اثنان من أتباعه ، فيدوسهم واحداً بعد آخر
 ولا يصيب أحداً بضرب ، وهذه كرامة من كرامات الطريقة وشيخها . [دائرة المعارف
 الإسلامية . الترجمة العربية . المجلد ٩ مادة (دوسة) كتبها مكدونالد
 D. B. Macdonald] وقد وصف الرحالة لين الاحتفال بالدوسة الذي أقامه
 رجال الطريقة السعدية بالقاهرة في يوم الاحتفال بمولد النبي ورسم شكله له .
 Lane : An Account of the Manners & Customs of the Modern
 Egyptians. 1860. p.p. 451—454.

وقد أبطلت الدوسة في مصر في سنة ١٨٨١ بقرار من الحكومة استناداً إلى
 فتوى أصدرها مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت . وكتب الشيخ محمد عبده في الوقائع
 المصرية مثنياً على قرار الحكومة لإلغاء « هذه العادة المخالفة لأحكام الشريعة ونواميس
 الطبيعة الانسانية » . [العدد ١٠٣٨ في ١٦ ربيع الآخر ١٢٩٨ ، العدد ١٠٧٨
 في ٤ جمادى الأول ١٢٩٨ (٣ أبريل ١٨٨١) انظر : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ
 محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا ج ٢ ص ١٣٦ — ١٤٢ .

وواضح من رواية البديري هنا أن الدوسة كانت تقام أيضاً كلما اشتد الكرب
 بالناس ، كما حدث في تلك السنة من هجوم الجراد وانتشار الفسق واشتداد الغلاء .

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) جاءت هذه العبارة في النسخة التيمورية : برفع البلا وهلاك الجراد

ولا أحد يشككم بقيل وقال ، ولا أمر بمعروف ولا نهى عن المنكر ،
والصالح في همّ وكرب ، والفاجر الطالح منقلب في لذيق النعم ،
اللهم فرّج آمين .

وفي يوم الخميس ثامن جمادى الأولى من هذه السنة أمر حضرة
أسعد باشا على الانكشارية [في] الشام والزعماء والسباهية وكل قرية
عشرة أنفار بالمسير إلى جبل الدروز^(١) ، وأمر أن تعمّر في البقاع
أفران لأجل خبز الخبز . وبلغنا أنه جاءه فرمان بأن يكون معه
باشة صيدآ وباشة طراباس لمساعدته ، وأمر المتأولة بأن تساعد على
حريم . وكان الزمن في شهر أيار^(٢) ، والزروع في الأرض باقية ،
ما حصد منها شيء ، تخافت الخلق من تلك الأحوال ، والغلاء واقع
بالشام ، ورطل الخبز من سبعة إلى ثمان مصارى .

وفي ليلة الخميس خامس عشر جمادى الأولى من هذه السنة قتل
أسعد باشا العظيم السيد صالح بن إبراهيم بك السوقية . فسألنا عن
السبب ، فقل إن أباه اشتكى للبasha أن ولده صالح تكلم مع أبيه
بكلام فاحش ، وأراد أن يقتله^(٣) ، فأرسل حضرة البasha وأمر

(١) ذكر الأمير حيدر الشهابي في تاريخه نبأ الحرب بين أسعد باشا والدروز
بقيادة الأمير ملحم الشهابي في وقائع سنّي ١١٦١ و ١١٦٢ (١٧٤٨ و ١٧٤٩) ، وجعل
سببها تارة حتى أسعد باشا للصدقة التي قامت بين الأمير ملحم وسعد الدين باشا أخى
أسعد باشا (ج ١ ص ٣٩) كما جعل سببها في مكان آخر انكسار بعض المال السلطاني المرتب
على الأمير ملحم [ص ٣٧] ونوّه الأمير حيدر بهزيمة أسعد باشا وجند الشام [ص ٣٨] -
(٢) شهر مايو .
(٣) أى يقتله .

أن يؤتى بولده مهانا ، وعند المساء أمر بخنقه لمخفق ورعى ،
والأمر لله .

وفي يوم الجمعة بعد الصلاة برز حضرة أسعد باشا إلى المرجة
وأمر بأن تعرض عليه عسكر الشام من الأنكشارية والزعما ، ثم
رحل ، وبعد ثلاث أيام من رحيله تبعته أوجاقات الشام . ولما وصل
إلى البقاع خرب بعض قرى للدروز وحرقت ونهب وقتل ، ثم أغار
هناك على عرب يقال لهم الفريخت ، وهاوشوه^(١) مدة أيام ، ثم نجوا
بطرشهم^(٢) والعيال ، وتركوا الخيام والمال ، وذلك بعد ماقتلوا
جماعة من عسكر الباشا وجرحوا . وبلغنا أنهم كانوا طائعين . وأرسل
يطرح بقرهم على الضيع والأصناف ، وعمل عملاً يؤدي إلى
الخلاص ، ثم نزل في البقاع وأمر بمحصد زرع الدروز ، فحصدوا مغل^(٣)
البقاع . والغلاء متزايد ، والجراد في أرض الشام زايد ، لكن الله
ملجئه رحمة بخلقه .

وفي يوم الخميس ثامن جمادى الثانية قبل قدوم مربعانية الصيف^(٤)
بخمسة أيام صار رعد وبرق مخوف ، وأرمت السماء بمطر كأفواه
القرب ، وقبل ذلك بأيام صار رعد كثير من غير مطر . فهذه الأحوال
عبرة لمن اعتبر .

(١) أي تاوشوه . (٢) الطرش هي الأغنام في اصطلاح اللبنانيين .

(٣) أي زروع البقاع . (٤) أنظر فيما سبق ص ٤٠

وقد بلغنى من حضرة [٢١ ب] أسعد باشا حينما كان بجبل الدروز أنه جاءته شكايته من أهل قنيل سنى على رجل درزى ، أنه كان مشاركاً لرجل تركمانى على نحو خمسمائة رأس غنم ، وأن الدرزى اغتال شريكه التركمانى فقتله ، فأمر حضرة الباشا أن يفتش على الدرزى ، فقبض عليه وأمر بقتله ، فقتل ، واستلب الغنم التى عنده وأرسلها إلى الشام ، وبيعت طراحاً على لحامة^(١) الشام ، كل رأس بثمانية غروش ، والذين اشتكوا ما أعطاهم درهما ولا ديناراً ، ولله الأمر .

وفى هذه الأيام ورد إلى دمشق الشام ثلاثة يهود من مدينة حلب ، ولهم مهارة فى ضرب الآلات بأحسن النغمات ، فصاروا يشتغلون فى قهاوى الشام ، ويسمعهم الخاص والعام .

وفى منتصف جمادى الثانية بلغنى أن بعض عسكر أسعد باشا — قيل هم المغاربة — تحرش بالدروز ، وذلك حينما كان الباشا وعساكره مخيمين ببلادهم ، وأطلقوا عليهم الرصاص ، ووقعت المناوشة بالقتال ، نهض حضرة الباشا على قدميه ، وكان جالساً على الغداء ، وأخذيده رمح [كذا] وقيل تدرّع^(٢) ، وطلب أمام عسكره القتال ، وأخذ بين يديه أنكشارية الشام ، وكان عليهم محمد آغا بن

(١) لحامة هم القصابون فى اصطلاح أهل الشام .

(٢) أى ليس الدرع .

عبدالله (آغا^(١)) كشف أغلى . فصاح الآغا على جماعته وطلب الغارة وحده ،
وتبعه الباشا وبقية العسكر ، (وجروا المدافع)^(٢) وجدوا الغارة
طالبين فم الجبل ، والرصاص منهم وعليهم مثل المطر ، فسكان أول
من انهزم عسكر الدالاتية أهل الكبر والجزوتية^(٣) . ولم يصب أحد
ولله الحمد من عسكر أوجاق الشام سوى رجل من أنكشارية بعلبك .
سم إن حضرة أسعد باشا عتف عسكر الدالاتية بعد غضب منه شديد ،
وقال لهم : تباً لكم من أعوان ، ولما أخذكم من أنصار ، تأخذون الملائم
والمال وتهربون من الحرب والقتال ، والمتطوعون يقاتلون لله
ورسوله ، ويتسابقون للحرب ، مع ما قد فعلت معهم من الفعال من
قتل وسلب وخراب ديار^(٤) ، ولكن سوف أهرق لهم هذا الأمر
وأزيل عنهم الشر والقهر . ثم إنه دعا أوجاق الشام وأوعدهم بالإحسان
والإكرام . ثم بقى [كذا] الحرب في اشتعال بقية ذلك النهار ، ثم أخذ

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) هذه العبارة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) في هذه الواقعة تأييد لما ذكره الأمر خيدر أحمد الشهابي ونقلناه
[حاشية ١ ص ٩٣] عن هزيمة أسعد باشا وجنده أمام الدروز .

(٤) يشير الباشا إلى أنكشارية الشام وما كان منه من قتالهم وتشيت زعمائهم
مستعيناً بالدالاتية عليهم ، والآن انهزم الدالاتية أمام الدروز ، بينما صمد الانكشارية
في القتال ، لهذا دعاهم الباشا إليه ووعدهم « بالإحسان والإكرام » .

حضرة الباشا المدافع إلى الجبل^(١)، وحلف الأيمان المعظمة أنه لا يرجع
عن الجبل، حتى يرمى كل من فيه بالهلاك والتلف، ويجمعهم [١٢٢]
أحاديث. ثم كتب إلى حمص وحماة والمعرّة والشام بأن يجرّدوا له الرجال
الأجلاد، وطلب من كل قرية خمسة عشر نفرا، وعمل هلى أهلها كل
واحد أجرته نصف غرش، وأرسل فرض عليهم بعض أنفار،
وأكثر عليهم من فرائض الأموال. وشدّد الأمر على الناس حتى
ضيق منهم الأنفاس، وزاد عن القياس. وكان قد قتل من أهل
الجبل أربعة أنفار من كبارهم مع من قتل ذلك النهار، ومع ذلك فقد
طلبوا الصلح ووزنوا له المال، فأبى إلا القتل والسلب. وكان قبل
الواقعة بأيام أمر حضرة الباشا بأن تحصد الغلال التي للدروز وغيرهم
وأمر بضبطه، وكلما جمعوا شيئا نهبوه، وقد كانت بركات كثيرة، لأن
إقبال هذا العام شيء كثير ما سمع بمثله، وغالبه اندرس تحت الأقدام.
وكان رطل الخبز بدمشق بستة مصارى. فلما جاء القمح الجديد باعوه
بخمسة مصارى، وبعد يومين نادوا على الرطل بثلاثة مصارى.
وقالوا: يارعية قد أنعم عليكم رب البرية، رطل الخبز بثلاثة مصارى.
وثانى يوم اشتغل البرطيل والرشوة للتسليم موسى كيخية وغيره من
أهل الظلم، فخالا سمعوا مناديا ينادى لا أحد يبيع رطل الخبز بأقل من

(١) جبل الدروز، أو جبل لبنان.

أربعة مصارى . وقيل كان ذلك من شيخ الطحانة ، وكان يلقب بالتخان ، عامله الله بما يستحقه آمين . وكانت الحركة المتقدمة التي أزعجت الباشا سببها من الله ، والجزاء من جنسها العمل ، لأنه حضرة الباشا قد أخذ يد التخان المذكور ، وهو شيخ الطحانة ، وقد أمره الباشا أن يبيع قمحه^(١) على سعر الغرارة بخمسة وثلاثين قرشاً . ثم بعد مسير الباشا وهو يوم الحركة كان قد نزل سعر القمح ، فصار ثمن الغرارة خمسة وعشرين قرشاً ، فلم يقدر أحد أن يبيع بهذا السعر إلا خفية . وقد ضاق الأمر على الفقراء والمساكين . وكان كل من تحرك من العامة ربطوه بحبل طويل ، وجروه إما إلى العذاب وإما إلى القتل وسلب المال والعرض . والأمر لله العلى الكبير .

قال المؤرخ [البديرى] : وقد بلغنى عن أسعد باشا وهو نازل إلى جبل الدروز بلغه بأن ضيعة من ضيع البقاع إلى الدروز ، فأمر عسكره بنهبها وسلبها ، فلما وصلوا إليهم تلقتهم أهلها بالبشر والفرح والسكون ، وهم عما يراد بهم غافلون ، ثم [٢٢ ب] أنزلوهم وذبحوا لحم وضيئوهم ، فزلا وأكلوا واكتفوا ، ثم قاموا وجردوا عليهم السيوف ، فصاحوا عليهم لا تفعلوا أنتم أصدقاؤنا ونعم الضيوف . فلم يسمعوا بل قتلوا منهم جماعة وجرحوا ، فطلبوا الهزيمة حالاً وفروا

(١) أى قمح الباشا الذى سبقت الإشارة إلى أنه جلبه من ضياعه بحجة لياع في دمشق .

من وجوههم، فنهبوا متاعهم ومصانغهم وأموالهم، ثم طلبوا النساء فانهزمن
من بين أيديهم، ودخلوا بعض البساتين هناك، وكانوا يزيدون
على ثلاثمائة امرأة وبنات أبكار، فهجم عليهم [كذا] ذلك العسكر،
ومسك كل واحد منهم واحدة، وهم يضطرخون بالبكاء والعيول،
فلم يجدن مساعدا حتى فعلوا بهن المنكر. وهذا نقله لى من اطلع
على حقيقة هذا الخبر. وحرقوا القرية بعد ما نهبوا جميع ما فيها،
وترك أهلها بالويل والتنكيل. وحسبنا الله ونعم الوكيل. وكان ذلك
قبل الواقعة، وقيل هى سبب الفتنة.

ولما جمع حضرة أسعد باشا الجموع وملأت البرارى والربوع،
فكان من جملة من قدم لعند الباشا محمد باشا باشة صيدا، وكان رجلا
كبير السن، قد جرب الدهر وأهله. فلما أقام أسعد باشا بالعز والإكرام
وشكى إليه ما فعلته الفرقة الدرزية من الغدر والقتال، وسأله المعونة
على هذا الحال. فلامه محمد باشا على ذلك، وأمره بالكف عن قتالهم،
وقال له: هذا أمر يعود علينا وعليك بالتلف، ولا ترضى الدولة به
لأنهم [أى رجال الدولة] يريدون العمار للبلاد ويكرهون الجور
والفساد، قادرون على إرسال عشر وزر [أى] بيوم واحد،
ولا يقدر أن يعمروا فى عشر سنين قرية إذا خربت من هذه
القرابا، ولأجل خاطرى أيضاً صالحهم، وخذ ما لك عليهم من
[المال] المعلوم وأترك أولادهم، وكان أولاد أمراءهم قد حبسهم أسعد

باشا في النملة ، ولهم أكثر من سثنين ، وهم صغار غير بالغين .
ثم شدد عليه بذلك^(١) . فأجابته لذلك حضرة أسعد باشا ، لكن ظاهراً
لاباطناً ، لأن مقصود الباشا المذكور تدميرهم عن بكرة أبيهم ،
وهذا من قبيل المستحيل .

فقال له حضرة أسعد باشا : أنت إذن دبر هذا الأمر برأيك .
فقال : دعنا نشرط عليهم ما تريد من الشروط . خلف له أنه لا يشرط
عليهم شرطاً ولا يأخذ مالا ولا يفعل معهم شيئاً . ثم ودع محمد باشا
باشة صيدا بعد ما عظمه واحترمه ، [٢٣] وأضمر خلاف ما أظهره .
وبلغني أنه بالوقت أرسل خبراً إلى الدولة العلية يطلب
لأخيه مصطفي بك الوزاوة بصيدا ، حتى يفعل بالجبل ما أراد^(٢) ،

(١) أشار المؤرخ اللبناني الأمير حيدر الشهابي إلى توسط باشا صيدا « مصطفى
باشا القواس بين الأمير ملحم الشهابي زعيم الدروز وأسعد باشا العظم . أما عن
أسر أبناء الأمراء الشهابيين بقلعة دمشق فلم يذكر المؤرخ اللبناني إلا حجز الأمير
علي بن الأمير ملحم لدى والي صيدا ثم عودته على أثر دفع أيه المال الذي اتفق عليه
[ج ١ ص ٤١ — ٤٢] أما الشدياق فقد أشار إلى القتال بين سليمان باشا ثم أسعد
باشا العظم وبين الأمير ملحم الشهابي : وقال إن ملحم كان قد وضع أخاه رهينة عند
سليمان باشا في دمشق ، وقال إن الحق قد بلغ من أسعد باشا العظم على الأمير ملحم
أنه إذا جاء منه كتاب وضع يده على اسمه حتى لا يراه . [أخبار الأعيان في جبل
لبنان ص ٣٦٩ — ٣٧١]

(٢) كان باشا الشام [دمشق] يهيمه أن يكون على باشوية صيدا رجل يوافق
سياسته ، فإن إدارة جبل الدروز [لبنان] كانت تابعة لنظم باشا صيدا ، وقد
أنشئت هذه الباشوية خصيصاً للإشراف على شؤون الجبل في سنة ١٦٦٠ ، على أن =

ويشفي منهم الفؤاد . وقيل إن باشة صيدا أرسل يطلب من أهل الجبل
إلى أسعد باشا جملة من المال ، فخافوا له أن لا يعطوه ولا عتال ،
ولكن إذا أرسل أولادنا أرسلنا له أربعين كيسا ، الذى [كذا]
هى علينا معتادة ، وإلا دعه يفعل ما أراد ، فوالله إن حرك ساكنا
لنهدم على البلاد ، فنحن ما الذى فعلنا حتى يقابلنا بهذه الأمور ،
أما كفاه أنه أهرق دماءنا وأباح ما لنا ونساءنا ، وقد أعدم لنا أكثر
من ما تى كيسا من الخنطة والحبوب .

هذا وأسعد باشا قد فرق ما جمع ، وعيونه من غيظه تدمع ،
وبقيت الأمور تحت الآوهام . وقد عادت الأوجاقات السباهية
والانكشارية إلى الشام ، ولم تنتظم الأمور والأحوال ، والحكم
لله الملك المتعال .

وفى شهر رجب من هذه السنة ، وهى سنة ستين ومائة وألف
وقع حرب بين بنى صخر وعرب عنزة فى بلاد حوران بسبب استيلاء
أغنام بعض القبائل . وفى هذا الشهر أيضا وصل خبر إلى دمشق بأن

= باشا الشام كان له أيضا إشراف على الجبل والدروز ، بحكم أن أمراءهم [من بنى
شهاب] كانوا يحكمون أحيانا بعض الجهات الداخلية فى باشوية الشام كسمل القاع ،
وقد كان ولا يزال أهم مصدر لتكوين لبنان بالقمح ، وكان الأمراء يدفعون لباشا
الشام مبلغا من المال كل سنة مقابل حكمهم هذه المنطقة ؛ وقد ذكر البديرى هنا أنه
أربعون كيسا

الدروز نزلوا من الجبل ونهبوا (وسلبوا)^(١) ، وحرقوا ثمانية عشر قرية من بلاد البقاع ، وحاصروا بعلبك وضيقوا عليها الحصار .

وفي يوم الأربعاء ثامن رجب ورد من صيدا عبد الله باشا ابن الكبرلي ، وكان بجيئه من جهة إسلابول ، وشاع عنه أنه يريد الحج ونزل بدار أبو شنب .

وفي يوم الاثنين من هذا الشهر توفي الشيخ عبد الرحيم بن الاسطنبولية رحمه الله . وبهذا النهار ضربت مدافع ، فسألت عن السبب ، فقيل : إن صيدا جاءت إلى موسى كيخية متسلم دمشق من قبل أسعد باشا . وكان هذا الرجل أولا كيخية عند إسماعيل باشا ابن العظم . وجاء مع القبحي فرمان بأن تشدد الرجال لقتال الدروز ، وأن يضيقوا عليهم وأن يدمروهم عن بكرة أبيهم .

وفي يوم الاثنين سابع شعبان من هذه السنة أمر حضرة أسعد باشا الدالاتية والأطلية^(٢) بأن تركب وتغير على أرض البقاع ومن فيها من الدروز ، فيقتلوا ويأسروا وينهبوا ويفعلوا ما أرادوا . ثم بلغنى أنهم أغاروا على جماعة من الدروز وهم على حين غفلة ، فقتلوا منهم ومن مشايخهم ، وقبضوا على الباقيين منهم ، ونهبوا الأموال

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) لهما [الأطلية] أى الجند المتمون إلى أרט ، وقد عاد البديرى [في أواخر حوادث سنة ١١٦٦] فذكر [الأطلية] .

والدواب والغنم [٢٣ ب] والنساء والأولاد ، وجاموا برؤسهم إلى دمشق . فكان يوم يجيئهم يوماً تقشعر منه الجلود مع الجلال . فنسأله تعالى أن يصلح الأحوال ، ويرحم أهل الشام ويرخص لهم الأسعار .

وفي يوم الخميس هاشر شعبان عمل الشيخ إبراهيم الجباوى متولى جامع الاموى فرح عرس إلى ابن ابنه ، وأمر أن تزين الأسواق بالقناديل والشمع ، وأمر أن تشعل منائر الجامع الاموى فشعلت ، وهذا شيء ما سمعناه أنه [سبق] ^(١) لغيره .

وفي ليلة السبت مات الشيخ الولي معتقد أهل الشام الشيخ عمران بن الشيخ إبراهيم إمام دار السعادة . كان رحمه الله من أرباب الأحوال ، وكان له ستة أصابع في يده اليمنى ، وكان يكتب خطاً حسناً بيده اليسرى ويقلد كل خط ، وكان حسن الصوت بقراءة القرآن . ودفن بباب الصغير بمحوار سيدنا بلال رضى الله عنه .

وفي هذا العام جاءنا الخبر بوفاة أحمد باشا بن حسن باشا وإلى بغداد ^(٢) . وقيل إن سبب موته أن الدولة أرسلت له فروة مسمومة ، فلبسها

(١) هذه الكلمة ساقطة في النسخة الظاهرية .

(٢) تولى أحمد باشا باشوية بغداد عقب وفاة أبيه في سنة ١٧٢٣ وقد تجددت في عهده الحرب مع إيران ، وقد أكثر من المالك ، حتى أصبح لهم سلطان قوى ، وخلفوه في ولاية بغداد ، حتى كانت نهاية آخر الباشوات منهم وهو داود باشا سنة ١٨٣١ .

غضب السم في بدنه ، فأت رحمه الله . كان رحمه الله شجاعاً مقداماً مدبراً
 الأمور أطاعته العباد ودانت له البلاد ، وقد دفع عن بغداد كل جبار
 ولقد قصد طمها سب الخارجي^(١) ومعه عسكر جرار ، وحاصر بغداد
 أشهراً فلم يقدر على فتحها فرجع ذليلاً صاغراً ، وطلب بلاد الهند
 والتر ، فسلط عليه ولده فقتله ودمره ، وتولى ولده مكانه ، ولم يخرج
 على الدولة وكان اسمه دبوس . ولما توفي أحمد باشا وإلى بغداد أرسلت
 الدولة إلى بغداد والياً كور محمد باشا^(٢) ، وكان صدراً أسبق . فلما
 استقر ببغداد ، طلبت منه الإنكشارية العلاف أي المعاشات . فقال
 لهم علايفكم عندي . قالوا لا ، فقد كان أحمد باشا الذي كان قبلك
 يعطينا إياها من ماله ، ولما تأتى له من الدولة يأخذها . قال لهم : أنا
 لا أفعل . قالوا لا بد من ذلك وشدوا عليه بالكلام ، وكانوا مثل
 البحر الزخار . فقال إن كان لا بد من ذلك فأرسلوا إلى من أكبركم
 من كل بلك ثلاثة رجال ، حتى يستلوا المال ففعلوا ، ولما حصلوا عنده
 أمر بقتلهم ورمى جثثهم . فلما رأوا إلى ذلك أسرعوا إلى القلعة ورموا
 عليه بالمدافع والبارود ، حتى هدموا سرايته ، وقتلوا آفة جماعته .
 ففرج الباشا من سرداب تحت الأرض ينفذ من خارج البلد وفرَّ
 هارباً إلى بلاد العجم . ثم كاتب أهل بغداد إلى الدولة العلية بأن

(١) هو نادر شاه إيران ، وقد دعاه الخارجي لأنه من الشيعة .

(٢) الصحيح أن الباشا الذي خلف أحمد باشا وإلى بغداد وثار عليه الإنكشارية

هو الحاج أحمد باشا الذي كان والياً على ديار بكر ، وكان صدراً أعظم .

يرسلوا واليا لبغداد عليهم سّموه لها ، كان عند مخدومه أحمد باشا المتقدم ، وكان فيه [١٢٤] استعداد تام ، فأرسلوه لهم ، وقد رضوا به ^(١) .

وفي سابع وعشرين من شعبان قدم أسعد باشا من الدورة ، وكان دخوله قبيل المغرب ، وجاءت معه مغاربة كثيرة .

وفي هذه السنة صار ثبوت رمضان الأربعاء ، وضربت المدافع ليأتها في الساعة الخامسة ، وبعض الأئمة صلى التراويح تلك الليلة . وقد صارت غرارة القمح بعشرين قرشاً ، والله يميزنا على هذا الغلاء ، الذى هو رطل الخبز بخمسة مصارى ، والأرز ياحدى عشرة مصرية ، والباذنجان بأربع مصارى .

وفي ثامن رمضان جاء من إصطنبول شيخ الإسلام يقصد الحج إلى بيت الله الحرام ، وخرجت الملاقاته أعيان ^(٢) الشام ، ومكث اثنا عشر يوماً ، وتوفي لرحمة الله تعالى وصار قبره بالشام ، ودفن بباب الصغير قبلى سيدنا بلال ، رضى الله تعالى عنه .

وفي يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر رمضان نية أسعد باشا

(١) هو سليمان باشا المعروف بأبى ليلة ، وقد ظل على ولاية بغداد اثنتى عشرة سنة وهو أول الباشوات من الماليك .

(٢) فى النسخة الظاهرية : أهل الشام .

بأن يكون الريال بقرشين إلا ثلث، وكان أولاً بقرش ونصف وأربع مصارى . وكان عيد الفطر في هذه السنة نهار الجمعة .

وفي يوم السبت سادس عشر شهر شوال خرج المحمل الشريف صحبة أمير الحاج أسعد باشا العظم حفظه الله ، وأقام نائباً عنه بدمشق متسلماً موسى كيخية المتقدم ذكره . وقد جاء خط شريف بعد خروج الباشا إلى الحج بإخراج أولاد الدروز من القلعة ، فأخرجهم المتسلم ، وصار في الجبل فرح عظيم . ولو كان أسعد باشا في الشام لما أخرجهم ، لأنه طالما جاءت أوامر بإخراجهم فلم يخرجهم . وفي هذه السنة المطر قليل والغلاء كثير ، وكان غالب قوت أهل الشام خبز الذرة والشعير ، والفقراء ما لهم من دون الله معين ولا نصير .

سنة ١٦١١

ثم دخلت سنة إحدى وستين بعد المائة والألف ، وكان أولها محرم الثلاثاء^(١) . وقد خربت القرى من جور الدالاتية ، ومن أعمالهم التي هي غير مرضية .

قال المؤرخ [البديري] : وفي محرم توفي شيخنا ومحبنا الشيخ محمد المصري الأزهرى الملقب بأبي السرور ، ودفن بـ برج الدحداح

(١) يوافق ٢ يناير (كانون ثان) ١٧٤٨ .

قريباً من النهر بقبر مبلط بشاهدين . كان رحمه الله تعالى عالماً فاضلاً ديناً . ومن مناقبه أنه ما اجتمع به أحد إلا وحصل له سرور وفرح ، ولو لم يتكلم ، وهذا أكبر دليل على صلاح طويته .

وفي نهار السبت سادس وعشرين محرم جاء جو قسدار الحج ، ربّشّر بأن هذه السنة لا نظير لها في الرخص والرّخاء . وفي خامس صفر جاء كتّاب الحج وأخبر [٢٤ ب] أن الحج متأخر من كثرة الثلج والمطر . وفي ليلة الثلاثاء من صفر الخير دخل الحاج ليلاً ، وثاني يوم (الأحد)^(١) دخل أمير الحاج أسعد باشا وأخوه سعد الدين باشا أمير طرابلس الشام . وقد حصل للحجاج في هذه السنة كل خير ، ولم يروا مكدرأ سوى سيل جاءهم وهم في بدر ، فأنلف وأغرق ، وفي محلة الملا نزل^(٢) ثلج ومطر وبرد ، وصار للحج مشقة ، لكن بها لطف عظيم . وفي غيبة الحاج جاء تقرير لبقاء لأسعد باشا في الشام .

وفي يوم الخميس سابع عشر صفر أجازنا الشيخ أحمد بأن نقرأ كل يوم عقب صلاة الصبح بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يا عزيز سبعة وثمانين مرة ، وأخبر أن خواصها عظيم ، وأن يدهو للمرء بعدها بما أحب ، فإنها تجاب دعوته .

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة التيمورية .

(٢) الملا محلة على طريق الحاج الشامي ، جنوب دمشق ، ثم انشئت بها محطة لسكة حديد الحجاز .

وفي اثنين وعشرين صفر الخير وردت خزنة مصر إلى دمشق والغلاء مشتد في دمشق ، حتى صار رطل اللحم بثلاثين مصرية ، ورطل الأرز باثني عشر مصرية ، والخبز رطله بخمسة مصارى وبسته وبسبعة وكل من يبيع برأيه .

وفي آخر ربيع الأول من هذه السنة نادى حاكم الشام أسعد باشا على المملوس كل تسعة مصرية ، والمصارى الفضة كل ستة وثلاثين بقرش^(١) .

وفي يوم الأحد ثاني ربيع الثاني قتل محمد آغا بن الزرخلي ، وهو كاتب العرب في طرابلس ، وكان مع سعد الدين باشا حاكم طرابلس في الجردة ، فلما رجع ووصل إلى الشام أمر أسعد باشا أن يرفع للقلعة ، وبعد أيام أمر بقتله ، فقتل ، ولم يعلم ذنبه .

وفي نهار الثلاثاء آخر جمادى النازية من هذه السنة وقعت فتنة بين الأشراف وللة بقول^(٢) . وسبب ذلك أن رجلاً شريفاً اشترى من

(١) واضح أن أسعد باشا بقراره هذا قد هبط بقيمة العملة ، فإن القرش كان ٤٠ مصرية (بارة) فجعله ٣٦ ، وكانت المصرية ١٠ فلوس فجعلها ٩ .

(٢) كان للأشراف (أو السادة) اعتبار كبير في البلاد الإسلامية وكانوا يتمتعون في الدولة العثمانية بامتيازات كثيرة ، حتى إن تقيب الأشراف في الآستانة لا يتقدمه إلا شيخ الإسلام .

رجل شريف طينجة وأراد أن يجرّبها، فأنى إلى الخندق ليجرّبها، فلما ضربها سمع صوتها آغة القبقول، وكان نائماً، فاستيقظ مرعوباً، وقال اتئوني بمن يضرب بهذه البارودة، فجاءت أعوانه وقبضت عليه وعلى جماعة كانوا معه، وأخذوهم إلى أغاتهم، فأمر أن يضرب كل واحد منهم ثلاثمائة سوط، فضربوا ضرباً وجيعاً وتركوا كالأموات، ثم وضعوا شاشاتهم في لباسهم فبلغ نقيب الأشراف ما فعل بهم؛ فأرسل وأنى بهم إلى داره، وفي اليوم الثاني قامت الأشراف على [١٢٥] قدم وساق، وهجمت على القبقول وتقاتلوا، فقتل من الأشراف ثلاثة^(١)،

= وقد زخر تاريخ دمشق وحلب في العصر العثماني بآباء النزاع بين الأشراف والجند، فقد كان الأشراف يعترزون بنسبهم الشريف، وكانوا يكونون طبقة لها احترامها، أما الجند فقد دأبوا على الفتنة وكانوا يهزأون بالأشراف، حتى أنهم في حلب «كانوا يدخلون رأس الكلب في بطيخة خضراء فارغة ويرسلونه في الأسواق والشوارع ووراء واحد منهم ينادى بقوله: تنحوا عن طريق السيد» (لأن السادة كانوا يلبسون عمامم خضراء) [العزى ج ٣ ص ٣٥٠] وصارت القبقول تقول: (في رواية البديري) إن قتلة الشريف قيمتها أخشاية (أقجة) فضة وذكر جب وبون (Vol. 1. part. II. P. 93—94, 101) أن الإنكشارية في دمشق وحلب كان كثير منهم من أرباب الحرف وكانوا يكونون جزءاً من القوات العسكرية، وكانوا دائماً في نزاع مع الإنكشارية المحلية. ولكن من الواضح — كما تدل على ذلك روايات ذلك العصر ومنها ما كتبه البديري — أنهم كانوا يكونون جزءاً من الإنكشارية المحلية وكانوا في نزاع مستمر مع إنكشارية الدولة أو القيقول.

(١) ثلاثمائة في النسخة الظاهرية، وهو أمر غير معقول.

وجرح كثيرون وسكرت البلد كلها . وفي اليوم الثالث صار ديوان عند أسعد باشا حاكم الشام ، واجتمعت فيه الأعيان كالمفتى والنجيب والعلاء ، ثم انقضى الديوان ، وحكموا على القبول بأن يعطوا دية الشهداء الأشراف لورثتهم . ثم أمر الباشا بأن تفتح الأسواق ويقصد الرزاق . وكان يوم الواقعة اثنان من الأشراف الأول يقال له السيد حسن شيخ شباب باب المصلى ، والثانى السيد محمد بن الدهان من السنانية كان قد كرا بعصاهما وهجما على القبول ، وردّوهم إلى القاعة خاسئين . وبعد يومين وهو نهار السبت بعد العصر بينما كان السيد محمد بن الدهان ماراً في القنوات ، وإذا بشخص من جماعة القبول ضربه ظبئجة ، فجاءت في بطنه . فقامت الأشراف وأهل البلد ، وهجمت على أسعد باشا وأخبرته بالخبر ، فقال لهم : إن مات قتلت غريمه ، وإلا فأنا أدبره . فمات المضروب بعد الظهر ، فذهبت الأشراف إلى الباشا ، فأمر بإحضار الشهود لأجل الحكم على القاتل ، فذهبوا للشهود ، فلم يرض أن يشهد أحد على القاتل ، وقالوا من يشهد ليقتل ، ويكون خصمه نحواً من خمسة آلاف بطل شقى . وحاصله ما أثبتوا الدهوى ، وتركوا دم الأشراف يروح هدرأ . والامر لله العلى الكبير .

وهؤلاء القبول قد جاء فيهم أمر سلطاني وخط شريف بإبطالهم من الشام ، وأن من استخدمهم أو ردّهم ملعون بن ملعون^(١) . فالحاكم

(١) انظر ما سبق عن إخراج القبول من الشام في عهد ولاية عثمان باشا المحصل ، ثم إعادتهم في عهد أسعد باشا ليستعين بهم على الإنكشارية المحلية .

وقتئذ يتقن أن البلد لا تصلح إلا بهم ، فأقرهم وأبقام . وبعدها صارت تقول القبقول : إن قتلة الشريف قيمتها أخشاية فضة^(١) . والحكم لله والخيرة لله ولرسوله .

وفي (ثاني)^(٢) يوم أجمعه عمل أسعد باشا ديواناً ، وجمع فيه علماء الشام وأعيانها ، وقال لهم : أنا الليلة مسافر على الدورة ، فغسلوا البلد ولا تتركوا أحداً يتعدى على أحد . فقالوا يا أفندينا نحن أناس منا علماء ومنا فقرآء ومنا مدلسون ، وصنعتنا مطالعة الكتب وقراءتها . فقال لهم : هذا لإقراركم ، وكيف وأنتم الأعيان ، فقالوا : حاشا لله إنما أعيان الشام القبقول^(٣) . فقال لهم : هذا لإقراركم ، وقد تحققت بأن أعيانها والمحافظون لها القبقول . فعند ذلك أرسل [٢٥ ب] خلف رؤساء القبقول وسلم البلد لهم . وكان ذلك منه دهاء . ثم سافر وترك الناس تنقلب في فرش القهر والسكدر .

وقد كان رجل من الأشراف من جملة من كان أيام فتنهم قد فتح

(١) أخشاية تحريف للكلمة التركية أقجة وهى عملة فضية صغيرة ، وكانت حتى أواخر القرن السابع عشر العملة التركية الشائعة التى تستخدم فى الحسابات الرسمية ، وقد هبطت قيمتها كثيراً ، فسكت عملة فضية جديدة منها البارة وكانت تساوى ٤ ثم ٣ أقجات [Gibb and Bowen , II. p.51 — 54.] .

(٢) هذه الكلمة مأخوذة من النسخة التيمورية .

(٣) هذه العبارات فيها بعض الاضطراب فى النسختين الظاهرية والتيمورية .

دكانه بعد أن هدأت الأمور ، فبينما هو يفتح دكانه إذ قبضت عليه جماعة من القبول ورفعوه إلى القلعة : بعد أن شربوا وثاقه وثقلوه بالقيود ، حتى كأنه من اليهود أو من قوم عاد وثمود ، ثم فتشوا على غيره ليقرونه ، فهربت غالب الأشراف . فانظروا يا مسلمين إلى هذا الإنصاف ، وقولوا يا خفي الألطاف نجنا منا نخاف .

وفي تلك الأيام ازداد الفساد وظلمت العباد وكثرت بنات الهوى في الأسواق في الليل والنهار . وبما اتفق في حكم أسعد باشا في هذه الأيام أن واحدة من بنات الهوى عشقت غلاما من الأتراك . ففرض ، فذرت على نفسها إن عوفى من مرضه لتقرأن له مولده عند الشيخ أرسلان . وبعد أيام عوفى من مرضه ، فجمعت شابات البلد وهن المومسات ، ومشين في أسواق الشام ، وهن حاملات الشموع والقناديل والمباخر ، وهن يغنين ويصفقن بالمكفوف ويدقن بالدفوف ، والناس وقوف صفوف تنفرج عليهن ، وهن مكشوفات الوجوه سادلات الشعور ، وما ثم ناكرا لهذا المنتكر ، والصالحون يرفعون أصواتهم ويقولون الله أكبر .

وبما وقع في شهر رجب المبارك من هذه السنة أن رجلاً زوّج ابنه وعمل وليمة عرس ، وعند المساء أخذ الدريس بعراضة^(١) وشمع

(١) العراضة هي الموكب أو الزفة .

وطبول ، فخرجت عليهم أعوان المتسلم موسى كينجية ، وكان رأس^(١) أعوان الحاكم محمود بشة البغدادى ، وكان مدعواً فى الوليمة ، فلما توسطوا السوق بالعراضة كان أول من بطش بهم ، فتهازبت الحاق كلهم فهذا طارقا ووقه ، وهذا ترك بابوجه ، والآخر أخذت جبهته . وفى ثانى يوم أمر الحاكم بالقبض على أبى الغلام ورفع له للقلعة ، وقد طلب منه مالا عظيماً ، والأمر لله العلى الكبير .

وفى هذه الأيام ذبح رجل فى فراشه بقرية زبدین . وفى يوم السبت سابع عشر رجب ذبح رجل شريف فى حارة باب السلام فى داره وما وجد عنده أحد . وكان قبل ذلك بأيام ضرب عمّ هذا القتل رجل فى الدرويشية بطبنجة فى رقبتة ، فذبحته ومات لوقته . قال المؤرخ : وقد رأيت بهينى وهو مرمى فى [١٢٦] الطريق ، ولم يثبتوا على القاتل شيئاً .

وفى نهار الثلاثاء تاسع عشر رجب دخل مغربى إلى بعض البساتين يريد فساداً ، فكلّمه صاحب البستان فى الحسنى ، فسبّه المغربى وشتمه شتماً بليفاً ، وكان صاحب البستان شجاعاً ، فقام إلى المغربى وخلّصه عدته وكفّفه ، ثم خاف من غائلة هذا الأمر ، فخلّ كدابه ، وأعطاه عدته واعتذر إليه ، فما كان من المغربى إلا أن غلب عليه أزمه ، فأخذ بارودته وضربه رصاصاً ، فقتله حالا : فجاء أخو صاحب

(١) فى النسخة التيمورية : رئيس .

البستان فضرب المغربي بطبيعة جاءت في يده . فأراد المغربي الحرب ،
فوقع الصباح من الرجال والنساء ، لجأ غلام فضرب المغربي بنبوت
فرماه إلى الأرض ، فكشفوه وإلى الحاكم أخذوه ، فأقر لدى الحاكم
بالقتل ، وفي ثاني يوم خنقوه .

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من رجب ضرب مغربي
حاته فقتلها . وبعد ثلاثة أيام قتل نصرانيا في الشاغور . وهذا المغربي
بوّاب مصطفى يكنى بن العظم ، أخو أسعد باشا باشة الشام . (وفي التاسع
والعشرين من رجب هذه السنة كسفت الشمس حتى أظلمت الشام)^(١) .
ورأت الناس النجوم كما تراها في الليل ، ومكثت مكسوفة إحدى
وعشرين درجة ، وصلت الناس [صلاة] الكسوف في الجامع
الأموي . (وكان الإمام بالاس الشيخ أحمد المنيني أحد خطباء الجامع
الأموي)^(٢) . وبلغني أنه في وقت الكسوف شعل قنديل جارنا الولي
صاحب الكرامات الشيخ عز الدين أبو حمزة ، ومقامه بجامعة المعروف به
في باب السريجة^(٣) .

وفي تلك الأيام غارت العرب على جمال كثيرة في قرية القدم ،
وأخذت ولم يرجع منها شيء . كما وأنه في هذه الأيام غارت الدروز
على قرية الزبداني وغيرها ، وأخذوا منها كثيراً من المواشي والأمتعة
وغير ذلك .

(١) العبارات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) العبارات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) انظر فيما سبق ص ٤١ .

وفي ليلة الجمعة رابع عشر من شعبان من هذه السنة لحق القمر خسوفاً بليغاً ، حتى لم يظهر منه شيء ، وكان ذلك في الساعة السابعة من الليل .

وفي يوم الثلاثاء خامس والعشرين من شهر شعبان قدم إلى دمشق السيد أبو بكر منلاخنيكار قاصداً الحج إلى بيت الله الحرام ، وهو من أول من قدم من الحجاج البعيدين . وفي ليلة الاثنين عشرة^(١) شهر رمضان المبارك قدم حضرة والي الشام [٢٦ ب] وحاكمها الوزير الخطير أسعد باشا العظم من الدورة ، وهو في غاية الصحة ، ولم يحصل منه ولا أدنى مكدر . وفي يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان قتل رجل في سوق ساروجا ، وقبضوا على قاتله . وفي يوم الاثنين ثالث والعشرين من شهر رمضان وجد رجل مشنوق في قصر السرايا في حارة السيار الذي فيها إقيم^(٢) حمام المملكة ، وبقي معلقاً قبيل العصر ، ولم يتم قتله . فأمر الباشا بدفنه ، وذهب هدرأ . وفي الخامس والعشرين وجد قتيل في تربة باب الصغير عند قبر يزيد ، ولم يعلم قاتله . وفي هذه السنة صمنا رمضان ثلاثين يوماً ، وكانت عيد النضر الثلاثاء .

وفي يوم الأربعاء سادس عشر شوال جاء الحج الحظي ، وبأن

(١) في النسخة التيمورية : غرة

(٢) للسكان الذي يحتوي على القمامة التي تستعمل وقوداً للحمام .

يوم سابع عشر خرج موكب المحمل الشريف صحبة أميره وأمير الشام الحاج أحمد باشا، وفي تاسع عشر تبعه الركب الشامي.

وفي ليلة الاثنين قبل نصف الليل أقبل أحمد بشه بن القاطنجي وحاشيته وعبد الله بن حمزه وجماعته وكل خليل وعنبر يشه وأحمد بشه دقاق، ومعهم جماعة من الدروز الذين كانوا هاربين، ومعهم ستين رجلاً من الدروز من جماعة ابن تلحوق^(١). ونزلوا في حارة الميدان، وحرقوا بوابة بيت التباي، ودخلوا داره بالترديد والشوباش^(٢)، ونهبوا كل ما فيه من أمتعة وغيرها، ولم يروا أحداً من الرجال، ولم يقرّبوا الحرّيم، ونهبوا حارة ابن حنّة وشعير، ونهبوا دار الحاج إسماعيل بن زعير، وكان

(١) كمرّ بنا فيما سبق (ص ٦٨) التجاء القاطنجي وجماعته عند بني تلحوق، وهم من شيوخ دروز لبنان. وابن تلحوق الذي ذكره البديري هنا هو الشيخ شاهين بن الشيخ محمد تلحوق. وقد أشار إلى هذه الفترة ووفائيل كرامة في تاريخه الذي نشره المطران باسيليوس قطان باسم «مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية ١٧٢٥ - ١٨٠٠» ص ١١، والأمير حيدر النهابي ج ١ ص ٣٩ - ٤٠. وكان أول من شيع بني تلحوق الأمير حيدر النهابي، شيعهم على الغرب الأعلى وخطب زعيمهم بالأخ العزيز، لأنهم أعانوه في معركة عين دارا (سنة ١٧١١) وبهم وبسواهم من القيسية اتصر على الخنية. انظر في نسب بني تلحوق وأخبارهم: الشدياق أخبار الأعيان في جبل لبنان. طبعة سنة ١٩٥٤ ج ١ ص ١٩٢ - ١٩٩.

(٢) يقصم بالصياح والهاثف. وكلمة شوباش مما يستعمل في سورية ومصر في الأفراح. أما اتراويد فقد تكون تحريفاً للكلمة (تراويد) ويقصد بها أنه أثناء مظاهرات الفرح والابتهاج يقول أحد الأشخاص مقطعاً فيردده جمهور للتظاهرين: «وقد مسكون من الأوراد جمع ورد».

شيخ الجمالة ، ولم يقرّبوا الحرّيم ، وكان صاحب الدار في الحج . ونهبوا دار عبد الفتاح آغا باش شاورش ، لأنه كان عليهم أكبر عوانى ، وبعد هروبهم كان يؤذى أهلهم ، ثم قبضوا على ولده ، وقالوا : إن لم تعلمنا بأبيك قتلناك ، وإن دللتنا عليه فإليك الأمان ، فن خوفه أخرجه لهم وهو مخبأ في قايط ، فقتلوه وقتلوا معه رجلا من حاشية السرايا كان ماراً عليهم وهم يقتلوه .

ولما بلغ موسى كيخية متسلم الشام فدلهم أرسل خلف الوالى والمفتى والفاضى ، وأمرهم أن يأخذوا معهم العنجنق ، ونادوا عليهم خوارج ، ومن كان يحبّ الله ورسوله والسلطان يخرج [١٢٧] لمقاتلتهم . فخرج المتسلم موسى كيخية ومعه القبول والدالانية والتفكجية ، ولما قربوا من سوق السويقة نادوا عليهم وطابوهم ، وكانوا نازلين في قهوة الميدان ، ثم لما وصلوا إلى باب المصلى هجموا عليهم من كافة أقطار الميدان ، وقتلوا منهم جماعة وجرحوا كثيرين ، وقوّسوا فرس المتسلم وفرس المفتى ورجعوا خائبين ، وثانى يوم سار إليهم الشيخ إبراهيم الجبّارى^(١) . فنعنا الله به ، فتلقوه وقبلوا يديه : وقال لهم : يا أولادى ما مرادكم ؟ قالوا : يخرج لنا محابيس الدروز^(٢) ومجيئنا لأجلهم . فقال

(١) انظر فيما سبق ص ٩١ .

(٢) سبق للدواف أن ذكر في حوادث سنة ١١٦٠ أن متسلم الشام أطلق سراح الأسرى من الدروز أثناء غيبة الباشا في الحج .

لهم : غدا أردّ لكم الجواب . فأقاموا ذلك النهار بلا قتال . وثاني يوم جاء إليهم الشيخ إبراهيم ، وقال لهم : يا أولادى ، اصبروا حتى يأتى الباشا أو يرسل له حتى نرى جوابه .

قال [البدرى] : وقد جاء صبيحة ذلك اليوم رجل من الأتراك ومنعه نفر من الدالاتية ، وقد كانوا فى صيدا ، فأرسل حضرة أسعد باشا يطلبهم ليخمدوا عند متسله فى الشام . وهؤلاء كانوا أول من ضرب بالسيف ، ونهب وسلب فى حركة الزرب فى الشام ، وكان قائدهم يسمى عبد الله الترك ^(١) .

ويوم الأربعاء صارت مقتلة عظيمة ، ذهب فيها نحو من خمسين قتيلا ، كانوا من جماعة المتسلم والقبقول ، وواحد من الدروز خرج وقتل غلامين . وصارت أهل الشام تبيت وتصبح فى أشأم حال . ثم أرسل المتسلم وأتى بخمسين خيالا من بى صخر ، وأرسل للقري والفلاحين . حتى صار عنده عسكر عظيم .

وبنلك الأيام لم تبطل طول الليل والنهار ضرب البندق والمدافع ، وفتحوا [كذا] عسكر الباشا دكاكين باب الجابية ^(٢) ونهبوا وأكلوا وشربوا وهدموا المصاطب وعملوها متاريس . وفى يوم الخميس بكرّوا للقتال ، وزحفوا إلى جهة السويقة ، ومعهم

(١) انظر فيما سبق ص ٨٥ .

(٢) انظر فيما سبق ص ٦٦ حاشية ٣ .

الفعلة والمعامرية^(١) وحرقوا الدور والقصور، وبعد الظهر ضيقوا على الزرب وهم الأشقياء ، وحاصروهم وضربوا عليهم المدافع فولوا الأدبار ، فتبعوهم وقطعوا أربع رؤوس منهم ، ومن جملتهم رأس موسى جرجي ، وكان محسوباً من الزرب . وهو من جملة من هرب ، وما قتل حتى حمل على عسكر المسلم أربع مرات ، والرصاص نازل [٢٧ ب] عليه مثل المطر فأصابته رصاصة ، فوقع فقطعوا رأسه وجاءوا به إلى السرايا وأما كور عثمان فإنه كان يقاتل خلف المتاريس ، بلا سلاح بل بالأحجار ، حتى أصابته رصاصة دخلت من يمين رأسه وخرجت من الشمال . فوقع وحملوه أصحابه ورجعوا مكسودين خائبين . فهجمت العساكر على الميدان ، ولم يبق فيها مكان إلا ودخلوه . وأذن لهم المسلم بالنهب والسلب من السويقة إلى آخر الميدان ، فنهبوا وقتلوا ، فلم يبق دار ولا دكان إلا نهبوا وهدموها ، فسابوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا الحريم وفضحوا نساءهم ، ودام ذلك إلى وقت العصر .

ثم جاءت جماعة من الزرب ، ومعهم فرقة من الدروز وجماعة من أهل الميدان (فردّوهم عن بقية الميدان ، ثم لما علمت هذه الجماعة الذين ردّوهم أنهم لا طاقة لهم بتلك الجوع فرّوا هاربين بالليل ، ومعهم جماعة من أهل الميدان)^(٢) . ولما طلع النهار نادى الحاكم بالأمان . وأن تفتح

(١) لعلها : المعمارية .

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة الظاهرية .

الأسواق ولا أحد ينهب ، وكل من ينهب أو يأخذ شيئاً فروجه وماله يسلب . ثم طلع آفة القبقول على الميدان ، وخرجت الناس لتنظر ما جرى بها .

قال المؤرخ أحمد البديرى : وأنا سرت مع من سار ، فوجدنا ما قاعاً صفصفاً : والقناتى بها مطروحة والأبواب مكسرة والدكاكين مخربة وجدرانها مهتمة . والحاصل حالها حال تقشعر منه الأبدان وتشيب منه الأطفال . قال تعالى : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفو عن كثير .

وأصبح نهار الجمعة ، وأهل القبيات وما بقى من دور الميدان وباب المصلى والسويقة ينقلون أمتعتهم وما بقى منها إلى داخل المدينة والقنات وباب السريجة ، ووقع الإرجاف والخوف والهم والغم فى دمشق الشام ، وقد خافت الأكابر والعوام ، حتى أصحاب الدكاكين صاروا ينقلون ما عندهم ويضعونها داخل البيوت . وكانت الدور التى انتهت فى تلك الواقعة ألفاً وتسعمائة دار . وأما الدكاكين فلا تحصى بالعدد ولا بالحساب . وصارت القبقول يأخذون الناس ويأتون بهم إلى الحاكم ويقولون له : هذا كان يقا^(١)ل مع الزرب ، وهذا مع الدروز ، وهذا وهذا ، فيقلهم المسلم من غير شرع ولا إثبات . وصار كل منهم يقصد من

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

أعدائه أخذ النارات . وأما بيت القبانى فإنه وقع التنبه من المسلم أن من أخذ منه شيئاً من العامة يأتى به ، فصارت العوام تأتى بكل ما أخذته من قمح ومناخ [٢٨] ودراهم ، حتى إنهم جاءوا بأكياس المال محتومة . قال المؤرخ : وهكذا تكون الحظرظ . وقد تشددت الأمور على أهل الشام وصاروا يسهرون بالليل والنهار ، والناس فى هم وغم وغلاء . وفى كل وقت يقولون جاءت الدروز ، فتهرب الناس ويخلى الدكاكين ، وفى كل وقت يصير فزعة وتسكير دكاكين ، حتى انتقلت غالب الدور التى كانت خارج المدينة إلى داخلها وإلى القلعة .

وفى يوم الخميس دخل سعد الدين باشا (أخو أسعد باشا)^(١) العظم ، ومعه عسكر كالبحر الزخار ، وبلغه جميع ما صار ، فغضب على المسلم ، وأضمر له التكدير .

وفى هذه الواقعة توفى الولى المجذوب الشيخ إبراهيم الملقب بالكيمكى وكان رجلاً مباركا ، وأبوه رجل من الصلحاء من محلة القبيات . وكان فى غالب أوقاته يندق على يديه ويميل إلى ورائه وإلى قدمه ، وينادى بأعلا صوته : ولك^(٢) كيمكى يا غراص ، وتارة ييكى ويقول ، بدى امرأة (حتى . . .)^(٣) ويقول له الناس : أى شيء لك فى المرأة ،

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة الظاهرية .

(٢) (ولك) أو (لك) كلمة عامة شامية ، يقصد بها الدعاء أو النداء .

(٣) كلمة قبيحة رفعناها ، والكلمتان ساقطتان من النسخة التيمورية .

فقال المرأة خبزة، وله وقائع وكرامات. ومن كراماته التي نقلوها عنه واشتهرت أنه رأى يوماً من الأيام رجلاً يبيع علب لبن، فصاح على صاحب اللبن وقال بدّي علبة، وصار يبكي ويدقّ يديه، فاجتمعت الناس وأخرجوا له علبة، فقال الشيخ وهو يبكي لا أريد إلا هذه، وأشار إلى واحدة من علب اللبن، فأخرجوها له، فأخذها بيده وأفرغها على الأرض، وإذا قد نزل منها حية، فتركها وذهب. وله كرامات غيرها كثيرة. وسبب موته أنه أصابه قوّاس في رجله، فصار يبكي وينادي يا أبى يا غواص، قرصتني زلقطة^(١)، ومات بعد أيام، رحمه الله تعالى.

وفي يوم الثلاثاء سادس ذى الحجة أرسل موسى كيجية متسلم دمشق الشام يرفقين دالاتية ومعهم بعض من جماعتهم، فجهّزوا له يسماعيل آغا بن الشاويش بالجنزير، وكان مقيماً في بعض القرى صوباً صيا^(٢)، ورفعاه إلى القلعة. وكذلك جاوراه بأخيه سليمان آغا ابن الحلى وبأحمد آغا ابن عساكر فأوقفوهم، وذكر المتسلم أنهم كانوا مسافدين للدروز والزرب.

وفي يوم السبت كانت وقعة عيد الأضحى في دمشق الشام.

(١) نخلة برية لسمها شديد.

(٢) وجاءت في النسخة التيمورية: صوباً صيا، وكلتاها تحريف «صوباشى» وهو رئيس لعدد من الجند في القرى والأقاليم المحافظة على الأمن.

ذلك العام . وقد كانت سنة كثيرة الأموال والآلام ، فقد صار فيها
جـدري كثير [٢٨ ب] حتى أفنى وأمات أولادا كثيرة
فسبحان الباقي بعد فناء خلقه .

سنة ١١٦٢

ثم دخلت سنة اثنين وستين ومائة بعد الألف ، وكانت غرة
محرم^(١) يوم السبت . والمرجو من الله تبارك وتعالى أن تكون
سنة مباركة علينا وعلى جميع إخواننا المسلمين . والآل الناس
في شدة وحصر زائد من كثرة الغلاء والشدائد . ولكن استبشرت
الناس بالخير بكثرة الأمطار التي هطلت بأول هذا العام . وقد عمل
لهذه السنة تاريخاً حسناً وفالاً مستحسناً أديب الشام الشيخ
عبد الرحمن^(٢) ، وأدرجه ضمن هذين البيتين . فقال :

عام جديد نرتجى من ربنا فيه مزيد الخير والنعماء
فعماء يغنيها بوسع فضله إذ عمنا أرخت هام فناء

وفي يوم الاثنين ثلثي محرم هذه السنة توفي شيخنا محدث الديار
الشامية ، بل خاتمة المحدثين ، من افتخرت به دمشق على سائر الدنيا

(١) يوافق ٢٢ ديسمبر (كانون أول) ١٧٤٨ .

(٢) هو أديب الشام وشاعرها في ذلك العصر عبد الرحمن البهلول

انظر ترجمته ص ٩ حاشية رقم (١) .

الشيخ إسماعيل العجلوني^(١) المدرس تحت قبة النسر بجامع بني أمية .
ولم يبق أحد من أهل الشام من كبير أو صغير إلا حضر جنازته .
ودُفن بتربة الشيخ أرسلان ، رضى الله عنه . وعوض الإسلام خيراً .

وفي تلك الأيام توفي إبراهيم آغا آغة القبة قول المنفصل عن منصبه
أشهرأ ، وكان ديناً متواضعاً . ملازماً لصلاة الجماعة في الجامع الأموى .
رحمه الله تعالى .

وفي السابع والعشرين من المحرم أقبل جوقدار^(٢) الحج ،
وبعد ثلاثة أيام جاء كتاب الحج^(٣) . وفي ليلة الخميس دخل الحج
الشريف خامس يوم من صفر الخير .

وفي ليلة الجمعة توفي الشاب اللطيف ذو القدر المنيف والأصل
الشريف سلالة السادة السعدية^(٤) والبضعة الصديقية الشيخ بكري
ابن الشيخ مصطفى بن سعد الدين ، لأن أباه من بيت سعد الدين ، وأمه
من بيت البكري ، رحمه الله وعوضه الجنة آمين .

(١) في النسخة التيمورية : العجلاني . وهو أحد أعلام العلماء الدمشقيين
وخاصة في الفقه والحديث ، ظل يشغل وظيفة التدريس بالجامع الأموى إحدى
وأربعين سنة ، وكان يقرض الشعر وأكثره في مدح القضاء والفتن ، وقد ترجم له
الرازي وذكر طائفة من كتبه [سلك الدرج ١ ص ٢٥٩ — ٢٧٢] .

(٢) انظر ص ٦ حاشية رقم (١) .

(٣) انظر ص ٧ حاشية رقم (١) .

(٤) انظر ص ٩١ حاشية رقم (١) .

وفي أوائل شهر صفر وقع بيت في حارة العقبية على جماعة قتل منهم سبعة ، ونجا رجل وزوجته ، واسمه سعيد بن الشاكوش . وفي هاشر ربيع الأول صار برد شديد مؤلم ، وصار يباع الفحم على الفروش^(١) ، يحملونه على رؤوسهم ، كل رطل بخمسة مصرية ، ويدوروا به في الأسواق والحارات ، وكان ذلك قبل دخول الحسوم بأيام ، واستمر إلى أن دخلت الحسوم .

وفي سابع عشر ربيع الأول قدم جو قدارية^(٢) من إصطبول ودخلوا على [٢٩ | أمير الحاج ووالى الشام الحاج أسعد باشا العظم ، وأظهر أنه جاءته بشارة من الجناح العالى ، فأمر بعمل أعمال نارية التى تسمى شنك . فتراكضت القبول والعسكر لنحو السرايا ، فظنت أهل دمشق أن حادثة وقعت ، فسكّرت البلد ، فأخبروا الباشا بذلك ، فقال : اضربوا مدانعا واعملوا شنكاً آخر ، ففعلوا . فهدأت الناس ، وفتحت دكاكينهم . وفي تلك الأيام سكر بعض الأتراك من القبول وجرح ثلاثة أشخاص من أهل البلد ، وبعد أيام ماتوا من أثر جراحاتهم ، ولم تقام لهم دعوة .

وقد كثر الغلاء وزاد البلاء ، فالحبز رطله بست مصرية

(١) جمع فرش ، ويطلق فى الشام على الوعاء الخشبى الذى تباع فوقه بعض الأشياء ، وهو قريب مما يسمى فى مصر بالطبيلة .

(٢) فى النسخة الظاهرية : جو قدار .

وهو الدون، والوسط بثمانية مصارى، والمليح باثنا عشر (كذا) مصرية .
وأوقية السمن بسبع مصارى ، وأوقية الزيت بمصريتين ، واللحم
رطله بست وثلاثين مصرية . وبنات الهوى دأترات بالليل والنهار ،
والناس في كرب عظيم .

وفي شهر ربيع الأول وصل خبر لدمشق بأنه صار
في طرابلس الشام غرقة أعظم من التي صارت بدمشق
المتقدم ذكرها . وذلك بأن نهر طرابلس زاد كثيراً وطاف على
أهلها حتى أغرق أكثر من خمسمائة إنسان، ما عدا الدواب والأنعام
والأموال ، نعوذ بالله من غضب الجبار . وفي تلك الأيام أغارت
أعوان الظاهر عمر شيخ طبرية على جمال سائرة من الشام ، ونهبوا
أهلها وأخذوا مالها . وسبب ذلك أن في بلاده وأرضه عرب وتركمان ،
وكان قد أمر أسعد باشا أن يغيروا عليهم ، فغاروا عليهم ونهبوهم ، وأخذوا
مالهم وأغنامهم ، وقتلوا منهم جماعة ، فأتوا بأغنامهم ، ففرقها الباشا على القرى
ولحامة الشام . والذي كان يساوى قرش طرحه غصباً بخمسة قروش وهكذا .
وفي هذا الشهر صار رطل الحبز من ثمانية مصارى إلى اثني عشر مصرية ،
والمعروك^(١) بسبعة عشر مصرية ، ورطل الثوم بأربعة وعشرين
مصرية ، وغرارة القمح باثنين وخمسين غرشاً ، وغرارة الذرة بثمانية
وأربعين ، والبيض كل اثنين بمصرية ، ورطل الارز بخمسة عشر

(١) المعروك كعك يعجن في السمن ويعنون في الشام صنعه . ونخامة في

مصرية ، ورطل الفحم بستة مصرية . وكل شئ زاد عن حده ،
والحكم لله في عبده .

وفي شهر ربيع الثانى قتل أسعد باشا ثلاثة أنفار من المناولة ،
وقتل البطحيش [٢٩ ب] من جماعة الزرب الأشقياء الفارين
أيام الواقعة .

وفي يوم الاثنين رابع جمادى الثانية من هذه السنة دخل قاغى
الشام السيد محمد أفندى بشمعةجى زاده . قال المؤرخ (البديرى) :
وبلغنى أن حامد أفندى بن العبادى مفتى دمشق الشام كان قد خزن
القمح منزل الأكابر والأعيان الذين لا يخافون الرحيم الرحمن ، وأن
الكتالة جاءوا إليه وقالوا : نبيع الحنطة كل غرارة بخمسين قرشاً ، فقال
لهم : مهلا فلعل الثمن يزيد . فإذا كان مفتى المسلمين ما عنده شفقة على
خلق الله فلا تعتب على غيره .

وفي هذه الأيام عملوا ديوان (كذا) ، وأخبروا أسعد باشا
بكثرة المنكرات واجتماع النساء بنات الهوى فى الأزقة والأسواق ،
وأهم ينامون على الدكاكين وفى الأفران والقهاوى . وقال ^(١) : دعنا
نعمل لهم طريقاً إما بترجيلهم أو بوضعهم بمكان لا يتجاوزونه ، أو نتبصر
فى أمرهم . فقال : إني لا أفعل شيئاً من هذه الأحوال ، ولا أدهم

(١) صحتها : وقالوا .

يدعون على في الليل والنهار ، ثم انفض المجلس ، ولم يحصل (من)
اجتماعهم فائدة .

وفي تلك الأيام زاد الغلاء في بلاد الشام ، فبلغنا أن رطل الخبز
في طرابلس بعشرة مصاري ، وفي غزة والرملة بخمسة وعشرين
مصرية ، وفي الشام ليس واقف على سعر ، وقد زاد الغلاء^(١)
والبلاء والقهر .

قال المؤرخ [البديري] : وفي هذه الأيام اشترى أسعد باشا
والى دمشق الشام أملاكا كثيرة من دور وبساتين وطواحين وغير
ذلك ، وهذا قبل بنائه لداره وقيساريته . وفي ثامن جمادى الثانية
من هذه السنة نزل الشهير الجديد ، فباعوا خبز شعير رطله بأربع
مصارى (والأبيض بستة)^(٢) . ثم ثاني يوم خرج المنادى بأن يباع
الخبز الحطة بأربع مصاري والأبيض بستة مصاري . ولم تحصل
للفقراء نتيجة ، فكل يوم بسعر جديد ، والله يفعل ما يريد .

وفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى توفي العالم الفاضل
الشيخ عبد الوهاب الدالائي رحمه الله .

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) هذه العبارة ساقطة من النسخة الظاهرية .

وفي يوم الأربعاء حادى عشر جمادى الثانية نزل القمح الجديد ، وبيعت غرارة القمح بخمسة وأربعين قرشا ، وكانت قبل نزوله باثنين وخمسين ، فصاحت العامة واستغاثت ، ونهبوا بعض الأفران ، ثم صاروا ينادوا فى الأسواق رطل الخبز بثلاثة مصارى وبأربعة مصارى ، فباعت أهل [١٣٠] دمشق جميعاً بذلك الثمن ، وفرحت أهل البلد كثيراً ، فزينت البلد . وكان حضرة الوالى أسعد باشا فى جنيته أياه فى مسجد الأقباب قد عمل سيرانا^(١) ومعه أكابر الشام ، فلما بلغه هذا الخبر غضب غضباً شديداً ، وأمر الحاج محمود تفكجى باشى أن يأخذ أعوانه الفساق ويدور فى البلد والأسواق ، وأن يذبه على الخبازين أن لا يبيعوا رطل الخبز إلا بستة مصارى والأسود بأربعة ، وكل من خالف يأكل عاقبة ، والحذر ثم الحذر . فرجعوا للنهج الأول ، واسودَّ الخبز وتغيّر ، والله أكبر وأغیر . وفى سادس عشر من جمادى الاولى صارت غرارة القمح بستة وعشرين قرشاً ، فبيع رطل الخبز بثلاثة مصارى ، وبدأت نزول الشدة بإذن الله تعالى .

وفى تلك الأيام وصل خبر إلى دمشق بأن عبد الله آغا بن حمزة وكمال خليل ، وهما من رؤوس الزر باوات المنهزمين من دمشق قبض عليهم الظاهر عمر حاكم قلعة طبرية ، وقطع رؤسهم وأرسلهم

(١) السيران — فى تمير أهل الشام — الزهية فى الخلا .

إلى صيدا ، وحاكم صيدا أرسلهم إلى الدولة ، وأرسل يطلب فرمان شريف [كذا] بأن أسعد باشا حاكم الشام لا يمر في سفره بالدورة هلى أرض طبرية .

وفى يوم الاثنين غرة رجب الفرد من هذه السنة نادى أسعد باشا حاكم الشام وأن^(١) كل من شرب بها شقق وصلب ، ثم أمر برفعها ، فرفعت من سائر قهاوى الشام وأسواقها . قال المؤرخ [البدرى] : وقد صار شربها فى الشام من أعظم المصائب ، فصار يشربها الرجال والنساء حتى البنات ، جزاه الله خيرا .

وفى ثالث رجب نادت الخبازة والسوقية بأن رطل الخبز بأربع مصارى والخاص بخمسة مصارى ، والذي خلط ذرة أو شعيرا بمصريتين ؛ فن كثرة فرح أهل الشام سيما الفقراء صاروا يسكون ويتعجبون سرورا ، حيث فرّج الله عنهم . وقد زينت غالب أسواق الشام . وفى ذلك اليوم بيعت غرارة القمح الجيد والشعير بثمانية قروش ، وفرج الله عن عباده بمنه وكرمه .

وفى يوم الجمعة ثانى شعبان المبارك دخل خليل آغا وأحمد آغا أولاد ابن الدرزي ، وواجهوا متسلم دشق ، فلقاهم أحسن ملتي

(١) يبدو أن المخطوط فى نسخته تنقصه هنا عبارة ترجح أنها تتضمن منع التوالى شرب القهوة أو الدخان .

وكان معهم يردى^(١) من أسعد باشا ، حيث واجهوه بواسطة الشيخ
إبراهيم السعدى الجبائى ، نفعنا الله به وبأجداده ، وكانوا هارين
عند العرب ، فأعطاهم الأمان ، لما طالع أن ليس لهم ذنب [٣٠ ب]
بتلك الأعمال :

وكانت هلة رمضان هذه السنة ، وقبل رمضان يومين خرج
قاضى الشام السيد محمد أفندى بشمقى زاده ، خرج إلى الصالحية
مع حريمه ، ثم رجع فى وقت العصر من الصالحية وحريمه معه ، وهو
شاهر السلاح بيده طبنجة ، وفى رجله الواحد بابوطة والثانية حافية
بلا بابوطة ، وقد جرح من جماعته شخصا . ولم يزل على هذه الحالة
حتى وصل إلى المحكمة ، ثم تبين أنه كان سكرانا . قال المؤرخ :
قد فُحصت عن سبب نزول القاضى بهذه الكيفية ، فتبين الأمر بخلاف
ما ذكرنا من كونه كان سكرانا ، وإنما هو من حدة مزاج وقع منه .
والسبب فى ذلك أنه كانت له سرية ، وكان مغرما بها ، حتى طلق
زوجته لأجلها ، فأرادت زوجته أن تنسك عيشته ، فيوماً من الأيام
جاء بعض ضيوف لجاريته التى يحبها ، فأرادت أن تضع أمام الضيوف
طعام ودجاج [كذا] وغيره من الذى هيأه القاضى للغذاء فى الصالحية ،
ففتها زوجته القاضى ، وكانت غير سخية ، فلما جاء القاضى عرفته
جاريته بذلك ، وأنها لم تضع أمام ضيوف طعاما ولا غيره ، ثم صارت

(١) وصحتها : (يورولدى) بمعنى الأمر السامى .

تبكى ، وكان القاضى يحبسها فوق العادة ، فقام على زوجته فطلقها ، لما قيل
إن ذلك كان سبب طلاقها ، وقام على خدامه فجرد عليهم السلاح ،
وأمر الحریم بالنزول ، وطالب هو المركوب ، فأبطوا ، ثم وجد فرقة
تنزل بها إلى الجسر ، ثم ركب ونزل للحكمة على تلك الحالة ، فأظهرت
أعداؤه أنه سكر والامر بخلافه . ثم ما كفى زوجته التى طلقها هذا
الفعل ، حتى اشتكت عليه إلى الدولة العلية ، فبجاء الأمر بفرمان عزله
وبنفيه إلى جزيرة قبرص وبضبط ماله جميعه لزوجته ، فباعوا جميع
متروكاته ، وأخذوا جميع ما عنده من المال ، فبلغ ثمانية أكياس ،
فأعطوهم إلى زوجته المطلقة . وكان ذلك بأمر من الدولة ، ثم تأسفت
عليه غالب الناس ، غير الذين لهم أغراض : لما كان عليه القاضى
المذكور من الاستقامة والقناة والتواضع والسخاء الكثير .
حتى إنه فى شهر رمضان كان يأكل قطار من السمن ومن الأرز
مثل ذلك ، ومن اللحم كذلك ، حتى إنه على الأكل يوجد عنده فى
رمضان نحو ثلاثين ما عدا الفقراء . ولما كان لا يأكل الرشوة ولا يميل
فى دعوى مالت أهل الشام عليه مع زوجته ، حتى سعوا بعزله كما هى
عادتهم قديما .

وفى يوم الأحد متصف شوال جاءت [١٣١] خزنة مصر إلى
الشام . ويوم الاثنين سادس عشر شوال خرج المحمل الشريف بأمره
الحاج أسعد باشا بن إسماعيل باشا العظم ، وقد كانت هذه هى الحجة

السابقة لحضرة أسعد باشا المذكور . وقد كان أبوه إسماعيل باشا^(١) حج^٢ ستة . وهذه الحجة بهذه السنة هي السابعة لأسعد باشا . وثاني يوم خروج المحمل شق المتسلم اثنان [كذا] من الأشقياء اللصوص ، لهم وقوعات كثيرة ، ثبت أخيراً أنهما نزلا داراً ليلاً ، فسرقا جميع ما فيها من غن الثمن ، وامم أحدهما شيخ التكية .

وبعد خروج الحاج الشامي بأربعة أيام خرج السيد يونس شريك أسعد باشا بقافلة عظيمة ومعه جماعة كثيرة ، ولحقوا الباشا والحاج إلى المزييب .

وفي هذه السنة جدّد أسعد باشا في مدرسة أبيه إسماعيل باشا التي في سوق الخياطين الحجرات الفوقانية ، وجعل في قلبها جامعاً وخطبة ، ورتّب أجزاء [من القرآن] وشوربة وزيتاً وغير ذلك . جزاه الله خيراً .

وفي ناسع ذى القعدة سافر القاضي المتقدم ذكره لصيدا ، يريد قبرص بنية النبي لها ، وخرجت بعض الأكابر لتوديعه . وفي خامس عشر ذى القعدة جرّصوا ثلاثة أشخاص ودورهم في كل البلد مسخمين الوجوه راكبين على حمار بالمقلوب . فسألنا عن السبب ، فقليل إنهم

(١) إسماعيل باشا العظيم هو أول ولاية دمشق من آل العظيم ، تولى علمه سنة

١١٣٧ وبقي بها ست سنوت .

يُسْكُونُ الفلوس الرملية^(١) ، وهى غش . فكان أحدهم كرده
والثانى داغستانى .

وفى ذلك اليوم أمر الحاكم بأن يخرجوا بنات الهوى ، وهم
الشابات ، من البلد إلى خارج البلد ، وأظهر نه يريد أن ينفين
إلى بلاد أخرى ، ونه على مشايخ الحارات أن من وجد فى حارته
ذو شبهة لا يلومن إلا نفسه ، ثم نادى منادى إن النساء لا يسلمن
على وجوه من ناديل ، إلا حرم الباشا ونساء موسى كخيخية . ثم شرع
أعوان الحاكم بالتفتيش وشددوا ، فانفجرت بعض الكربة ، ثم
ماتبقى هذا التشديد غير جملة أيام ، إلا وقد رأينا البنات المذكورات
يمشين كمعاتهن فى الأزقة والأسواق وأزيد ، ورجعن إلى البلد ،
ورتب الحاكم عليهن (فى كل شهر على كل واحدة عشرة غروش
وجمل عليهم) شوباصيا^(٢) ، بل قطع من الناس وساب
والله المستعان .

وفى يوم الثلاثاء دخل سعد الدين باشا أخو أسعد باشا بن العظم
إلى الشام بركب عظيم ، (لأنه سر دار الجردة وأميرها [٣١ ب]
وقد سار بها فى السنة الماضية)^(٣) .

(١) هى الفلوس الزيفة التى سُكّت بطريقة الصب فى قوالب رملية ، وذلك لأن
الفلوس الصحيحة كانت تضرب ضرباً ضمن قالين من فولاذ فى معامل السكة التابعة للدولة

(٢) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية . انظر عن الصواب

ص ١٢٢ حاشية رقم ٢ .

(٣) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية .

سنة ١١٦٣

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة وألف ، وكان غرة محرم^(١) يوم الخميس . والبرد كثير والغلاء باقى لم يزل . وظل الخبز بخمسة مصارى ، ورطل الأرز باثنتى عشر مصرية ، ورطل اللحم بأربعة وعشرين مصرية ، ورطل الفجج بثلاثة مصارى ، ورطل الدبس بثمان مصارى ، وأوقية السمن بخمسة مصارى . والجليد الذى صار فى هذه السنة ما سمعنا مثله . نسأله تعالى اللطف .

وفى منتصف محرم من هذه السنة توفى العالم العامل الشيخ محمد الديرى^(٢) وكان يدرس بالجامع الاموى رحمه الله تعالى . وبعده بيومين توفى الشيخ العالم الزاهد منلا^(٣) عباس الكردى خليفة شيخه منلا إلياس الكردى^(٤) ، وفى مكانه بجامع العداس رحمه الله ودفن بسفح جبل قاسيون . وفى ثامن وعشرين من المحرم توفى الشيخ عيسى لإمام صلاة الأولى بجامع بنى أمية فى محراب السادة الشافعية .

(١) يوافق ١١ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٧٤٩ .

(٢) ترجم له المرادى بإيجاز فى سلك الدرر . ج ٤ ص ٣٠ .

(٣) كان يطلق على العالم من انكراد لقب (منلا) .

(٤) الملا (أو المنلا) إلياس من كبار متصوفة الأكراد ، كان له صيت ذائع

وأمن الناس بكراماته وهابه الحكام على تعفف منه ، مات سنة ١١٣٨ بعد أن تجاوز المائة عام ، ورثاه الشيخ عبد الغنى النابلسى وكثير من أدباء عصره :

انظر : المرادى ج ١ ص ٢٧١ — ٢٧٣ ، للمقار ص ٦٢ .

كان رحمه الله رجلاً صالحاً حسن القراءة حسن الصوت ، يلبس دائماً ثياباً بيضا ، وعباءته من صوف أبيض . وكانت جنازته حافلة لم يتخلف عنها إلا القليل ، ودفن بتربة البرامكة قبلى المرجة ، رحمه الله .

وفى ذلك اليوم كسفت الشمس ، وبقيت مكسوفة نحو ثلاث ساعات ، وصلى الناس صلاة الكسوف بجامع الأموى .

وكان دخول الحاج الشريف تلك السنة نهار الأربعاء خامس صفر . وثانى يوم الخميس دخل أمير الحاج أسعد باشا بموكب المحمل الشريف . وهذه السنة السابعة من حجائه المتواليات . وقد ذكرت الحاجاج أن هذه السنة من أيمن السنين وأحسنها وأرخصها ذهاباً وإياباً . ودخل حضرة سعد الدين ناشا مع أخيه أسعد باشا وهما فى غاية الصحة .

وفى خمسة وعشرين محرم شتى متسلم الشام موسى كبيخية خمسة أنفار من الدروز الأشقياء . وفى تلك الأيام مات قاضى مكة ودفن بباب الصغير . ويوم الأحد ثالث وعشرين صفر توفى الوالى الزاهد الشيخ محمد بن عبد الهادى العمرى ، وصلوا عليه فى الأموى ، ودفن فى مرج الدحداح . وكانت جنازة غاصّة بالرجال والنساء ، رحمه الله . وفى الخامس والعشرين من صفر شتى الباشا ثلاثة رجال ، جاءوا بهم

أهل دوما^(١) إلى الوالى أسعد باشا، وأخبروه أنهم وجدوا معهم خرج
[كذا] فيه متاع لقفطنجي^(٢) السلطان، فأمر بصلابهم . وفي يوم السبت
سليخ [١٣٢] صفر سافر سعد الدين باشا لحل مأموريته التي هي
طرابلس . وفي تلك الايام توفي الشيخ مصطفى الكردي الذي كان
قاطناً بمدرسة سليمان باشا ابن العظم ، وكان فقيهاً فاضلاً دينياً ، ودفن
في سفح قاسيون رحمه الله . وبهذه الايام أيضاً توفي نجيب أفندي
السفر جلاى ، وكان من صدور أكابر دمشق ، وصار له مشهد عظيم
ودفن بمقبرة باب الصغير . وتوفي أيضاً بتلك الايام في أوائل ربيع
الأول من هذه السنة توفي الشيخ الصالح العالم الشيخ مصطفى بن الشيخ
شعيب من محلة باب السريجة ، وصار له مشهد عظيم بالاعلام ،
وخرجت بمجنازته جميع مشايخ الطرق ، ودفن بباب الصغير ،
رحمه الله .

وفي تلك الايام توفي أيضاً الوالى الزاهد . من غابت عليه الجذبة
الإلهية، السيد الشيخ مصطفى بن الشيخ مراد، وكانت الدولة والقبول في
الشام وإسلامبول إلى ابن أخيه السيد على أفندي ، وخرجت جميع
الأعيان بمجنازته ودفن بباب الصغير رحمه الله . وفي ليلة الاثنين توفي
الولى الكامل ذو الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة ، من قد

(١) قرية في ضواحي دمشق .

(٢) قد تكون تحريفاً لكلمة قفطنجي أى حامل قفطان السلطان أو خلعتة .

خلع العذار وتسأوى عنده الليل والنهار ، وشرب من خمر شراب الجبار ، وأعطى درجة القبول عند الكبار والصغار الشيخ محمد جبرى ، وقد كان أحياناً يغيب وأحياناً يحضر ، وأحياناً يسكر ، وقد كان له جماعة وتلامذة ، وكان فى درجة الشيخ أحمد النحلاوى ، وقد كان يتردد عليه أيام حياته ، ولما توفى النحلاوى لازمه جماعة من فقراء الشيخ صاروا يدوروا معه ويأتوا معه أين ما بات . وكانت وفاته يباب السريحة ، وصار له مشهد عظيم .

وفى منتصف سعد الذابج^(١) جاء الثلج يومان وليلتان بلا انقطاع ولم يعقبه مطر ، وبقي على الأساطيح وفى الأزقة أكثر من عشرين يوماً ، حتى صار رطل الفحم بنصف قرش وبثلث ، ورطل الخبز من أربعة مصارى إلى ثمانية ، وأوقية السمن بخمسة مصارى ، ورطل اللحم بثلاثين مصرية . والحاصل كل شئ غالى ، والخلق فى تعب بال .

وفى تلك الأيام قتل قبولى رجلاً شريفاً بعد العشاء ، فاشتكت والدته القليل للوزير أسعد باشا ولازمته ، فأمر بإحضاره فقبضوا عليه بعد ما هرب ، فأمر الوزير بخنقه ، فخنق بالقلعة .

(١) يقسمون — فى سورية — خسينية الشتاء ، وهى الخمسون يوماً التى تلو هربمانية الشتاء ، إلى أربعة عقود ، كل منها مائة اثنى عشر يوماً ونصف يوم ، وهى : سعد الذابج ، وسعد باع ، وسعد السعود ، وسعد الحبايا .

وفى [٣٢ ب] تلك الأيام توفى الشاعر الأديب والفاضل
 اللبيب من لم ينسج في زمنه شاعر على منواله الشيخ عبد الرحمن
 البهلول^(١) رحمه الله تعالى ، ودفن بباب الصغير قبالة بيوت
 النخاعة^(٢) من جهة الشاغور . وهذا البهلول صاحب القبول هو
 صاحب القصيدة التي مدح بها الأستاذ الشيخ عبد الغنى النابلسي
 المحتوية على أكثر من مائة تاريخ في كل شطر منها تاريخ^(٣) . ولما قدم
 القصيدة لأستاذه الممدوح ورأى حضرة الشيخ أنها فريدة
 في بابها بهذا النسق المدهش العجيب قال له : لقد استخرنا الله
 تعالى بإشيخ عبد الرحمن وعملناك شيخ الأدب في الشام .

ونهار الاثنين خامس عشر ربيع الأول وقع سقف السوق
 الضيق خلف الجامع الأموي الذي فيه القهوة . وكان وقوعه بعد
 صلاة الحنفي^(٤) . وكان تحته جماعة مات منهم أربعة أشخاص
 وهشم جماعة .

-
- (١) انظر موجز ترجمته في ص ٩ الحاشية رقم [١] من هذا الكتاب نقلا عن
 ترجمته المطولة في سلك الدرر للرازي ج ٢ ص ٣١٠ - ٣١٧ .
 (٢) لا يزال حي النخاعة موجودا في الشاغور .
 (٣) تجد هذه القصيدة في تاريخ الأمراء الشهابيين للأمر حيدر أحمد الشهابي
 ج ١ ص ٢٢ - ٢٨ وتألف من مائة بيت وثمانية أبيات .
 (٤) في المسجد الأموي أربعة أئمة للصلاة يتوالون في أداء كل فريضة ، والقصد
 هنا صلاة الإمام الحنفي .

قال المؤرخ أحمد البديري : وفي يوم الخميس ثامن عشر ربيع
الأول خرجنا إلى سيران بناحية الشرف المطل على المرجة مع بعض
أحبائنا . وكان الوقت في مبادئ خروج الزهر ، وجلسنا مطالين
على المرجة والتكية السليمية ، وإذا بالنساء أكثر من الرجال
جالسين على شفير النهر ، وهم على أكل وشرب ، وشرب قهوة وتتن^(١) .
كما تفعل الرجال ، وهذا شئ ما سمعنا بأنه وقع نظيره حتى شاهدناه
ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال المؤرخ : ثم لم نزل في سرور
وانبساط ، حتى أنشدت هذا المواليا فقلت :

مضى لنا يوم مثله ماسبق يا خال

في مرجة الشام ما تشوفون . وضع خال

ملا خميس^(٢) . مضى ما صادفه أرزال

في ثامن عشر ربيع الآخر راح البرد

يا هل الأدب أرخوه الضيق عنكم زال

(١) الطباقي .

(٢) (مِلًا) كلمة شامية عامية مركبة من [من إلّا] إذا أراد أحدهم أن
يبدى عجزه أو ازدراءه أحيانا من شئ لم يجد له مثيلا يقول : مِلًا فكرة ، أو
مِلًا سيران . والبديري هنا يقصد أنه لم يجد خميسا كذلك الخميس الذي خرج فيه
للزهوة ولم يصادف فيه أرذالا .

وفي ذلك اليوم وقع رجل مهابى من سطح سوق الخياطين ومات لوقته . وثانى يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الآخر من الشيع محمد بن جقيجه في الهارة وحامل بيده قرنيط لاذ سقط على الأرض بلا روح ، وحمل لداره ميتاً ، رحمه الله .

وفي تلك الأيام أخذ أسعد باشا دار معاوية رضى الله عنه ^(١) ، وأخذ ما حولها من الخانات والدور والدكاكين وهدمهم (كذا) وشرع [١٣٣] فى عمارة داره السرايا المشهورة ^(٢) التى هى قبلى الجامع الاموى ، وجد واجتهد فى عمارتها ليلا ونهارا ، وقطع لها من جملة الخشب ألف خشبة ، وذلك ما عدا الذى أرسلوه له أكابر البلد والاعيان من الأخشاب وغيرها ، ورسم على حمامات البلد أن لا يباع قصر مل لأحد ، بل يرسل لهارة السرايا ، واشتات بها غالب معلى البلد ونجارها ، وكذلك الدهانين ، بل قل أن يوجد معلم متقن أو نجار أو دهان كذلك إلا والجميع مشتغلون بها ، وجلب لها البلاط من غالب بيوت المدينة ، أينما وجد بلاط أو رخام وغير ذلك ، مثل هواميد وفساقي يرسل فيعلمهم ويرسل القليل من منهم .

(١) رحمه الله فى النسخة التيمورية .

(٢) انظر فى وصف تلك الدار التى افتن أسعد باشا فى تشييدها بحثا للدكتور صلاح المنجد فى مجلة الأديب عدد أيلول ١٩٤٦ ، Palais Azem : Ecohard ، de Damas . وقد نقل المرحوم الأستاذ محمد كرد على عن البديرى (وقد دعاه ابن بدير) وصفه للقصر . [انظر خطط الشام . الجزء الخامس ص ٣٠٤ - ٣٠٥] - ولا يزال هذا القصر من أبداع الآثار الإسلامية بدمشق .

وكان في قرب ربة البرامكة قصر يقال له الزهرابية، قيل هو من عمارة الملك الظاهر وهو على ظهر بانياس^(١) مطل على المرجة، وكان مكان منزله عظيم تهدم غالبه. وفي قربة مدفن وعليه قبة من حجر ورأس القبة مقلوع، وفيه وهدة فيل إنه كان في رأسها^(٢) خبية قديماً فأخذت. قال المؤرخ: وما بلغني عن سبب أخذها أنه كان مكتوباً على باب جدار القبة هذا المواليا:

دارى زمانك وصحبك ثم دارىها
وتجئب الناس عالمها وواطىها
وان سألوك عن عيوب الناس غطىها

العقل فى الراس قاضىها ووالها

وكان كل من يقرؤه يتخيّل شيئاً، إلى أن جاء صاحب النصيب ليلاً وصعد إلى أعلا القبة وحفرها وأخذ ما فيها، ولم تزل بلا رأس إلى زماننا هذا، إلى أن أخبروا حضرة الوزير أسعد باشا العظم صاحب العمارة عن هذه القبة وعن المدفن الذى بجانبها، وأن الأراذل والاشقياء يجتمعون عندها هناك ليلاً ونهاراً على فسق وفساد وغير ذلك، فأمر بهدمها حالاً ونقل حجارتها إلى داره.

(١) أحد أنهار دمشق السبعة.

(٢) وعاء عميق من غفار.

وفي تلك الأيام بلغ حضرة الوزير أسعد باشا أن في دار ابن
كيوان^(١) طاحونة قديمة ، يقال لها طاحون الرهبان ، قد تهدمت ولم
يبق منها سوى [نهر بانياس]^(٢) رسوم أسفلها ، وأنها مركبة على
بانياس ، فخالاً أمر حضرة الباشا بقطع نهر بانياس [٣٣ ب]
وأن يخرجوا جميع ما فيها من أعمدة وأحجار وينقلوها إلى الدار .
فاشتغلت الفعالة والحجارة والبساتنة ، واستقاموا يقيمون الأحجار
وينقلونها إلى دار الباشا اثنا عشر يوماً ، والنهر مقطوع عن أصحابه .

وفي يوم الخميس سادس وعشرين ربيع الثاني من هذه السنة
عمل حسن أفندي السفرجلاني وليمة لحضرة أسعد باشا وإلى الشام
بالصاحبة في قاعة ابن قرق . وكانت ضيافة عظيمة ، قيل تكلف
عليه نحو إحدى عشر مائة غرش . فنظر حضرة الباشا إلى سروات
شاهقات في داره ، فطالب من صاحبهم على أغا بن قرق قطعهم لأجل
عمارة داره ، وعرض أسعد باشا صاحب العمارة عليه شيئاً من المال ،
فأبى أن يأخذ من ثمنهم شيئاً ، وقطع له ثلاث سروات ليس لهم
نظير في الشام ولا في غيرها . ونقل من قرية بصرى أحجاراً
وأعمدة من الرخام شيئاً كثيراً ، وأخذ من مدرسة الملك الناصر

(١) وردت هكذا في النسخة الظاهرية وفي النسخة التيمورية [وادي كيوان]
وزجج أنها [دار ابن كيوان] وكيوان كان من رؤساء الجند المشهورين في دمشق
في القرن السابع عشر .

(٢) هذه زيادة في النسخة الظاهرية ولا يستقيم المعنى بها .

أثني في الصالحية أعمدة غلاظاً جيء بهم محملين على هربات تجرّ بالبقر .
وهدم سوق الزنوطية الذي فوق حارة العمارة ، وكان كله أقبية معقودة ،
فأمر بفكه ونقله إلى داره المشار إليها . ونقل إليها أيضاً أعمدة من
جامع يلبغا ، وآتة مهما سمع بيلاط بديع أو أعمدة أو أحجار من أى
محل كان يأتي بها شراء وغير شراء .

قال المؤرخ أحمد البديري عفا الله عنه : وفي تلك الأيام قتل ابن
خطاب الدالائي في سوق البزورية وقت ^(١) أذان العشاء ، جاء ضرب
سلاح على رأسه : أخذ نصف رقبته مع رأسه ، فوقع قتيلاً كأنه ما كان .
هذا وزير الشام مشغول في عمارة داره ، ولم يلتفت إلى رعاياه وأنصاره
ويقول : اتنوّى بحجارة المرمر والرخام والسرو ، وتفتنوا بالبناء
والنقوش والتحلية بالذهب والفضة ، وجاب عواميد الرخام على
العجلات والبقر من بصرى ، وخرب سوق مسجد الأقباص ، واستجاب
جميع ما فيه من أحجار وأخشاب ، وكل ما سمع بقطعة أو تحفة من
رخام أو قيشاني أو غيرها يرسل فيأتي بها إن رضى صاحبها أو أبى .
وإذا أراد الفقير أن يعمر أو يرمم لم يجد معمارياً ولا نجاراً ولا خشباً
ولا مسماراً ولا تراباً ولا قصرمل ولا أحجار ، وهذا مع غلاء
الأسعار وحلول الأكدار . وقد أخذ حضرة الياشا قدراً وافياً من

(١) جاء مكانها كلمة [محل] في النسخة الظاهرية .

[١٣٤] ماء القنوات ، فواصل إلى السرايا حتى تقطعت السبل ومياه
غالب الجوامع والحمامات ، وبقي مدة مقطوعاً حتى عن غالب البيوت .

وفي تلك الأيام عمل هلى أفندى المرادى ضيافة لحضرة أسعد باشا
في قرية ببيلة في طريق قبر الست ، وكانت ضيافة حافلة
في الغداء والعشاء .

وفي تلك الأيام أيضاً أمر حضرة الوزير أسعد باشا العظم متولى
الجامع الأموى الشيخ ابراهيم الجبأوى السعدى بأن يصلح أحوال
الجامع المذكور ويتفقد مصالحه . فحالا باشروا بترميم المئذنة الغربية .
وأزالوا ما فيها من الأحجار العاطلة ، وأزالوا ما به من الحصر
والطنافس العتق ، وفرشوه فرشاً جديداً بهمة حضرة الباشا .

وفي يوم الاثنين سادس جمادى الأولى خرج الحاج أسعد باشا
وعمل سيراناً في أرض الغوطة ، ومعه أكابر دمشق وأعيانها .

وفي يوم الجمعة عاشر يوم من جمادى الأولى والناس في صلاة
الجمعة ، ألقى رجل نفسه من قلعة دمشق إلى جهة قهوة المناخية ، فتكسرت
يديه [كذا] ورجليه ، وسبب حبسه أنه اتهم بافتضاض بنت .

وفي تلك الأيام بشر آذار الروم ثار ريح شديد عاصف
ما سمع بمثله ، تزلزلت فيه أقطار الشام ، حتى ظن الناس أن القيامة قد
(١٠٢ - دمشق) .

قامت ، وأعقبه برد ومطر شديد متراسل إلى آخر الليل وفي تلك الأيام جاء رجل من الأتراك إلى دمشق ، ومعه صحن من نحاس يضعه على عود ويقتله عليه ، ويحذفه إلى أعلا قامتين ، ويتلقاه على العود وهو يقتل ، وينقله من إصبع إلى أصبع وهو دائر يقتل ، ويلم فلوساً من المتفرجين . ثم صارت أولاد الشام تفعل كفعله ، فتعجب من ذلك وذكر أنه دار بلاداً كثيرة في الدنيا ، وما قدر أحد أن يفعل كفعله ، ثم سافر ولم ير بعد . وأغرب من ذلك أنه جاء رجل أيضاً من أبناء الترك قبل الذي ذكرناه ^(١) يصفق بأصابعه ، يضرب بالواحدة على الأخرى ، ويدق برجله على الأرض دقا محكماً ، ويعنى بالتركي والعربي ، فتجتمع عليه الخلق ويمطونه فلوساً . فصارت أولاد الشام الصغار تفعل كفعله وأحسن . وذكر أنه دار في الدنيا مدناً كثيرة فلم يتعلم هذه الصنعة سوى أولاد دمشق ، واندھش من ذكائهم ^(٢) .

وفي جمادى الآخرة قُتل رجل في محلة العقبة ، فسألت عن السبب ، فقيل إنه رجل [٣٤ ب] يشتغل بالفرن ، فضى إلى فرنه آخر الليل وسكّر باب داره وترك زوجته نائمة ، فلما وصل إلى فرنه واستقر برهة ، جاءه نذير ، وأخبره أنه رأى رجالاً دخلوا داره ، فجاء يعدو بالحال ، فوجد السكره ، مفتوحة ، فجنّ الباب فوجده مدرّساً ، فصاح على

(١) ذكره : في النسخة الظاهرية .

(٢) بذكائهم : في النسخة الظاهرية .

زوجته فأجابته ، فقال لها مَنْ عندك ، فصاحت : واعرضاء من يكون
عندى ، فقال لها افتحي الباب ، فتعللت بعدم قدرتها على فتح الباب ،
فصاح بشدة ، وإذا قد فتح الباب وخرج منه رجال ، فضربه أحدهم
بطبخة جاءت فى صدره فقتلته حالا ، فلما طلع النهار أخبروا
حضرة وزير الشام أسعد باشا ، فأحضر المرأة بين يديه ، وسأها
فأنكرت فأمر بحبسها ، فحبست وذهب دم زوجها هدرا .

وفى تلك الأيام أيضا جىء لحضرة الوزير أسعد باشا بامرأة قتلت
زوجها ، فسأها عن السبب ، فقالت له إنه تزوج هلى ، فلما كانت ليلتى نام
وتركنى ، فقممت وقطعت ذكره ، وقلت لالى ولا لها ، فأت من ذلك .
فضحك حضرة الوزير ، ولم يفعل بها شيئا سوى أنه أمر بحبسها .

وفى اليوم الحادى والعشرين من جمادى الثانية من هذه السنة
ذهب والى الشام أسعد باشا الى الدورة ، ومتسلبه موسى آغا كخيخة .
فثنى يوم من ذهاب الباشا شفق متسلبه المذكور اثنين ، قيل إنهم متاوله
كأما يقطعان الطريق ، ثم نادى أن لا أحد بعد صلاة العشاء يخرج
لابضوء ولا بلا ضوء . وهذا شىء ما سبق قط . ثم صار بنفسه
يدور بالليل ، وكان من الجبايرة . وبهذه السنة ثبت أول رجب السبت
وليلة نصف شعبان كانت ليلة الاثنين ، وأول رمضان كان الثلاثاء .

وفي سادس عشر رمضان دخل ركب الصرة أميني^(١)؛ ودخلت أيضا خزانة مصر إلى الشام . وفي الحادى والعشرين منه دخلت البطنجية . وفي ليلة الرابعة والعشرين بعد صلاة التراويح قتل كردى يقال له كرا مصطفى فى الحدرا^(٢)، ولم يعلم غرءه، فاتهموا فيه رجلاً بغدادياً، فتسلحت الدرويشية صفوفاً وألوفاً، فبهجوم الأكراد تفرقوا وهربوا، ودخل الخرف والرعب فى قلوب الناس، وإلى [١٣٥] الله المصير .

وبعد ثلاثة أيام حضر الباشا من الدورة^(٣)، وكان دخوله مع أذان المغرب .

وفى سلخ رمضان يوم الوقفة قتل الأكراد اثنين من البغادة لاخذ ثأر القتل الكردى الذى قدمنا ذكره، فتسلحت البغادة والموصلية وساعدتهم التفكجية والقبقول، وطلبوا خان الأكراد، فرمى الأكراد عليهم طلقاً من الرصاص، فقتلوا جماعة وجرحوا، فرجعوا على الأكراد، ونهبوا بعض قهواتهم، وأرادوا أن يعملوا جمهورية [كذا] ويقيموا فتنة فى البلد، فهامهم حضرة الوزير حفظه الله عن ذلك،

(١) أى أمين الصرة، وهو الذى يسافر بالأموال المخصصة للحرمين .

(٢) فى النسخة التيمورية : قره مصطفى فى الحداد .

(٣) هذه العبارة مضطربة فى النسخة الظاهرية .

بقيت الأمور مطوية . وكان عيد الفطر يوم الأربعاء ، وقد صمنا
رمضان تماماً ، بعد ما كنا صمناه أعواماً ناقصاً . وبعد أيام رحلت
خزنة مصر إلى إصطنبول .

وفي سابع عشر شوال رحل أمير الحاج بالمحمل الشريف
والموكب المنيف الحاج أسعد باشا العظم . وهذه السنة هي الثامنة
من حجاته المتوالية . وثاني يوم جاء الحاج الحلبي . وفي الحادي
والعشرين من شوال رحل الحاج الشامي والحلبي من الشام .
وبعد خمسة أيام جاء حاج من العجم ، وتبع الحاج إلى المزيرب من
جهة اللجاة ، ورحل الحاج من المزيرب يوم السابع والعشرين
من شهر شوال .

وبعد رحيل الباشا نادى المتسلم على الفلوس الرملية^(١) كل واحد
وعشرين فلساً بمصرية ، وأطلق البغدادي الذي آتهم بقتل القرا
مصطفى الكردي ، وكانوا قد رفعوه للقلعة ، وبعد إطلاقه بأيام
سكر وعربد وضرب حمارين فقتلتهما ، فاخبطت البلدة ، وأرسل
المتسلم في طلبه ، فهرب ولم يظهر له أثر ، ولا وقفوا له على خبر ،
فقبضوا على مملوك له فخنقوه .

(١) مرة بنا [ص ١٣٤] أن الفلوس الرملية كانت تعتبر عملة زائفة وقد عوقب مزيفوها
ويدو أن هذه العملة (المزيفة) قد انتشرت في ذلك الوقت لدرجة أن الحكومة
سقطتها ، فجعلت ٢١ فلساً منها يساوي مصرية ، بينما ٩٠ من الفلوس (الصحيحة) تساوي
مصرية . انظر فيها سبق ص ١٠٨ .

وقبل خروج حضرة أسعد باشا إلى الحاج الشريف بثلاثة أيام
انتهت عمارة دار الباشا ، التي هي للحريم ، وفرشت بأحسن
المفروشات ، وتقل حرمة إليها :

وفي تلك الأيام حصات وقعة عظيمه بين الدروز والماتولة ،
ومع الماتولة أيضاً أولاد الضاهر عمر حاكم طبرية^(١) ، وقتل من
الفريقين ، وحصر واقتل الدروز ، فكانوا انحوا من تسعمائة قتيل ، وهي
فتنة كبيرة^(٢) . وفي يوم السبت خامس ذى القعدة^(٣) ضربت مدافع
فسألنا عن الخبر ، فقبل جاء من الساطنة مقرر إبقاء [٣٥ ب] أسعد
باشا العظم وإلى الشام .

قال المؤرخ البديري : وفي ليلة الأربعاء لعشرين مضت من
شهر ذى القعدة من هذه السنة توفى الشيخ إسماعيل^(٤) بن شيخنا :

(١) كان أمير الماتولة وكبيرهم في ذلك الوقت ناصيف النصار (من بيت علي
الصغير) وبلادم بلاد بشارة بين الشوف وصفد . وكانت العلاقات في أول الأمر
عدائية بين الماتولة والشيخ ظاهر ، وبعد أن انتصر عليهم وانزع منهم بعض بلادهم
عقدت بينهم محالفة مشتركة موجبة ضد باشا الشام . [الصباغ ص ٣٩ — ٤١]
(٢) يرجع إلى تاريخ الأمير حيدر الشهابي ج ١ ص ٤١ إلا أنه أخطأ
فذكر سليمان باشا مكان أسعد باشا .

(٣) في النسخة الظاهرية : خامس عشر ذى القعدة .

(٤) ترجمه له المرادى ترجمة مختصرة : سلك الدرر ج ١ ص ٣٥٦

وأستاذنا الشيخ عبد الغنى النابلسي ، مات عن ثلاثين ولدا من بنيه وأولاد بنيه ، وعمر سبعة وسبعين سنة ، لأن مولده سنة خمس وثمانين بعد الألف (ووالده الأستاذ مولده سنة خمسين بعد الألف ووفاته سنة ثلاث وأربعين ومائة بعد الألف) ^(١) فيكون عمر الأستاذ والده ثلاثا وتسعين سنة ، وكانت وفاته بالصالحية ودُفن بداره فيها . وأما ولده الشيخ إسماعيل هذا فكانت وفاته في دارهم التي في العبرانية قبل الجامع الأموي ، وتُحل نعشه للصالحية ، ودُفن في دار أبيه بجانب ولده الشيخ طاهر ، رحمهم الله تعالى ونفعنا بركاتهم أجمعين .

سنة ١١٦٤

ثم دخلت سنة أربعة وستين ومائة وألف . كانت هلة المحرم ^(٢) نهار الثلاثاء ، جعلها الله سنة خير وبركة علينا وعلى المسلمين .

وفي ستة وعشرين من المحرم جاء جو قدار الحج الشريف ، وبشر عن الحج بكل خير من كثرة الرخص والمياه وغير ذلك والله الحمد . غير أن الغلاء لم يفارق الشام ، فقد دخلت هذه السنة ورطل الخبز بخسة وبسته مصارى . ورطل الأرز بعشرة مصارى ، ورطل اللحم بثمانية وعشرين مصرية ، ورطل الدبس بتسعة مصارى ، وأوقية السمن بستة

(١) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة التيمورية .

(٢) توافى ٣٠ نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٧٥٠ .

مصارى ، والعملة مغشوشة ، والفلوس غير منقوشة ، والنساء بأحت
والرجال ساحت ، والحدود طاحت ، والأكابر مشغولة ومرودة
الرجال مغولة ، إلى آخر ما قال المؤرخ .

وفي تلك الأيام جاءوا بأربع رؤوس من العرب قطاع الطريق ،
أتى بهم عيسى بن هشام الحبش ، أحد الزربابوات الهاريين ، ففُعي عنه
لأجل ذلك .

وفي تاسع وعشرين محرم جاء كتاب الحج ، وذكر أن هذه
السنة هي أرمح وأجود السنين في أيام الحاج أسعد باشا والى الشام
حفظه الله . غير أنهم جاءهم سيل عظيم في عسفان أوقفهم أياما ، ثم
أمر الباشا بأن يحدوا في المسير حتى ترك من العشرة اثنين ، هكذا
ذكر لي بعض الحجاج . ودخل الحاج يوم الأربعاء ثاني صفر .
وثاني يوم الخميس دخل المحمل الشريف ، وأسعد باشا [١٣٦] وأخوه
سعد الدين باشا سردار الجردة بالموكب العظيم . وثامن (صفر)
دخل قاضي الشام عبد الله أفندي سعيد زاده ليلاً وعليه جلالة وهيبة
ولم يتكلم بقال وقيل . وبلغنا أن عثمان باشا المحصل حاكم جدة مات
ودفن بها .

وفي تلك الأيام من هذه السنة جاء منصب حلب إلى سعد الدين

باشا أخو أسعد باشا، فتحوّل من طرابلس بعياله وذهب من دمشق إلى حلب، وقد أشاعوا أن سلفه حاكم حلب^(١) كان ظلماً غاشماً، وقد خرب قرايا كثيرة، وعمر عمائر كثيرة، أخذ غالب مصارفها من أهل حلب، وبقي بها جامعا يدهش الأبصار.

وبعد مجيء الحاج أسعد باشا من الحج الشريف وجدنا داره قد تمت عمارتها، فلما دخلها زاد فرحاً وابتهاجا وسروراً، فذبح الذبائح وأعطى المنائح، وأقام بها بلدة هيش، وبلغه مجيء تقريره في الشام، فازداد شكراً لولى الأمان. غير أن أهل الشام في أكدار من غلاء الأسعار، وبخل التجار وانفساد الاحرار وضعف الصغار، وعدم راحة الكبار، والحكم لله الواحد القهار. فلقد صار رطل اللحم الشامى بقرش، والكبار، رطل السمن بقرش ونصف، (ورطل لحم الجاموس بأربعة وعشرين مصرية، والسمنك مثل ذلك^(٢))، ورطل لحم الجمل بثمانية عشر (مصرية)^(٣)، وأوقية الرز بمصرية، وأوقية الدبس بمصرية، والبيض بمصرية، والعسل الأوقية بشاهية. ورطل الخبز بستة مصارى، والناس في أسوأ الأحوال. وفي تلك الأيام وقع بيت بياض السريحة على امرأة وصبي صغير

(١) هو إسماعيل باشا عثمان باشا زاده. وقد نقل إلى طرابلس مكان سعد الدين باشا المظفر [الغزى نهر الذهب في تاريخ حلب ج ٣ ص ٣٩٩].

(٢) المبرات بين القوسين ساقطة من النسخة المطبوعة.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية.

وفى تلك الأيام أيضاً قتل كردى زوجته فى محلة سوق ساروجا .
وسبب ذلك أنه كان حاجاً ، ولما جا وجدها متغيرة فى أحوالها ،
ثم تبين أنها عابت فى غيبته ، وكانت ذو [كذا] حسن وجمال
فذهبها ولم يبال بأحد . وفى تلك الأيام أيضاً قتل رجل ابنته فى محلة
سوق ساروجا ، وهى ابنة أربع سنين ، فبلغ حضرة أسعد باشا أمرها
وأن تلك البنت أمها مطلقة وخالتها^(١) امرأة أبيها غير محبة لها ، فدنست
لأبيها عليها بعض كلام ، وكان أبوها من الحق والجنون على جانب
عظيم ، فضرها بالعصا ضرباً مؤلماً ، ثم [٣٦ ب] ربطها بشجرة
بداره وبقيت طول الليل مربوطة إلى الصباح ، فجاء ليحلها فوجدها
قد ماتت ، وكانت ليلة ذات برد شديد ، فأحضره أسعد باشا وأمر
أن يضرب ضرباً شديداً ، فضره ثم وضع بالحديد بعد ما أخذ منه
أموالا كثيرة . وفى يوم الأربعاء ثامن صفر الحير من هذه السنة
تُوفى الشيخ محمد أبو قيص الكردى شيخ مدرسة المرادية : وسمى
بأبى قيص لكونه إذا لبس قميصاً لا ينزعه حتى يتقطع ، وهذا غاية
فى الزهد ، وقد كان صائماً متهجداً ، خرجت فى جنازته الأكابر
والأعيان لا اعتقادهم فى صلاحه ، ودفن فى تربة مرج الدحداح ، ولما
فُتحت حجرته وجدوا عنده عشرين ثوباً من الكتان جدداً وخمسة
عشر نصف مقطع وسبعة قناطير حطب وعشرة أرطال أرز وقدرة

(١) فى النسخة الظاهرية : وأمها . والمضى لا يستقيم .

سمن وقدره عسل ، وغير ذلك من المون . ووجدوا قدرة [بها] أربع
ريال ومثلها بمصارى ، وفيها ذهب وأمتعة وحوائح وبدرأويتين
ملآنتين قصان ، ووجدوا مقدار مائة كتاب قد روم بثمن عظيم . فانظر
إلى (زهد)^(١) مثل هذا ، فقد ذهب الصالح بالطالح .

وفي يوم الجمعة عاشر صفر توفي الشيخ إبراهيم إمام القشماشية^(٢) ،
وكان فقيها صالحاً ، ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله . وفي يوم
الجمعة اثنين وعشرين من ربيع الأول توفي العالم النحرير الشيخ أحمد
الحرسى أمين الفتوى فى بيت العمادى رحمه الله .

وفى تلك الأيام باع رجل جرّة زيت إلى رجل آخر ، فقبض
منها بعد ما وزنها ؛ ثم حملها إلى دار الرجل ، وقال : أبقي عندك هذه
الجرّة ، فبعد ساعة آتيتك وأفرغها لك ، قال : لا بأس بل أنا أفرغها ، وأوى
وقت جئت نجد الجرّة ، ثم ذهب صاحب الزيت ، وبعد ساعة فرغها
المشتري ، فوجد بها أربع أواقٍ من الزيت والباقي ماء صافياً ، فطلب
الرجل فلم يجده .

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) ذكرها المرحوم الأستاذ كرد على فى مدارس دمشق وكتبها [القشماشية] . كانت
تقع داخل باب النصر ودار السعادة أنشأها نائب الشام قبحاس الإسحاق الجركسى
التوفى سنة ٨٩٣ ، وقال إنها « اليوم » عامرة فى الجملة [خطط الشام ج ٦ ص ٩٥]
إلا أن الأستاذ أبو الفرج العشى محافظ المتحف الوطنى بدمشق كتب إلى أنها زالت
تماماً منذ نحو ١٥ سنة .

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول قتل قبضوا رجلاً من الأشراف في مأذنة الشحم^(١) ، ضربه بخنجر في صدره أخرجه من ظهره ، وترك الخنجر مفروزا فيه ، حتى أخرجه قاضى كشف [عليه] ، ثم ألقوا القبض على القاتل ، وقامت الأشراف ، وثبت عليه القتل فحبسوه في القلعة ، وفي تلك الليلة خنقوه .

وفي يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى توفي الشيخ محمد بن الشيخ شعيب [١٣٧] الشهير بالشيخ جينه القاطن بحارة باب السريجة . كان رحمه الله ضحوك السن لطيفاً على غاية من الصلاح ، ودُفن بباب الصغير رحمه الله تعالى . وفي ثامن جمادى الأولى اغتيل رجل شقى من الصالحة يعرف بالفستقى ، كان كما قيل داهية دهماء ومصيبة عظماء ، شجاع يرد مائة شجاع بعصا ، سارق ما سمع بمثله بين اللصوص المشتهرين بالحيل ، فمن حيله وشطارته اتى ما سمع بنظيرها أنه متى وضع يده على أعلى حائط فتمتى علق ظفره به صار بأعلاه ، والمدحش أن يكون ظفره للحائط ، وإذا وضع فى أى مكان وعلق عليه الباب وقفل . خرج منه مهما كان ، وهذا كله ولم يجاوز العشرين سنة من عمره ، ثم إنه بغى على أهل الصالحة خصوصاً وعلى غيرهم فأعياهم أمره ، فجعلوا لشخص جعلوا على قتله ، فاغتاله بعد ما عمل معه صحبة . وقتله وراح وكأنه ما كان .

(١) أحد مساجد دمشق الشهورة .

وفي يوم الثلاثاء جاء خبرٌ إلى دمشق بأن ليلة الاثنين قُتل حاكم
بعلبك الأمير حسين ، وقد كان خارجاً من الجامع ، فاغتاله ثلاثة
أشخاص ، ورموه بثلاث بنادق وفروا هاربين وحمل إلى داره .
وفي اليوم الثاني توفي ، وقد قيل بأن القتالين له إخوته ، حيث أن له
من الإخوة سبعة ، والله أعلم .

وفي تلك الأيام فرض والى الشام أسعد باشا على الزعماء
والأكابر والتجار بأن يأتوا له من مدينة حماة بقمح ، ويكون أجرته
منهم ، فذهب بعضهم وأنى بقمح كثير ، فبيعت الغرارة يا حدى وثلاثين
غرشاً ، ولم تستفد غير وجوده ، وأما الغلاء فإنه باق بجميع
الأصناف كما قد متسعيره .

وفي ليلة السبت توفي موسى كيخية أسعد باشا والى الشام^(١)
ودفن بباب الصغير قريباً من قلعة الشاغور ، وصار له مشهد عظيم .

(١) نشك في وفاة موسى كيخية [أو كتحدا أى نائب] أسعد باشا العظم في
تلك السنة [١١٦٤ = ١٧٥١] فقد استمر في منصب الكتخدائية بدمشق حتى
بعد نقل أسعد باشا من دمشق ، وسيعود البديرى نفسه الى التحدث عنه في حوادث
السنوات التالية . وذكر القارى [وزراء دمشق ص ٧٩ — ٨٠] أن موسى باشا
كيخية أسعد باشا تولى في سنة ١١٧١ (١٧٥٨) قيادة الجردة ، وخرجت عليه جموع
العرب في أرض معان وقتلوه قتالا شديداً ، وأصيب بجرح قاتل حمل الى دمشق
ودفن بها ، وكذلك نهب العرب قافلة الحج وكان يقودها والى الشام حسين باشا مكى .
وتتفق رواية ميخائيل بريك الدمشقى مع هذه الرواية .

كان رحمه الله هضم النفس ، طلب علما في أول أمره . هنده شفقة ورافة ويحب المسألة ومصالحة الخصوم ، حتى صارت الشام وما حولها حتى من العربان طوع يده ، وخلف ثلاثة من الولد أحدهم صار حاكم القدس ، والثاني حاكم غزة ، والثالث صغير من امرأته الشامية ، واستقام في الكخوتية^(١) من حكم سليمان باشا إلى سابع سنة من حكم ابن أخيه أسعد باشا .

وفي يوم الاثنين ثلثي وعشرين من [٣٧ ب] جمادى الثانية قُتل اثنان من رعيان التركمان في أرض الغوطة في المحفرة ، أحدهما عاش ، فُسِّلَ عن فعل بهما ذلك ، فأخبر أن بعض المغاربة ظن أن معهما مال ، فبعدما أوقعوا بهما ذلك الحال ، وجدوا مع أحدهما ربع ريال ، والثاني قليلا من الفلوس ، فرجعوا خاسرين الدنيا والآخرة .

وفي تلك الأيام كبر أسعد باشا داره الجديدة الذي ما صار نظيرها ولا عمل مثلها ولا وجد في الكون لها مثل . وبينما التجارين [كذا] يرفعون السقائل لأجل رفع الطوان^(٢) وقع ثمانية أنفار من التجارين فتهشموا ، ولم يقتل والله الحمد منهم أحد ، فأمر حضرة الباشا . بأن يرسلوا إلى يوتهم ، وأعطى كل واحد منهم نصف ذهب . وفي ذلك العام

(١) الكخوتية : في النسخة الثمورية .

(٢) الطوان هو السقف المزخرف من الخشب أو القماش السميك ليغطي أعمدة السقف أو الناظر غير المستحبة منه .

اشترى أسعد باشا والى الشام من الصالحية ومن أرض العناية ومن غيرها أراضى وبساتين ، واشترى كذلك سوق الدق^(١) وما حوله من الدكاكين ، ومراده أن يعملهم قيسارية ليس لها نظير في قيسارية الشام .

وفي يوم الجمعة توفى بقرية السلف الصالح معتقد أهل الشام على الإطلاق الشيخ عبد اللطيف بن عبد الحمادى ، وقرى . نسه عند إقامة الصلاة عليه في مقصورة الجامع الأموى ، فوجد بينه وبين سيدنا عمر بن الخطاب ثلاثون جداً . وصار له مشهد عظيم ودفن بمقبرة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .

وفي يوم الاثنين سلخ جمادى الثانية دخلت أرطة القبقول يتمش إيكى^(٢) ، فخرجت لالتقاها كل من لف برمه مع مائتين تفكجى وجماعة من الدالاتية ، كل ذلك بأمر الباشا ، ودخلت بعراضة أى موكب ولا موكب الحج الشريف ، وخرجت الناس للفرجة رجالا ونساء كبارا وصغارا ، وزينوا لهم حارة العمارة بالقناديل والمشاعل ، ودخلوا بكبر وجبر وعتو ، نسأله تعالى العافية .

وفي تلك الأيام أرسلت الدولة العلية تطلب من حضرة أسعد باشا منافع النوق وشرش جنزيل . فحالا حضرة الباشا استجلب من عرب

(١) أحد أسواق دمشق . والدق هو البقايا المتفحمة من زور الزيتون والشمش المحروقة فى الأفران .

(٢) أى الأورطة الثانية والسبعون .

الجبلة^(١) ثلاثة نوق لم يأكلوا إلا حليب أمهم ، فذبحوا [كذا] واستخرجت مناخهم ، وأرسلهم حضرة أسعد باشا مع شرش الجنزيل مع ثلاث نياق حبالي حاملات يصحبهم ثلاثة طواشية .

وفي تلك الأيام وصل خبر إلى [٣٨] دمشق الشام بأن سعد الدين باشا الذى هو أخو أسعد باشا جاز على أهل حلب ، فغلب الأسعار^(٢) ، وطلب منهم مائتى كيس غرش ، لكونه توجهت عليه سر دارية جردة الحاج ، فأبوا أن يعطوه ، ووقع جدال عظيم ، وبطلت صلاة الجمعة وقتل منهم جماعة . وثانى يوم كان رطل الخبز بعشرة مصارى ، فنادى عليه بأربع مصارى ، واللحم كان بثلاثين الرطل ، نادى عليه باثنى عشر مصرية ، فأرسلت أعيان حلب عرض إلى الدولة العلية بما جرى . ولم ندر ماذا يكون بعده .

وفي أوائل شعبان من هذه السنة وصل خبر إلى دمشق بأن ابن الحرفوش حاكم بعلبك المتوالى الرافضى المشهور قبض على المفتى وعلى أخيه وأحرقهم بالنار ، وهدم دارهم وقطع كرومهم . وقد كانت هذه العائلة الخيثة الحرفشية لعنها الله قبل أعوام قتلت أيضاً الشيخ يحيى مفتى بعلبك المشهور بالعلم والكرم .

(١) انظر فيما سبق ص ٣٣ .

(٢) أشار القزوى [نهر الذهب فى تاريخ حلب ج ٣ ص ٢٩٩ — ٣٠٠] إلى اشتداد الغلاء فى حلب فى تلك السنة « لا حق نار الناس فى يوم الجمعة وتعطلت الصلاة والآذان وطلعت النسوة إلى المآذن » .

وفي تلك الأيام شق رجل نفسه في جامع يلعبا بشجرة فيه ليلاً ، فأصبح الناس فوجدوه مشنوقاً ، ولم يعلم السبب . وفي تلك الأيام وقع باب بستان على رجل في الصالحية يقال له السيد إبراهيم الحلواني من حارة السويقة ، فحملوه إلى داره ، ومات في اليوم الثاني .

وكان أول رمضان هذه السنة نهار السبت ، أثبت في الساعة السادسة ليلاً . ونهار الاثنين ثالث رمضان قُتل آفة القبول في القلعة بعد العصر ، والذي قتله أحد جماعته بتدبير من أحد الآغنيين المعزولين ، لأن بدمشق ثلاثة أغاوات للقبعة ، أحدهما [كذا] الموظف المقتول والاثنان المعزولين تبرحا عليه حسداً ، فاغتالاه وذهب دمه هدراً . وقتل أيضاً محمد بشه بن شمس في وادي القرن ولم يعلم قاتله . وسادس رمضان دخل الصرة أميني إلى الشام . وكان العيد الاثنين والصوم تاماً .

وفي هذه السنة جاءت حجاج كثيرون من العجم . رهم على ما نقلوا ألف وستمائة عجمي ، ما عدا البغادة والعرب ، وصار جبر خاطر لعموم الناس في البيع والشراء . وجاء مع العجم ربيات ذهب كل واحدة بثلاثة عشر غرشاً وثلثون كبير وصغير وأحجار ومعادن . وشال وغير ذلك . وخرج المحمل يوم الخميس ثامن عشر شوال ، وخرج الحاج يوم الجمعة بعد المناداة مراراً بأن لا يبات أحد من
(١١٢ — دمشق)

الحجاج إلا خارج باب الله^(١) . [٣٨ ب] وخرج المتسلم والبلطجية بعد العصر وأناس بالليل والباقي ضحوة السبت . وهذا شيء ما سبق على ما نعلم .

وفي شوال هذه الأيام صار حرٌّ شديد لا يطاق ، حتى نشفت الآعين والآبار ، فقد غارت قناة بيت راس التي هي قريبة من بيلة في طريق قبر الست ونشفت واندرست ، حتى كأنها لم تكن . وعلى أثر جفاف الآعين وقلة المياه جاء زيادة ماء ، حتى صارت الماء مثل الطحينة . ونهار الأربعاء ثامن ذى القعدة جرس رجل ، قيل إنه يدق الزغل من المعاملة^(٢) . وركب حماراً بالمقلوب وسخيم وجهه بالسواد ، وآلة العمل على صدره ، وداروا به البلد كلها . ومع هذا فالغلاء واصل لحدّه : فرطل اللحم بستة وعشرين مصرية ، والأرز بعشرة مصارى ، والخبز بخمسة مصارى ، إلى آخر ما قدمنا .

وفي منتصف ذى القعدة وردَ حاكم حلب سعد الدين باشا أخو أسعد باشا ابن العظم إلى دمشق ، سردارا إلى جردة الحاج ، ورحل بها نهار الخميس غرة ذو الحجة .

(١) أحد أبواب دمشق الذى يخرج منه الحاج وهو فى الجنوب الأقصى من الميدان . وفى النسخة التيمورية : خارج البلد .
(٢) أى يزيف العملة .

سنة ١١٦٥

ثم دخلت منه خمس وستين ومائة وألف نهار السبت^(١) ،
فاستبشرت الناس بقدومها ، حيث ليلة الملة هطل مطر غزير وفرحوا
وزرعوا وفلحوا ، وبدت ترخص الأسعار ، غير أنه ما فيه من يفتش
على الخلق بالرخمة والرافة من الحكام والوجوه ، والخزّانة كثيرون
والأكابر ساكنون والحكام يأكلون ، فإن الله وإنا إليه راجعون ،
وانظر غلاء الأسفار : فقد أقبلت هذه السنة بخيراتها وبركاتها ،
ورطل الخبز بأربع مصرية ، والدبس أربع أرطال إلا ثلث بقرش ،
ورطل السمن بقرش ونصف ، ورطل البصل بأربع مصرية ، ورطل
الثوم بسبعة مصرية ، ورطل الفهم بأربع مصرية ، وعلى هذا
فقص . فالأغنياء منعمون والفقراء صابرون .

قال المؤرخ عفى الله عنه : وفي يوم الاثنين عاشر المحرم من هذه
السنة ورد فرمان من الدولة العلية بأن حضرة خليل أفندي البكرى^(٢)
صار قاضياً في دةشق الشام ، وسجلوا الفرمان ، وجلس مكانه ولده
أسعد أفندي البكرى إلى مجيء أبيه كما يأتى .

(١) أولها ٢٠ نوفمبر [تشرين ثان] ١٧٥١ .

(٢) من أسرة البكرى الصديقى الشهيرة بعصر والشام ، وقد أنجبت عددا كبيرا
من العلماء ممن تصدروا للتدريس أو الإفتاء أو القضاء ، وترجم لطائفة منهم الحبي في
« خلاصة الأثر » والمرادى في « سلك الدرر » . انظر ترجمة خليل أفندي قاضى
الشام (بين سنتي ١٠٩٨ ، ١١٧٣) في سلك الدرر ج ٢ ص ٨٣ - ٩٧ .

ونهار الأحد ثانى وعشرين محرم ورد جو قدار الحج الشريف
يُبشر عن الحاجاج بكل خير ، وأن الحاج وقف بعرفات يوم الجمعة .
وهذه السنة التاسعة من حجج حضرة أسعد باشا المتواليات . وهذا
ما سبق لغيره ، والحمد لله الذى أعطاه [١٣٩] . وفى ثانى يوم دخلت
خزنة مصر إلى دمشق . قال المؤرخ : ومعبانسينا شيخ السعدية^(١) فى
الديار المصرية الشيخ يحيى أفندى الجباوى ، أخو الشيخ إبراهيم الجباوى
الشاغورى من أبيه . وفى يوم الثلاثاء غرة صفر الخير كان دخول
ركب الحاج الشامى إلى دمشق ، ولم يروا أدنى مكدر كما أخبروا ، غير
أنهم جاءهم فى هدية برد كبير كل بردة وزنها ستون درهما ، ولم يحصل
منه أذية .

وفى تلك الأيام بلغنا أن أهل مصر طردوا كل غريب ، والذى
يجدونه بعدئذ ما له وعذوبه أشد التعذيب^(٢) . وفى أوائل ربيع
الأول دخل خليل أفندى البكرى قاضياً لدمشق الشام ، فقرحت
ناس وغمت ناس ، وظنوا أن معه أمور من تغير وتبديل وتفتيش ،
فلم يقع شئ من ذلك . وفى ليلة الأربعاء سادس عشر ربيع الأول .

(١) انظر فيما سبق ص ٩١

(٢) رجعنا إلى تاريخ الجبرتى فى حوادث تلك السنة أو ما حولها فلم نجد إشارة
إلى طرد المصريين (الغريباء) من بلادهم . وربما عنى البديرى ما بلغه من عزم الأقباط
على الخروج إلى بيت المقدس للحج فى موكب (على مثال قافلة الحج) وغضب العامة
فى القاهرة وقيامهم على النصارى وإيذائهم [الجبرتى ج ١ ص ١٩٥] .

توفي العالم الجليل شيخ الشافعية في دمشق الشام ، بل شيخ شيوخ الفضلاء من علمائها الأعلام ، شيخنا وأستاذنا الشيخ علي كزبر ، وصلينا عليه صلاة الظهر في جامع الأموى ، ودفن بتربة باب الصغير من قبل أوس^(١) بن أوس الثقفي . وقبل وفاته عمل وصية ، ومن جملة ما أوصى بخمسين قرشاً لتعمير القبور الذى حول قبره ، فكانت منه كرامة ، لأن ساعة دفنه تهدمت قبور كثيرة من نزاحم الخلق المحتاطين بمجازته . رحمه الله تعالى ، وأعاد علينا من بركاته . وفي ليلة الثلاثاء سلخ ربيع الأول وجد السيد محمد بن السيد أحمد خادم سيدى أبى الدرداء مذبحاً بداره التى داخل القلعة ، وكان له عبد ومملوك فلم ير لهما أثر ، قبل قتله ، والله أعلم ، وذهب كأنه ما كان .

وفي تلك الأيام توفي حسن أفندى بن حمزة نقيب الأشراف سابقاً ، وحضر الصلاة عليه حضرة والينا حاكم الشام أسعد باشا العظم وقاضيا خليل أفندى البكرى الصديق ومفتيا حامد أفندى العمادى ونقيها الحالى (محمد)^(٢) أفندى العجلاتى وعلى أفندى المرادى وأكابر الشام وخلق كثير ، ودفن بمقبرة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .

وفي اليوم الثانى توفي العالم الجليل إمام المحرابين الذين للشافعية

(١) أوس في النسخة الظاهرية .

(٢) الاسم ساقط من النسخة الظاهرية .

الشيخ هلى المصرى^(١) وهو الذى جلب ماء السممر ، وكان يحب قضاء الخوانج لعباد الله ، ودفن بمقبرة مرج الدحداح ، رحمه الله تعالى .

وفى غرة جمادى الثانى توفى حسن جلى بن السفرجلانى ، وكان من الصدور فى الشام . وبهذا النهار مات ثلاث مشايخ حرفة فى الشام : الشيخ عبد القادر شيخ الحلوانية ، وشيخ الحلافين الأسطة محمد البوشى ، وشيخ القواقجية الأسطة محمد . وفى يوم الخميس ثالث جمادى الثانية نزل برد بدمشق ، وزنت واحدة فجاءت سبعون درهما .

وهذه السنة كثيرة الأمطار والخيرات والبركات ، وقد نبتت حبة الحنطة اثنين وعشرين قصلة سائلة ، حتى نقل لى بعضهم أن حبة قمح نبتت فوق سطح بيته ، فوجدوها بعد شتلها اثنين وعشرين قصلة أى سائلة ، ومع ذلك فكل شىء غالى : فرطل السمن بأيام كثرته عشرة أواق بقرش ، والدبس ثلاث أرطال بقرش ، والبصل خمسة أرطال بقرش . وكل شىء على أسعار ما قدمناه ، والحكم لله .

(١) ترجم له المرادى فى سلك الدرر [ج ٣ ص ٢١٣ - ٢١٥] . ولكنه ذكر تاريخ وفاته سنة ١١٦٣ لا ١١٦٥ الى ذكرها البدرى هنا . وقد اشتغل بالتدريس وعرف بالصلاح والتقوى حتى أن أهل الشام اختاروه هو وزميل له يدعى الشيخ عبد الرحمن الكفرسوسى ليحملوا إليهم ماء السممر ليقاوموا بطيره الجراد ، إذ كانوا يعتقدون من شرطه أن يكون حامله من أهل الصلاح . [انظر فيما سبق ص ٧٣ ، ٨٩ ، ٩٠] .

وفي هذه المدة عمرَ حضرة الحاج أسعد باشا بن العظم والى الشام طريق الميدان من باب المصلى إلى باب الله ، ولم يظلم أحداً بذلك ولا أخذ من أحد شيئاً .

وفي أوائل شهر رجب قدم الأمير ابن الظاهر عمر حاكم طبريا وعكة ، فتلقاه حضرة أسعد باشا بواسطة موسى كيخية^(١) وخلع عليه وأكرمه وطيب خاطره من جهة أبيه ، لأنه كان بينه وبين أبيه الظاهر عمر أمور ، فأصلح الباشا بينهما^(٢) .

وفي تلك الأيام عمرَ خليل أفندى البكرى القاضى المتقدم ذكره المأذنة التى فوق المارستان . وبهذه الأيام جاء قبحى^(٣) من الدولة العلية بطلب السيد محمد أفندى المرادى^(٤) ليمثل بين يدى حضرة السلطان الأعظم ، وأن يُجلب مكرماً ، وأن يعطيه أربعين كيساً . فأعطى المبلغ المذكور وحمل بتخت روام^(٥) ، وقدمت له أعيان الشام

(١) هذا مما يثبت خطأ ما ذكره البديرى عن وفاة موسى كيخية فى حوادث السنة السابقة .

(٢) تحدث صاحب سيرة ظاهر العمر عن النزاع بين ظاهر من ناحية وأخيه سعد وأكبر أبنائه عثمان من ناحية أخرى ، ولكنه لم يشر إلى وساطة أسعد باشا العظم [الصباغ ص ٦٧ وما بعدها] .

(٣) قبحى : فى النسخة التيمورية .

(٤) هو جد المؤرخ المعروف محمد خليل المرادى صاحب «سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر» . كان من كبار العلماء والمتصوفة ، وقد بلغ من زهده أنه نزل عن =

(٥) تختروان .

وأكبرها الهدايا العظام من الدواب والأموال والملابس الفاخرة ،
وخرجت إلى وداعه الأعيان مع حضرة والى الشام الحاج أسعد
باشا العظم ، وكان خروجه من دمشق نهار الاثنين تاسع رجب
الفرد من هذه السنة .

وبهذه الأيام توفى أحمد أفندى ديوان أفندى^(١) الباشا ، وهو الذى
عمر القصر فى حائط الاحدية فى سوق الأروام ، فمات عن غير ولد
ولا وارث . قيل بلغت تركته سبعمائة كيس أكثرها من النقود الذهب ،
فأخذهم حضرة الباشا ، والله يفعل ما يشاء . وفى تلك الأيام تعطلت مياه
نحارة الشاغور ، ففرض على أصحابها أموال كثيرة ، فاشتكوا لحضرة
أسعد باشا والى الشام حفظه الله ، فأمر أن لا يأخذوا من أحد [٤٠]
شيئا ، بل أمر أن يدفع من خزنته خمسة عشر مائة غرش لعمل الماء
ولإجراء السيل .

قال المؤرخ البديرى عفى الله تعالى عنه : خرجت لزيارة السيدة
زينب ومعى ولدى مصطفى ، نتلو كلام الله فى طريقنا ، إلى أن وصلنا إلى الست
ودخلنا مزارها ، وتفرجنا على العمارة التى عمرها الحاج أسعد باشا العظم

= الثروة التى ورثها عن أبيه وتفرغ للمعاشرة ولبس الحشن من الثياب ، وذاعت شهرته
حتى أرسل السلطان محمود فى طلبه وبالغ فى إكرامه ، حتى عهد إليه بأن يحج نيابة
عنه . وقد توفى بدمشق فى ١١٦٩ (١٧٥٥ - ٥٦) [سلك الدرر ج ٤ ص ١١٤
- ١١٦] .

(١) ديوان أفندى أى أفندى الديوان ، وهو كبير أفنديته أى كتابه .

بها في هذه السنة ، فعمل بها داخل الحرم قصرين وإيوان ومشارق ومنافع ، وغير ذلك مما خلده الذكر بها ، ووجدنا حضرة ابن عم الباشا مصطفى بك حفظه الله قد زخرف حيطانها وسقوفها وحسن بنائها ، وشرع في عمارة الحمام في هذا العام ونحن هناك . فجزاها الله تعالى على هذا العمل الخيري أحسن الجزاء ، آمين .

وفي أول ليلة شهر شعبان سافر حضرة الحاج أسعد باشا إلى الدورة . وثاني ليلة من سفره قُتلت امرأة في أول الليل بين حارة السويقة وحارة قبر عائكة ولم يتحقق قاتلها . وقد ثبت رمضان الخنيس ، ونائب السياسة^(١) موسى كيخية ، وقاضي البلد خليل أفندي البكري ، وأسعار الخبز وغيره كما ترى : فرطل الخبز بثلاث مصرية وأربعة وبخمس ، وغرارة القمح يائني عشر قرش ، ورطل اللحم بعشرين مصرية ، ورطل الرز بعشرة مصرية ، والسمن الاوقية بأربع مصرية ونصف في أيام موسمه . والدبس ثلاث أرطال وثلاث بقرش ، والوقية بمصرية وقطعة ، ورطل البصل بثمانية مصرية ، والثوم بستة مصرية ، والخطاب الرطل بمصرية ، والسنديان قطاره بمائة مصرية وعشرة مصرية . ولا أحد يسأل ولا كبير يتكلم ، والفساد كثير والمولى خبير .

(١) يقصد نائب الباشا أو وكيله . وقد سبق للبديري أن ذكر خطأ — وفاة

موسى كيخية .

وبهذا الشهر في جامع الأموى جلس رجل يعدّ ذهباً معه ، فجاء رجل وخطفهم أمام مئات ^(١) من الناس ، وأسرع في الجرى ، فصاح صاحبهم ، فأدركه بعض أعوان السياسة ، فأعطاه شيئاً من الذهب فتركه . وبهذا الشهر أيضاً رجل حمل ولده وعلى رأسه شئ من الدنانير ، فنبهه لص حتى دخل حامل الولد زقاقاً ، فخطف الدنانير والطاقيّة وذهب . وفي ليلة السبت عاشر رمضان بعد ما سكر بواب حرم الأموى الأبواب نام ، فجاء المؤذنون وطرقوا باب الجامع ، فقام ليفتح لهم فوجد ثيابه مفقودة ، فأهلبهم بذلك ، فدخلوا وسكروا وقتلوا الحرم جميعه ، فلم يجدوا أحداً ، والأغرب أن جميع الأبواب مسكّرة . ثم ذهبوا لجمّة الضريح ، فوجدوا ثمانية قناديل من فضة مفقودة وقنديل واحد من ذهب ، ولم يعلم لهم غريم .

وفي سابع [٤٠ ب] رمضان المبارك جاء ركب الصرة أمينى من إصطنبول . وفي يوم الخميس في نصف رمضان دخل حضرة الوزير أسعد باشا إلى الشام حين كان غالباً في الدورة ، وهو والحمد لله في غاية الصحة والسلامة . وفي يوم السبت سابع عشر رمضان جاءت البلطجية ^(٢) من إسلامبول ومعها اثنان وعشرون تحت أروام ^(٣)

(١) مائة : في النسخة الظاهرية .

(٢) أى الرسل .

(٣) في النسخة التيمورية : تحت روام وهى التى يطلق عليها تختروان .

ومعها أيضاً ابن الوزير الأعظم المنفصل عن الوزارة في هذه السنة
ومعه الملائكة وطواشي كبير ، وأخبروا أن الدولة العلية متضعضة .

وفي يوم الجمعة كان عيد الفطر ، وصار في ذلك اليوم هزة
عظيمة ، وهي فتنة صارت بين المغاربة وأولاد الشاغور ، وسكنت
ولله الحمد من غير قتل أحد . ونهار الاثنين رابع عيد الفطر غرق
شاب في نقب الربوة وما ظهر له أثر . وفي ليلة الخميس خامس^(١)
شوال قُتل إبراهيم آغا (بن قوسر)^(٢) ، قُوس في داره التي في قبر
عائكة ، ولم يُعلم قاتله .

ونهار الأحد سابع عشر شوال رحل أسعد باشا العظم حفظه
الله بموكب المحمل الشريف . وكانت السنة العاشرة من حجاته
المتواليات بالركب الشامى أميراً ولد دمشق الشام وزيراً . وبذلك اليوم
[جاء] الركب الحلبي ، وقبله بيومين جاءت قافلة العجم ، وهي قليلة
بالنسبة للعام الذي قبله ، وقد نزلوا في الخراب والسويقة . وفي تاسع
عشر شوال سار ركب الحج الشامى من دمشق بالسلامة قاصداً بيت
الله الحرام . وبعد أيام نادى حضرة محمد آغا المتسلم على اللحم الرطل
بثمانية عشر مصرية ، وسمّر^(٣) جماعة من اللحامة ، ولم يقبل رشوة

(١) في النسخة التيمورية : سابع .

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة الظاهرية .

(٣) المقصود بالتسمير دق بمض أعضاء المذنب في لوح من خشب بواسطة
مسامير غلاظ ؛ وقد يطاف به على هذه الصورة ليستهز به في المدينة .

ولا برطيلًا، وعدل في حكمه وفقه الله تعالى ، حتى صارت الفقراء تدعو له جهاراً . وبعد مدة سمر جميع البضائع وشدّ ، وصار يأخذ بيد كل من يشتكي له ، جزاه الله خيراً . وفي ذلك العام خزن الفهم ، ففتش المتسلم وسمر ، فلم يفد ذلك شيئاً ، ولم يصل أحد للفهم إلا من كان قوياً مثل القبةولى والدالاقى ، ولم يجد المتسلم له بهذا الخصوص مساعداً [كذا] .

سنة ١١٦٦

ثم دخلت سنة ستة وستين وماء وألف^(١) بنهار الثلاثاء أو الأربعاء جعلها الله سنة خير وبركة ورحمة علينا وعلى خاق الله أجمعين .

وفي غرتها أى غرة محرم دخل قاضيا للشام من أبناء الترك واسمه [صالح ملا]^(٢) فبزل فى دار على آغا ابن الترجمان قريبا من باب القاعة وبطل الحكم من المحكمة القديمة المسماة بالكبرى .

وفي تلك الايام وقع برج باب القلعة وأخذ البدن كله من بابها ، وهكذا [١٤١] إلى آخر البرج من جهة القبلة ، ولم يُقتل سوى رجل من القلعة . وفي تلك الايام نزلت مطر كأفواه القرب ثلاثة أيام

(١) يوافق أولها ٨ نوفمبر (تشرين ثان) ١٧٥٢ .

(٢) الاسم ساقط من نسختي الظاهرية واليمنية . وهو صالح ملا وسيدكره البديرى فى مشهل السنة التالية عند عزله .

متوالية ، أذهبت غالب مساطيح الزيبب وأتلفت البيادر . وبهذه الأيام في العشر الأول من المحرم شنع متسلم الشام ثلاثة أشخاص من اللصوص في شجرة الدلية^(١) التي في المرجة أمام باب التكية .

في منتصف محرم جاءت بشارة لدمشق : وهي مقرر لحضرة الحاج أسعد باشا والى الشام . وفي ليلة الاثنين ليلة عشرين من المحرم شنع المتسلم لصا في السويقة وقطع يدا رجل نشال . وفي سابع محرم جاء كتاب الجواتدار ، وأخبر أن الحج في هذه السنة ذهب وآب من طريق الفرعى ، وخرجت عليهم عرب وقضوا مشقة عظيمة ، وصارت مئة مئة جسيمة ، ووقع نقص بالحاج وبالعسكر خصوصاً في المغاربة .

ومات ملك السنة قبوجى لر أغاصى وشيخ الزبدانى ، وشنع الباشا السيد حسن شيخ شباب باب المصلى ، وقتل أيضا جماعة من الأشقياء ، ودخل الحاج الشريف يوم الثلاثاء خامس صفر . ودخل أمير الحاج أسعد باشا بموكب المحمل يوم الأربعاء ، وفي منتصف ربيع الأول نبّه الحاكم على أن لا يروج الفلوس المكسور منهم والرصاص . وثانى يوم نادى المنادى هلى الفلوس الصحيحة كل اثنى عشر بمصرية بعدما كانت كل أربعة وعشرين بمصرية ، (وأن لا يروج منها إلا القسطنطينى ، فحصل للناس ضيق عظيم ، وسكرت غالب البلد ، ثم نادى منادى

(١) الدالية كرمة العنب .

الحاكم كل أربعة وعشرين بمصرية^(١) وأرجعهم على حالتهم الأولى .
ولكن لله الحمد والمنة ، الناس في أمن وأمان ورخص ورخاء في جميع
البضائع ما عدا اللحم ، فإن رطله بثمانية وعشرين مصرية ، وأما غيره
فرطل الخبز بثلاثة مصارى وبمصريتين ونصف ، وغرارة القمح
بخمسة عشر قرشاً أو أقل . وعلى هذا فالحمد لله فليقس .

وفي ثالث ربيع الثاني توفي العبد الصالح الشيخ مصطفى الكردي
من أبناء الترك والأغوان^(٢) ، فيتكلم بالتركي والكردى والأغوانى ،
وكان هلى صلاح عجيب ، وكان دائماً متسلحاً بالسلاح الكامل متقلداً
به ليلاً ونهاراً ، ولا ينام إلا متقلداً به ، وإذا دخل الحمام دخل بالعدة
الكاملة ، وكان قليل الكلام لا يتكلم مع أحد ، وفي بعض الأوقات
يتكلم ويسبب بالتركي ، ويوم وفاته صار له مشهد عظيم ، ودفن بمرج
الدحاح ، رحمه الله تعالى .

وفي تلك الأيام من هذه السنة [٤١ ب] شرع حضرة أسعد باشا
في عمارة القيسارية التى فى البزورية التى عزّ نظيرها فى الدنيا ، وذلك
بعدما هدم قيسارين ودور ودكاكين وجعلها قيسارية واحدة بهذه
الصفة التى لا نظير لها ، وفى يوم الأربعاء تاسع ربيع الثانى وقع

(١) المبارات بين القوسين ماقطة من النسخة التيمورية . انظر فيما سبق

ص ١٤٩ .

(٢) كلمة عامية يقصد بها الأغفان .

حائط جامع الشيخ عارودك غربى الصالحية على إمام الجامع المذكور
وعلى ثلاثة أشخاص معه ، فاتوا جميعاً عنى الله عنهم . والعجب أن
هؤلاء الأربعة كل واحد منهم اسمه محمد ، وهو اتفاق عجيب ، ودفنوا
يوم واحد ، وفى سابع ربيع الثانى ربط غلام مراهق رسن فرس فى
زناره ، وجلس يتوضأ على نهر قرية القدم عند قبة العسالى ، فجفت
الفرس وصارت تعدو والغلام مربوط برسها ، وتكرّر وترفس الصبي
حتى وصلت إلى باب الله ، فسكوا الفرس فوجدوا الغلام قد تهمش
وتقطع ومات ، والغلام ابن أحمد^(١) بشه السحار القيباتى ، والفرس
لأبيه . فأعلموا حضرة أسعد باشا حفظه الله فأمر بدفنه ، ولم يلحق
بأحد ضرراً .

وفى تلك الأيام جاءت خزنة مصر وبقيت أياماً ثم سافرت ،
وفى تلك الأيام هبت اللصوص ضرايح الصحابة والأولياء ، ففى غرة
رجب قلعوا شباك سيدى بلال الحبشى ، وأخذوا حديدته وثوباً مقصباً
كان على تابوته وشذقتين من حرير وسجادتين وغير ذلك . وأخذوا
شباك الشيخ عبد الجبار بن سيدى عبد القادر الجيلانى ، مزاره غربى
باب الصغير ، وأخذ ثوب تابوت سيدى أبى بقبلى مقبرة الشيخ
رسلان .

وثانى رجب من هذه السنة توجه حضرة الوزير الحاج أسعد باشا
والى الشام يريد الغزو على عرب البلقا ، فأخذ معه من رجال القرى
وهم الفلاحون ألف ومائة فلاح ، واستجلب عساكر من حمص وحماة
والمعرة وجبل الدروز والمتاوله ومن نابلس والقدس وصفد ما عدا
عرب السردية وغيرها . وخرج بمال عظيم ، وسكرت تلك الأيام
الأسواق ومنعت النساء من الخروج وعظمت الأمور . ثم فى أثناء
هذا الشهر وردت الأخبار بأن حضرة الباشا سار بالعسكر إلى فوق
البلقا ، ودخل بمكان يقال له الوكر ، وهزم ابن هدوان هو وهربه
ونهبهم [كذا] العسكر عن بكرة أبيهم . وذهب الباشا إلى الدورة
من هناك . وبهذه السنة ثبت رمضان بالرؤيا ، فُصِّمنا الاثنين . وفى
ليلة العاشر من رمضان جاء الباشا من [١٤٢] الدورة ، وجاء العسكر
مع الكيخية بعد يومين . وفى هذا الشهر فقد حامى غريب فى خان
الحرمين بباب البريد ، فاتهموا به رجل من أبناء الترك غلينجى ،
فقبضوه وعذبوه وأخذوا ماله وأطلقوه ، وبهذا الشهر ظهر قتلى كثيرة
من رجال ونساء ولم يسئل عنهم . وكل شىء موجود والغلاء يلعب
فى جميع البضائع ، وقد شحنت الشام من سائر أصناف الخلق ،
وامتلأت غالب المواضع ، وكان عيد الفطر يوم الأربعاء .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشر شوال خرج المحمل الشريف بالموكب
المنيف وبالأمر الخطير الحاج أسعد باشا . وكانت الحججة الحادية عشر

من حجّاته المتواليات . وفي تلك الأيام جاء طوخان إلى مصطفى بك ابن إسماعيل باشا العظم أخى أسعد باشا ، وأن يكون محافظاً للجرده مع أخيه سعد الدين باشا أميرين^(١) في سفر الجرده . وقبل خروجهم بيوم قامت قبقول دمشق قاطبةً بالأسلحة ، وعملوا جمهوراً ، وقامت التيق على الأرتلية^(٢) . وهذه الفتنة بسبب رجل صار قبولى فما قبلوه ولا ارتضوه ، وسكّرت الأسواق واشتغل ضرب الرصاص وجرحوا بعضهم بعضاً ، وما صالح الأمر إلا بتبطل الرجل من الوجاق ، وُزل الأضباشى (والأصطا . وكان عيد الأضحى هذه السنة يوم الأحد . وطاعت أخبار في تلك الأيام)^(٣) بتغيير السلطان ومجى أحمد باشا بن القلطقجى^(٤) ، فارتبكت وانخبطت القبقول ، ثم بان بأن الأمر كذب لا أصل له ، وحرقوا الخشبة وداروا في الأسواق [كذا] . وفي يوم الجمعة والناس في صلاتها سلخ ذى الحجة كسفت الشمس .

وفي تلك الأيام جاء خبر بأن محمد باشا حاكم صيدا

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة التيمورية .

(٢) فرقان من الجند المرتزة . وقد شرح جبّ و بون vol. I. part I. p.192 أن التيق Yamak هم أصحاب الحرف الذين يلتحقون بالعسكرية ويساعدون الجند الانكشارية في حراسة الحدود .

(٣) ما بين القومين ساقط من النسخة الظاهرية .

(٤) سبق ذكر الفتنة التي قام بها أحمد باشا القلطقجى وخروجه من الشام . انظر فيما سبق ص ٦٧ ، ٨٠ ، ٦٩ ، ١١٦ .

مات ، وكان على ما نقلوا أنه ظالم غاشم مصادر الناس بأموالها ،
حتى هرب أهل صيدا إلى جميع البلاد .

سنة ١١٦٧

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة وألف يوم السبت^(١)
وبهذا اليوم سافر قاضي الشام صالح منلا^(٢) طالباً لإسلامبول .
وفي سابع المحرم قدم القاضي الجديد ، ونزل في محكمة النورية
المسماة بمحكمة الباب^(٣) . وفي ثامن عشر قتل أحمد آغا بن سنان
في باب المصلا ، وهو من قرية قريبة من قطنا .

وفي ليلة الجمعة عشرين من المحرم توفي بقية العلماء الأعلام
مفتي السادة الشافعية وأفصح من نطق بالعربية الشيخ محمد أفندي
الغزّي^(٤) ، ودفن بمرج الدحداح ، رحمة الله عليه [٤٢ ب] وعلى
أموات المسلمين .

(١) أولها يوافق ٢٩ أكتوبر (تشرين أول) ١٧٥٣ .

(٢) ملا : في النسخة الظاهرية .

(٣) سميت محكمة الباب لأنها كانت قرية من باب القلعة ، وبزول القاضي بها
في العام الماضي بطل الحكم في المحكمة القديمة المسماة بالكبرى [انظر فيما سبق
ص ١٧٢] .

(٤) ترجم له المرادي (ج ٤ ص ٥٣ — ٥٨) وأشاد بمكانته في التاريخ
والآداب ، وذكر أنه اشتغل بالتدريس والإفتاء على مذهب الشافعي ، وألف تاريخاً
سماه (ديوان الإسلام) وله شعر عذب .

ونهار الثلاثاء رابع وعشرين المحرم قدم جو قدابو الحج الشريف
مبشرا بكل خير هيم . وفي أثناء هذه الأيام جاء مقرر الشام
لحضرة الحاج أسعد باشا وإلى الشام .

وفي يوم الجمعة خامس صفر الخير دخل ركب الحاج الشامي
بالصحة والسلامة أحسن من كل عام ، وأخبرت الحجاج أنهم لم
يحبجوا نظيرها من الرخاء الكثير والماء الغزير والأمن والأمان ،
ولم ينقص من الحجاج إلا الأفراد النادرة ، وأن أمير الحاج
خوزق أربع لصوص من أولاد الشام ، وتوفى معهم تربذار^(١) ،
ومتولى [جامع] السلطان إبراهيم بن أدهم . وثاني يوم السبت دخل
المحمل الشريف والموكب المنيف بالكواخي والبشاوات ، فكان أولهم
مصطفى باشا ابن إسماعيل باشا العظم أخو الحاج أسعد باشا ، وبعده
أخوه سعد الدين باشا العظم ، وبعده أخوهما الوزير الكبير الحاج
أسعد باشا في ألاى حافل وعسكر [و] جحافل . وثالث يوم دخلت
خزنة مصر ، وكانت بثمانية أحمال ، فتفرجت الناس ثلاث فرج
بثلاثة أيام متابعات : يوم دخول الحج ويوم دخول المحمل ويوم
دخول خزنة مصر .

وفي ذلك العام من شهر محرم الحرام تمت قيسارية أسعد باشا

(١) هو المنصرف على (التربة) أو الضريح .

والى الشام الذى لم يعمل مثلها فى سائر بلاد الإسلام ، وقد تمَّ بناؤها بعد سنة وشهرين . قال المؤرخ : وقد بلغت أنه صرف عليها فى كل يوم من الآلات والأجر ألف ومائة غرش ، ولكن كما قال الفائل : جزى الله الوسعة كل خير .

وفى ليلة الخميس تاسع عشر صفر الخير لثلاث أيام مضت من كانون الأول^(١) ثالث ساعة من الليل صارت زلزلة خفيفة فى دمشق وقع بسببها بعض أمان فى سراية الحكم على جماعة ، فقتل رجل مسلم ورجل نصرانى . وكان ذلك الشهر مطره غزير جداً يعقبه إن شاء الله تعالى خير كثير . وتوفى بهذا الشهر الشيخ محمد بن أحمد ابن سوار شيخ المحيا^(٢) والشيخ خليل بن البكرى [فى ؟] داره بباب توما وأعملوا له فى الأموى . وفى ثامن عشر شهر صفر يوم الجمعة بعد العصر توفى لرحمة الله تعالى الشيخ أحمد الجلبى إمام جامع السنانة للسادة الشافعية . قال المؤرخ : كان هذا الإمام إماماً فى كل فن ، صحوك السن فاضلاً مباركاً قاطناً فى جامع العداس عند الملاء إلیاس^(٣) قدس سره ، [١٤٣] لا يفارق الملاء ليلاً ولا نهاراً ، ودفن بباب الصغير قريباً من الملاء إلیاس ، رحمه الله تعالى -

(١) شهر ديسمبر .

(٢) (المحيا) ذكر خاص يقام^٢ فى مشهد الحسين بالمسجد الأموى بدمشق فى شهر رمضان من كل عام ، وله وقف خاص تتوارثه أسرة معينة .

(٣) انظر فيما سبق ص ١٣٥ .

وفي تلك الأيام أيضا توفي الشيخ يحيى بن محاسن رحمه الله . وفي
نهار الاثنين الثاني والعشرين من شهر صفر تشاجر سعد الدين
المغربى خدام في بيت الخاتم بنت سليمان باشا مع رجل من نفر الأربعة ،
فضرب الأربعة فقتله ، وجرح طواشي الخاتم بعدما جرحه المغربى
جرحين . فحين بايع حضرة الوزير أسعد باشا أمر بقتله حالا ،
فخنقوه في تلك الأيام من غير إثبات ولا دعوى .

وفي منتصف مربعية الشتاء^(١) وقعت صخرة بنهر القنوات ،
ووقعها كان تجاه وادى كيوان ، سدّت النهر وانقطع ثلاثة أيام
بليالها ، فأخرجوا الصخرة قطعاً قطعاً ، فوجدوها قبراً قديماً من
قبور الحكماء .

وفي شهر ربيع [كذا] أعاد الباشا السردرة^(٢) على البلاد ،
فصاروا يسكنون من عرب الجبل ويقتلون ويأتون برؤسهم إلى
الشام . وفي شهر جمادى [كذا] جدّد حضرة أسعد باشا الجامع
الذى هو قدام قهوة الخريزاتية وحسنه هيئة وفرشاً وعمّر بعض
ذلكا كنه قنايا ماء قريبا من بيت السفرجلانى .

وفي أواخر رجب جاء مقرر لسنة ثمانية وستين ، وهو عن ثلاثة

(١) تمير يطلقه السوريون على الأربعين يوماً الأولى من فصل الشتاء وفيها
يشد البرد .

(٢) السردرة من سردار ، وهو قائم الجند

عشر سنة من حكمه ، حفظه الله أمير الشام وأمير حاج الإسلام .
وقد عدل في الخاص والعام ، وأحسن للعلماء والفقراء والأيتام .
بلا ظلم ولا عدوان ، وعمر أماكن كثيرة داخل المدينة وخارجها .
ومدارس وجوامع وغير ذلك من وجوه الخير والصدقات ، جزاه
الله خيرا .

وفي يوم الاثنين خامس رجب خرج حضرة أسعد باشا إلى
الدورة ، وترك موسى كينيه متسلما بها . وكان نصف شعبان المبارك
يوم الخميس ، وثبت أول رمضان نهار السبت . والأسعار ناهضة
جدا : فرطل اللحم بأربعة وعشرين مصرية ، ورطل الجبن بأربعة
وبخمسة مصرية ، ورطل الأرز بعشرة مصرية ، ورطل الكعك
بأثنى عشر مصرية ، ورطل الدبس بخمسة عشر مصرية ، وأوقية
السمن بستة مصرية في أيام الموسم . وأوقية الزيت بثلاث مصرية
ونصف ، وكذلك الصابون ، وأوقية الجبن الأخضر بمصريتين ، وأوقية
القرينة^(١) بثلاثة مصرية ، ورطل المشمش [٤٣ ب] الحموى بستة
مصرية مع أنه مقبل كثير ، والمشمش البلدى رطاله بثلاثة مصرية
ونصف مع إقباله . وحاصله كل شيء غالى حتى العلق التى تستعمله
الناس لإخراج الدم^(٢) ، والقصرمل الذى يخرج من وقيد الحمام ،
والأمر لله .

(١) نوع من الجبن يصنعه أهل دمشق .

(٢) كان البغبرى — وهو حلاق — يهيمه سعر العلق .

وفي ثاني عشر شوال سار حضرة الوزير الحياج أسعد باشا مع المحمل في الموكب العظيم للحج الشريف . وكانت هذه السنة هي الثالثة عشر من حججه المتواليات وإمارته التي لم تسبق لغيره . وبهذه السنة مروا على وادي الليمون في الطلعة ، وكانت وقفهم الجمعة ، ورجعوا من الطريق السلطاني . وفي خامس وعشرين من المحرم دخل جو قدار الحج وبشر بالخير . وفي خامس صفر دخل الحج الشريف وهو على أحسن حال .

وفي هذه الأيام توفي رجل من البله المجاذيب ، وكان بطلا من الأبطال تعتقده أهل الشام ويكشف بكلامه ، ويقع كما يقول واسمه الشيخ خليل البياض^(١) . وخرج بجنازته أكبر الشام حتى حاكمها المسلم موسى كيخية ومشى وراءها ، رحمه الله .

سنة ١١٦٨

ثم دخلت سنة ثمانية وستين ومائة وألف . وكان غرة محرم^(٢) نهار الاثنين المبارك ، جعلها الله سنة خير وبركة علينا وعلى سائر المسلمين .

ونهار الجمعة ، سلخ صفر قدم قبحي من إسلامبول ، وأخبر

(١) راجع ترجمته في سلك الدرر للرازي ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) يوافق ١٨ أكتوبر (تشرين أول) ١٧٥٤

بوفاة حضرة السلطان محمود خان^(١) يوم الجمعة ، والناس في الصلاة وجلس أخوه مكانه ، وهو السلطان عثمان خان^(٢) ، والخطبة باسمه . فانهزت الشام البلدة من هذا الخبر ، وبقيت الناس مترددة في الاستقرار ، إلى أن كان نهار الخميس عاشر ربيع الثاني جاء قبجي كبير من دار السلطنة ومعه منشور عظيم بأن صاحب الخطبة في سائر بلاد الإسلام السلطان عثمان خان ، وأمر أن تزين دمشق ثلاثة أيام ، فزينت زينة ما سمع بمنزلها ، أبقى الله تعالى هذه الدولة العثمانية إلى آخر الدوران . آمين .

وبهذه السنة انتشر مرض الجدري في عموم الناس ، حتى في الشيوخ والعجائز ، ومات فيه كثير من الأولاد . وفي أوائل جمادى الأولى ذبح ييرقدار التفكجية في الخان الصغير الذي هو قبالة حمام الملكة ، ولم يعلم ذابحه ، ولم يؤخذ من ماله شيء . ووجد بهذه الأيام قتيل في النهر ، وقتيل في التربة وفي غير [١٤٤] ذلك أيضاً . نسأله تعالى حسن العاقبة .

وفي منتصف جمادى الأولى جاء تقرير إلى مصطفى باشا أخى سعد الدين باشا بن العظم إلى صيدا ، ولم يأت إلى أخيه أسعد باشا

(١) هو السلطان محمود الأول ، حكم من سنة ١٧٣٠ إلى ١٧٥٤ .

(٢) هو السلطان عثمان الثالث ، حكم من سنة ١٧٥٤ إلى ١٧٥٧ .

خبر شافى من جهة حكم الشام ، وقد طال عليه المطال^(١) . والفلا ،
فى كل شىء حتى فى التراب والقصرمل والأحجار والحديد
والخشب ، وغير ذلك من أدوات العمارة ، وبالجهد المكلى حتى
يحصل الإنسان على معلم أونحار ، وأجر الواحد بدينار ولا يوجد ،
والكلس واللبن لا يوجدان وهلم جرا . فقد ضاقت الأنفاس
والأشياء زادت عن حد القياس ، والباشا ومن حوله يجمعون المال
فى الأكياس ، فنادى على اللحم فوجد ونادى على الصابون
فتبدد ، ونادى على الزيت ، وكان له أغراض وأمور وأحكام تفتت
المكبد ، والمستعان بالله الفرد الصمد^(٢) .

وفى تاسع عشر جمادى الأولى ظهر خبر^٣ بأن امرأة قتلت زوجها
مع جماعة من الأتقياء ، بدعى أنه ينام مع مملوكه ولا ينام معها ،
وبعد قتله دفنوه فى دهايز البيت ، والقتيل ينتسب إلى الأكراد ، وله
قهوة بسوق الخيل ، واسمه درويش آغا ، فقامت الأكراد على ساقها
فى سوق الخيل ، فجاء ولد صغير كان حاضراً ومطالماً على قتله ودفنه ،
فدللهم على مقتله وداره ، فذهبوا وألقوا القبض على الجميع ، فوجدوا

(١) يلاحظ أن المؤلف ذكر فى حوادث السنة السابقة أنه فى شهر رجب
جاء أسعد باشا التقرير بولاية الشام لعام ١١٦٨ .

(٢) لاحظ أن البدرى فى العام السابق قد أشاد بمدل أسعد باشا وإحسانه
للفقراء والعلماء « بلا ظلم ولا عدوان » ودعاه بطول البقاء ! فهل كان لتأخر
وصول فرمان التقرير بالولاية أثر فى تحول البدرى ؟

طبعى الباشا خليل آغا وأخو الزوجة ورجل آخر ، فجأؤا إلى الطبعى
وقطعوه قطعاً ، وقتلوا الرجل وأخا الزوجة ، أما المرأة فإنهم أخذوها
وغرقوها فى مغرق البحصا فى نهر بردى ، ولم يسألوا عن الحاكم ،
والحاكم لم يتعرض لهم ففسأله تعالى الفرج القريب .

وفى تلك الأيام شرع حضرة أسعد باشا وإلى الشام بترميم الجامع
الأموى ، حتى بلغنى أنه أشتري طنائساً أى فرشاً بأربعة أكياس .
جزاه الله خيراً .

وفى تاسع جمادى الأولى من نهار الثلاثاء نزل مطر عظيم
وتلج جسيم ، فزادت المياه حتى طاف نهر بردى ، ووصلت الزيادة
إلى تحت القلعة ، ومشت إلى حارة العمارة ، لكن والله الحمد
لم تضر بأحد ولا بالبنان .

وبتلك الأيام صارت فن بين عرب الشام وعرب عزة ،
وهزمت عرب الشام وعرب عزة [كذا] . وفى شهر رجب
أرسل أسعد باشا وإلى الشام عسكرياً لعرب الفضل ، فهبوا ما لهم
[٤٤ ب] وطرشهم وبعض عيالهم . وفى تلك الأيام شق الباشا
رجلاً جمالاً من حارة البحصة ، قيل أنه خنق رجلاً من جيرانه .

وفى منتصف شهر رجب جاء مقرر حضرة أسعد باشا وإلى

الشام ، وكانت السنة الثالثة عشرة من حكمه وإمارته للحج^(١) .
وبهذا الشهر خرج حضرة والى الشام المذكور إلى الدورة ، وجعل
مكانه متسلماً موسى كيجية لدمشق الشام . وثبت هلال رمضان هذه السنة
ليلة الثلاثاء ، وشعلت القناديل في المآذن ، وصلوا التراويح قبل أن
يضرّبوا المدافع ، وما ضربت إلا بعد ساعتين .

وفي هذه الأيام عزلت الحكومة الأمير حيدر بن حرفوش
عن بلد بعلبك ، فأبى الخروج منها وأمر جميع من فيها بالرحيل
وكل من أقام بعد ثلاثة أيام ينهب ماله وعباله . فرحلوا بعد ما حرق
بيوتهم وكرومهم وطفشوا إلى البلاد والقرايا ، وأقام بها هو عاصياً ،
ثم ضمن الأمير حسين بن حرفوش بعلبك ، ورجعت غالب أهل
بعلبك بلا أدنى حادث^(٢) .

سنة ١١٦٩

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة وألف^(٣) نهار الأحد

(١) سبق للبديري أن ذكر ذلك في حوادث رجب من السنة السابقة .

(٢) أشار إلى ذلك الأمير حيدر الشهابي مؤرخ الشهابيين (ج ١ ص ٣٨ —
٣٩) ، قال إن الأمير حيدر الحرفوش كان صنيعة لأسعد باشا العظم ققاتله خصمه
الأمير ملحم الشهابي وأزاحه عن بعلبك ونصب عليها أخاه الأمير حسين ، ويلاحظ
أن تاريخ الأمير حيدر الشهابي مضطرب بين الباشوات من آل العظم اضطراباً
كبيراً .

(٣) يوافق أولها ٧ أكتوبر (تشرين أول) ١٧٥٥ .

والغلاء قائم في الشام كما قدمنا . وجاء الجوقدار سابع وعشرين من المحرم ، والكتّاب جاء ثاني يوم من صفر ، وسادس يوم منه دخل الحج الشريف . وأخبرت الحجاج أن هذه السنة كانت مخصبة ودار بهم أمير الحج من غير الطريق السلطاني ، فحصل على الحج عطاش شديد ، حتى هلك في يوم واحد ألف وخمسمائة إنسان .

وفي سلخ ربيع الثاني جاء مقرر إلى الحاج أسعد باشا في الشام وهي السنة الرابعة عشر من حكمه الشام وإمارة الحج الشريف المتوالية التي لم تسبق لغيره . وتلك الليلة نزل ثلج عظيم في الشام مارؤى مثله من سنين .

وبتلك الأيام جاء قبيجي إلى حسين بك بن مكى حاكم غزة ومعه فرمان بأن يكون باشا بالقدس^(١) . ويعمر ماء القدس ، وأن يلمّ مال الدورة بأمر الدولة .

(١) كان جدّه أحد تجار غزة الأثرياء ، واتصل والده بخدمة وزراء الشام وأخذ غزة من الدولة إقطاعا له (بطريق المالكانه) ، ثم جعله أسعد باشا كتحدا له بدمشق وجعل ابنه حسين حاكما لغزة والرملة ، ثم أقامه أسعد باشا حاكما من قبله على القدس ، إذ كانت تابعة لولاية دمشق . حتى كانت سنة ١١٦٩ (١٧٥٥ - ٥٦) فعينه الدولة من قبلها حاكما على القدس مستقلا عن باشا الشام ، برتبة باشا بطوخين أي أمير أمراء أو بكاريكي . ولكن بعد قليل أعادت الدولة القدس إلى أسعد باشا . ثم رقى حسين باشا مكى إلى رتبة الوزارة (أي باشا بثلاثة أطواخ) وولاه الدولة على صيدا ثم على دمشق خلفا لأسعد باشا العظم .

وكان صوم رمضان هذه السنة نهار الاحد . وفي جمادى الأولى نزل ثلج عظيم بدمشق وأقام أياما وهدم أماكن كثيرة . وفي تلك الأيام جاء قبجى برجوع القدس إلى أسعد باشا وإلى الشام . وفي ذلك الشهر جاء خبر بأن عرب الحجاز محاصرين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولها نحو شهرين^(١) في المحاصرة ، حتى هدموا ما حولها [١٤٥] وقطعوا نخلها وضيقوا على أهلها ، وهم الآن في كرب وضيق ما سبق ولا سمع من عهد الجاهلية ، فبلغ هذا الحال الدولة العلية أيدها الله تعالى ، فأرسلت إلى حاكم الشام أسعد باشا العظم بأن يتأهب لقتالهم بالرجال والعسكر الجرار ، وإلى أخيه مصطفى باشا كذلك ، وإلى أخيه سعد الدين باشا كذلك ، وأن يكون حاكماً بجدة ، وأن يأخذ معه عساكر وأن يساعد أخويه .

وفي تلك السنة أمر حضرة الحاج أسعد باشا العظم بترميم وإصلاح جامع يابغا ، فعمل له وقفاً وجرايات بعد ما جدّد فيه أخاياه وغير ذلك ، وأمر أيضاً بإصلاح جامع الياغوشية الذي تحت القلعة . وكان قد وقع منه جدار على امرأة ورجال ، وألزم بعض أخصائه بتعميره من ماله لأنه ذو مال . وفي أول رجب تمت عمارة قهوة

= المرادى : ج ٢ ص ٦٠ — ٦٢ وميخائيل بريك الدمشقي : حوادث الشام ولبنان ص ٣٦ ، والبدري في حوادث السنة التالية .
(١) شهر : في النسخة التيمورية .

الشاغور التي هي مقابلة للشيخ السروجي رضى الله عنه . وبذلك
الأيام عُمِّرت أيضاً قهوتين [كذا] بباب السريجة وقهوة أمام
باب المصلى .

وفي نهار الجمعة من شعبان توفى مصطفى بيك بن مردم^(١) بيك ،
ونُظِّمَ ن أعيان الشام وذوى البيوت التي شهدت أهل الشام بصلاحه ،
لأنه كان يحب الخير ويعمله ، ولا يقارب الحكام وليس له أذية
لأحد ، ودفن بمدفنه عند جدّه لالا مصطفى باشا ، في أسفل سوق
السَّانِيَةِ .

ثم جاء رمضان المبارك وأثبتوه الأحد وصنّاه تماماً . وسار
الحج قاصدا الحجاز ثامن عشر من شهر شـوال . وفي ذلك اليوم
توفى عبد الله أفندى زاده قاضى الشام ، ودفن بجوار سيدى بلال
الحبشى رضى الله عنه . وبهذا النهار وجدوا صيدا مخنوقا في نهر
بردى ، وبعده ظهر أبوه أنه خوالجا في سوق السلاح . وفي يوم
الأحد ثالث الحجة دخل سعد الدين باشا والى طرابلس إلى سردارية
الجردة بعد ورود عزله من طرابلس . ونهار السبت كان نهار وقفة
عيد الأضحى بالشام . وفي سـلخ ذى الحجة نهار الجمعة توفى خطيب
الأموى محمد سعيد أفندى بن محاسن ودفن بباب الصغير .

سنة ١١٧٠

ثم دخلت سنة سبعين ومائة وألف نهار السبت^(١) في طالع يمن وفرح وسرور إن شاء الله . ولكن الغلاء واقع في البضائع وغيرها كما أسلفنا ، فلا عود ولا إعادة .

وبهذه الأيام انفصل مصطفى باشا أخو أسعد باشا العظم من صيدا ، ووُجّهت [٤٥ ب] عليه ولاية أذنة . وبذلك الأيام صار انقطاع نهر القنوات بعد عيد الزبيب^(٢) . وينصف محرّم جاء من إسلامبول قاضي الشام محمد أفندى . وبهذه الأيام سمّروا خبازاً بباب الجاية .

وفي سابع وعشرين محرّم دخل جوquدار الحج الدالى على باش ومعه جماعة ، وبشّر بالخير وأن حضرة الباشا والحجاج سالمين . وفي يوم الثلاثاء جاء كتاب حماة وحلب ، ويوم الأربعاء جاء نصرانى فى بعض مكاتيب ، وأخبر أن كتاب الشام جرحوه العرب . وبذلك الأيام أتت السماء بمطار كأفواه القرب ، حتى ظنت الناس أن الحج قد غرق ، وكان بمنزلة الصنمين^(٣) . وقد تأخر دخول الحج عن ميعاده

(١) يوافق أولها ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٧٥٦ .

(٢) هو عيد الصليب عند المسيحيين ويقع فى أوائل الحريف (٢٧ أيلول أو سبتمبر) .

(٣) محلة فى طريق الحج .

نحو جمعة . ونهار الثلاثاء ثانى عشر صفر دخل الحج الشريف ، وثانى يوم دخل أمير الحاج وحاكم الشام الحاج أسعد باشا العظم فى موكب الحج والمحمل الشريف . وهذه السنة الرابعة عشر كما قدمنا من سنين حججه المتواليات التى ما عُدَّت لغيره . أدام الله أيام وجوده آمين .

وبهذه السنة أصلح حضرة أسعد باشا بين أهل المدينة الشريفة وبين العرب الذين حاصروها ، وذلك بعد ما أعطاهم نحو مائة كيس من المال ، فشكرته جميع الحجاج على هذا الصنيع ، جزاه الله تعالى كل خير آمين . وبهذه السنة صار أيضاً نقص فى الجمال والناس . فقد نقلوا أنه مات فى محطة آبار الغم أكثر من ألف وسبعمئة نفس فى يوم واحد من اشتداد الشوب وهو الحر الشديد . وفى قناق^(١) آخر سبعمئة نفس ، ماعد الذين ماتوا شيئاً فشيئاً . وبهذه الأيام حصلت حميرة^(٢) فى الأولاد فى دمشق الشام ، فمات منهم كثير . وفى يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول أهدى حضرة السلطان إلى حضرة الأمير الحاج أسعد باشا مع قبجى باشى قفطان وسيف عظيم مع فرمان عظيم فيه تفخيم كثير لحضرة الوزير المشار إليه .

وفى ليلة الجمعة توفى شيخنا الشيخ إبراهيم الجبائى السعدى الشاغورى شيخ سجادة الطريقة السعدية ومتولى جامع الأموى^(٣)

(١) القناق كلمة تركية تعنى المرحلة وسير اليوم ، وهى هنا بمعنى المنزل ينزله المسافر .

(٢) مرض كالحمية .

(٣) متولى الجامع ناظر أوقافه . وقد سبق ذكر الشيخ الجبائى والطريقة السعدية . انظر ص ٩١ وغيرها .

وقد سار للإسلامبول ، واجتمع بثلاثة سلاطين : السلطان أحمد والسلطان محمود والسلطان عثمان . وصار له خيرٌ وإنعام ، بعد ما ظهر له سرُّ وبرهانه ، وخاف كثيراً من الخلفاء في الروم ومصر وحب والشام ، وبلغ جاهاً عظيماً مع تواضع كلِّ بحيث يجلس بالقهاوى [١٤٦] ويسلم على الكبير والصغير ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً ، ودُفن عند جده الشيخ حسن الجبازي رحمه الله .

وفي سلخ ربيع الأول من هذه السنة وهى سنة سبعين ومائة وألف مات قاضى الشام ودُفن بباب الصغير ، وصار له مشهدٌ عظيم .

وفي سابع يوم مضى من تشرين الثانى ^(١) هطلت أمطار كثيرة وأعقبها برد شديد وهواء يابس ، حتى يبست المياه في البرك والبحرات ^(٢) ويبست الشجر وتشقق الصخر ، واستمرت نحو بضع وعشرين يوماً ، (ويبس الليمون والكباد والنارنج وغيرهم من الأشجار واستمرت بضماً وعشرين يوماً) ^(٣) ، حتى تجمدها في الطرقات كالصخور ، ومات كثير من الوحوش والكلاب والطيور . وبلغنى أن شخصاً كان له دجاج ، فبيوم واحد مات له اثنين وعشرين دجاجة

(١) وهو شهر نوفمبر .

(٢) جمع بحرة وتطلق في الشام على ما نسميه (نفقة) أو نافورة .

(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة التيمورية .

مع المحافظة عليهم . وأما في البرارى فلا تسل عما صنع الجليد والبرد
فيهم ، فقد مات كثير من الطرش والغنم . ومات من أولاد العرب
ونسائهم خلق كثير . وبلغنى أن نواعير حماة وقفت والطواحين أيضا
والأنسواق سكّرت . فالحاصل سقعة مهولة وزمينة مزعجة وجليد
مهول ، ما تُسمع ربما من مدة سنين .

قال المؤرخ البديرى عفا الله عنه : وفى يوم الخميس منتصف
ربيع الثانى من هذه السنة وجهت دمشق الشام على راغب باشا
المنفصل عن مدينة حلب . وفى ليلة الأربعاء سلخ ربيع الثانى جاء
خبر مع نجّاب إلى حضرة الحاج أسعد باشا وإلى الشام بأنه عزّل قولى
حلب^(١) . وثانى يوم من عزله أرسل خلف متسلمه موسى آغا وأبّسه
فروة ثمينه وأقاهه فسلم دهب دمشق الشام ، وأظهر له أنه جاء الخبر من
الدولة أن يكون كيخية راغب باشا ، ليتعاطى أمور الحاج والدورة ،
وبأنه جاءه بشارة أنه بعد فراغ السنة من الحاج أنه وإلى جدة وباشا
بطوخين . فسلم حكم الشام موسى كيخية . وأخرج حضرة أسعد باشا
جميع من فى الحبوس ، وكان فى الحبوس شيء كثير من أربع سنين
وخمس سنين وعشر سنين . وأقام أسعد باشا فى دمشق يتردد على

(١) وهكذا لم يمض أكثر من شهر على ورود هدايا السلطان وفرمان
(التفخيم) لأسعد باشا العظيم حتى عزلته الدولة ونقلته إلى حاب تمهيدا لقتله
ومصادرة أمواله .

سراية الحكم إلى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الأولى ، جاء قبجى
بفرمان الحكم فى مدينة حلب وبشارة بطوخين إلى موسى كينجية ،
وأن راغب باشا المنفصل عن حلب قد نال الوزارة العظمى ، وقد توجه
للإسلامبول ، وأن دمشق والشام توجهت على حسين باشا بن مكى
القاطن فى مدينة غزة ^(١) .

وأقام الحاج أسعد [٤٦ ب] باشا إلى نهار الاثنين ، ورحل
بالسلامة متوجها إلى مدينة حلب ، بعد ما أمر بإصلاح الوجافين ^(٢)
وأن يجعلوا فى كل مصابة ^(٣) جماعة من الأنكشارية وجماعة من
القبقول ، وأن يجعلوا عليهم فى كل قلق ^(٤) واحداً أنباشى ^(٥) .

وقد شاع الخبر بأن الوالى المقبل على الشام سىء الخلق ظالم
غاشم . وقد خافت القبقول من الأنكشارية وجميع حواشى أسعد
باشا ، وصاروا يأخذون فى القيل والقال ، وقامت بعض السفهاء
من أهل الحلقة والميدان ^(٦) فردتهم أكابرهم ، وصار فى البلد خوف

(١) انظر فيما سبق ص ١٨٨ .

(٢) يقصد الصلاح بين القبقول والأنكشارية أى بين جند الدولة والجند المحلية .

(٣) لعلها (مصطبة) .

(٤) القلق تحريف عربى للكلمة التركية (قوللق) وهو مركز العسكر

أو ما نسميه الآن نقطة البوليس .

(٥) أنباشى جاءت فى النسخة الظاهرية (يياشى) ولعلها تحريف للكلمة

التركية (يياباشى) ومعناها رئيس الجند المشاة .

(٦) كلاهما حى فى جنوبى دمشق .

عظيم وأراجيف ، حتى عزّلت القبقول ، وعتّتها ، وعزّلت أصحاب
الدكاكين دكاكينهم من سائر الأسواق .

وكان أول حكم موسى كخيّة المسلم^(١) أن أمر جميع المنازل
التي في الحارات من عشرين ثلاثين سنة تعمدها أهل محلاتها ، فأنحطت
البلد خبطة مزجة . وفي ذلك اليوم شقّ [الباشا] شاباً من أولاد
السويقة يقال له ابن سمرتين ، فقلّت الرواجف وأمنت الناس .

وفي يوم الثلاثاء وليلة الأربعاء بعد المغرب شاع خبر حتى
وصل إلى السرايا بأن أحمد القلاطجي الذي كان من رأس الزرباوات
الذي هرب وعصى في جبل الدروز كما أسلفنا ذكره^(٢) هاجم ليلة
الأربعاء على الشام . فما أشامها من ليلة على أهل الشام من كثرة
ما دهمهم من الخوف والرعب والسرور وإخلاء البيوت والدكاكين
وقد صفت المتاريس في جميع البوابات . وكانت ليلة من هولاء
كليلة القيامة ، لم تذق أهل الشام بها نوماً قط ، وهم ينتظرون طلوع
الفجر ، فلما لاح لهم لم يجدوا شيئاً مما توهّموه ، وكان الخبر كاذباً -

وفي يوم الخميس خامس جمادى الثانية مع أذان الظهر كان
دخول حسين باشا ابن مكى إلى دمشق الشام ، والمنفصل عن مدينته

(١) هذا يؤيد عدم صحة ما ذكره البديري في حوادث سنة ١١٦٤ (١٧٥١)
عن وفاة موسى كخيّة .

(٢) انظر فيما سبق ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٧٧ .

غزة التي هي وطنه^(١) . ودخل بموكب عظيم حافل بالأفندية وأعيان الشام وبالأنكشارية كلها خيالة ، والقبول كلها مشاة في العدد الكاملة والأسلحة المزخرفة والزينة الشاملة ، ووقف العامة والخلق تدعوا له ، وتصيح وتستغيث من جور أعيان الشام^(٢) والغلاء . وثاني يوم جاءت الأفندية والأعيان للسرايا لأجل السلام على الباشا ، فوقفت الناس والعامة في طريقهم ، فلما مروا عليهم ليدخلوا السرايا قامت العامة بالصراخ والضجيج ، وصاحوا [١٤٧] عليهم وقالوا : ارجعوا لا بارك الله فيكم ، أنتم منافقون وتدينوا الحكم على ظلم الفقراء والمساكين ، وأكثروا من سبهم وشتمهم ، ورجعوا بالاحجار وصارت حالة مزعجة . ففتح الباشا باب العدل والتفتيش على الرعية ، حتى صار رطل الخبز بثلاث مصرية . ثم اشتغل بالظلم كأسلافه ، فرجعت الأسعار إلى حالها الأول : كرطل الخبز بخمسة وبسته مصرية ، حتى جاءت سقعة وهي شدة برد مؤلمة ، فلم تبق ثمرة في شهر آدار^(٣) إلا أحرقتها . وفي عاشر رجب حصلت سقعة ماسم

(١) انظر فيما سبق ص ١٨٨ — ١٩٥ ، وقد كناه الأستاذ محمد كرد علي بالفخر الغزوي ، وقال إنه لم يكن شرهاً في جمع المال وعيل إلى العدل وحسن الرأسة ، غير أنه كما قال المرادي : كان بطيء الحركة عن شهامة الوزراء ، فبسبب ذلك حصل من البرلية (الجند الوطني) والقبول (الحرس) وغيرهما من طوائف الأكراد والعسكر فتن وحروب ، وحصل الأعيان والرؤساء الضيق العظيم وقامت عليهم الناس (خطط الشام ج ٢ ص ٢٩٩)

(٢) يتعد بأعيان الشام رؤساء الجند الأنكشارية بها .

(٣) شهر آذار هو مارس .

بنظيرها ، فأتلقت ما بقي إن كان بقي شيء من النار .

وفي سابع عشر رجب نهار الأربعاء توفي الشيخ الجليل العالم الفرضي الشيخ عبد الله البصروي الشافعي ^(١) ، علامة زمانه في كل فن خصوصا في علم الفرائض ، ودُفن بتربة الشيخ أرسلان رحمه الله . وبهذا الشهر الشريف أيضا قتل رجل في الميدان ، ووجدوا ثلاثة أشخاص مذبحين في تربة البرامكة . وبعشرين من رجب هاجمت المغاربة على الباشا ، ثم قوّسوا على الدوام ، فقتلوا مقدار عشرة رجال وحرقوا أيضا محلات . وبهذه الأيام وجدوا امرأتان مذبحتان [كذا] في تلة باب الصغير . وبهذا الشهر أيضا وقعت فتنة بين المغاربة اللواند الأكراد ، وقتل من الفريقين مقدار خمسة عشر رجلا وسكرت الشام ، ثم انقضت على الصالح . وفي السابع والعشرين من رجب شتق حسين باشا والى الشام رجلا من الميدان اتهم بالحرام ، وكان سابقا قد قتل أمه ذبحا .

قل التاريخ البديري رحمه الله تعالى : وبهذه الأيام جاء خبر بأن الحاج أسعد باشا بن العظم والى حلب قد جاءه فرمان بأن يسير

(١) وصفه المرادي (ج ٣ ص ٨٦ - ٨٧) بأنه كان مؤرخاً وله باع في كل علم وخاصة الفرائض حتى سمى بالفرضي ، وقال إنه كانت له مكتبة حافلة ، وألف تاريخاً لأبناء عصره أخصاء وريثه بعد وفاته .

إلى مصر واليا ، فمضت به أهل حلب ، وقالوا لا نريد غيره ، وكانوا الدولة العلية بذلك . ثم بعد أيام جاء مقرر حلب لآسعد باشا بن العظم ، ولأخيه سعد الدين باشا منصب مرعش ، ولأخيه مصطفى باشا منصب الموصل ، فذهب كل واحد لمنصبه ، وأرسل مصطفى باشا حريمه وأولاده إلى الشام .

وفي أول شعبان خرج حضرة حسين باشا والى الشام إلى الدورة ، وأقام متسلما مكانه حسين آغا ألاى بيك السباهية ، فعدل ولم يظلم ولم يتعد على أحد . وقبل خروج [٤٧ ب] الباشا أمر الوجيهين بالصلاح وترك الفساد والعناد ، وسلمهم البلاد والعباد ، وأوقف مصطفى آغا الزعفرنجى اختيار وكبير القبول تفكجى باشا بباب السرايا ، بعد ما ضمن على نفسه إصلاح البلد .

وقد دخل رمضان نهار الخميس ، ودخل معه الغلاء الأكبر في الشام في جميع الأصناف ، فوصلت غرارة القمح إلى الخمسين غرش ، ورطل الخبز من سبع مصارى إلى اثني عشر مصرية ، بعدما كان بثلاثة مصارى رطل أعلا خبز ، ورطل الأرز بأربعة عشر مصرية ، والدبس كذلك والبصل أيضا ، ومد العدس وكذلك الحمص والمماش [كذا] واللويا والبرغل بثلاثين مصرية ، ومد الشعير باثني عشر مصرية ، وأوقية الثوم بمصريتين . والحاصل كل شيء غالى مع قلة الأسباب وقلة الحركة .

وفي ليلة الاثنين ثاني عشر رمضان صارت فتنة عظيمة بين أوجاق
الانكشارية ووجاق القيقول ، لم تعهد منذ زمان ، وساعدت القيقول
الدلائية والأكراد والمواصلة^(١) . وحاصرت كل حارة جماعة ،
وكانت النصر الانكشارية^(٢) ، بعد ما ضربوا عليهم المدافع من
القلعة يومين وليلة ، وقتل جماعة من العامة وقليل من الانكشارية .
لكن قتل من القيقول وأتباعهم خلق كثير ، بعد ما حاصروا حارة
باب السريجة ، وملكوها وخربوا بها بعض بيوت ودكاكين ، وحاصروا
أيضا حارة الشاغور ، حتى إنهم أشرفوا على أخذها ، جاء النقيب حمزة
أفندي وبعض مشايخ أصلحوا بينهم . ثم بعد اليوم الثالث اختلفوا .
وفي عشرين من رمضان جاء حسين باشا والى الشام من الدورة فلم
يجرك ساكنا . وكان عيد الفطر نهار الأربعاء . وفي العشر الأول من
شوال قدم مصطفى آغا بن علي أفندي الدفتری من إسلامبول برتبة آغا

(١) جند من الموصل .

(٢) قال المرادى في ترجمته حسين باشا مكي (سلك الدرر ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢)
إنه بدخول هذا الوزير حصل للهند البرلية أى الأنكشارية الحلية « بقدمه كمال
الحظ الوفير والانبساط ، وظهر ابتداء شوكتهم من ذلك العهد وقوى ، وكان ابتداء
ظهورهم ثانياً وتطاولهم » .

وقد أرجع المرادى ذلك إلى أن هذا الوزير « كان بطيء الحركة عن شهامة
الوزارة » . على أننا نلاحظ أن الأنكشارية كان قد قوى أمرهم في عهد أسعد باشا
العظم حين رأى حسن بلائهم في قتال الدروز فقرَّبهم وأحسن إلى رؤسائهم .

على الانكشارية ، ودخل في عراضة - أى مركب - لم تمهد في الدولة الشامية .

وفى تاسع عشر شهر شوال توجه حسين باشا بن مكى والى الشام أميراً على الحاج الشريف ، وذلك بعد ما مشيت معه جميع الانكشارية والقباquil . وكان قبل خروجه للحج جمع أغوات الفريقين ، وأصلح بينهما ، وكتب حجة عليهم بحضور القاضى والمفتى وأعيان البلدة ، مضمونها أن كل من تعدى يكون عنده مائة كيس (١٤٨) لمطبخ السلطان ودمه مهدور . فسكنت البلدة وصارت كقدح اللبن ، ولم يحصل أدنى مكدر . وبقيت الراحة إلى يوم الأحد ثالث عشر ذى الحجة ، جاء كردى اسمه ولى ، وكان من جماعه أسعد باشا بن العظيم والى مدينة حلب حالا . وكان هذا الرجل الكردى له فى الشام أسبقية ظلم وعدوان على أهل الشام ، فقامت عليه الانكشارية والعوام وقالوا اقتلوه ، فهرب إلى القلعة واحتوى بالقباquil فحموه . وقبل خروج الباشا قامت أهل الشام بصوت واحد إننا لا نريد غريباً فى بلدنا ، فأخرج لهم الباشا يردى^(١) بذلك بأن لا يبقى فى الشام غريب كيت^(٢) . فخرج بعد خروج الباشا أناس وبقيت أناس . فلما قدم هذا الرجل تضررت منه العامة والأعيان ، وأرسلوا له خبراً أن يرحل

(١) يقصد بيورلدى أى أمر عال .

(٢) وقد تكون هذه الكلمة (كيت) بالتركية ومعناها اذهب أو انصرف .

بنفسه ويحقن دمه . فأبى الخروج من الشام ، وقد طمع بكونه احتفى بالقلمة عند القبول . فخالاً سكرت البلد وتجمعت أغوات الانكشارية وتبعهم العامة ، وقاموا على قدم وساق ، فاجتمعت العناتية^(١) والأكراد والدالانية ، فهضت القبة قول وقام معها أهل العمار ، وأغاروا على الدرويشية^(٢) ، وتقاوسوا مع الانكشارية إلى أن أقبل الليل ، فجمعوا على حواصل الانكشارية الملائة أخشاب وأحرقوها ، وكانت تساوى عدة أكياس مال ، فقامت الانكشارية على أهل العماره وشردت أهلها ونساءها وأولادها إلى جامع الأموى ، ثم وضعت بها وبأسواقها^(٣) النار ، حتى صارت ساحة سماوية . واشتد الأمر على أهل العماره من ظلم وعدوان الانكشارية ، وقد أعانهم بالحماية الجماعية أولاد الحلقة من الميدان ومعهم بعض رجال من الدروز ، وفتحوا أبواب المدينة ، ولم يُعهد ذلك قبل الآن ، وحضروا القبول ورجعوا كارتين على الموصلية والبغادة والدالانية وحصروهم ، ووقع القتل بين الطائفتين .

وفى ليلة رابع عشر من ذى الحجة خسف القمر خسفاً مبرولاً .
وفى اثنين وعشرين من ذى الحجة حصلت زلزلة فى دمشق لم تُعهد

(١) نسبة إلى مدينة عينتاب .

(٢) لاحظ تمصب أحياء المدينة بعضها على بعض واستماتة كل منها بفريق من الأجناد .

(٣) وبأولادها : فى النسخة الظاهرية ، ولا يستقيم المعنى .

من مدة أعوام ، واستمرت عدة أيام بالليل والنهار ، وذلك بعد ما كُشِفَت الشمس ، حتى رُؤِيت النجوم نهارة ، ولا كانت هذه الأمانة تعتبر اعتباراً .

ودامت هذه الفتنة [٤٨ ب] أياماً بين صلح وقيل وقال ، حتى صار الديوان عند الأغوات وأكابر الشام ، وبُتَ القرار على إخراج غريب كيت^(١) من الشام ، وأن يخرج ولي الذي كان سبب الفتنة . فأخرجوهم [كذا] الأغوات ، ومعهم على أفندي الماردى تطيباً لخاطر أهل البلد ، ولم يزالوا خارجين بهم إلى خارج البلد ، فرجعت الأغوات والأفندي الماردى وبقي الرجل على حاله . ثم صارت أهل كل حارة تسهر كل ليلة . وبقي الأمر على ذلك إلى أن وصل الخبر إلى الشام بأن الذين خرجوا نهبوا القرايا وقتلوا النفوس ، وهاكوا الحریم . فأرسلت الحكومة أوراقاً إلى أهل البرّ والقرايا أن يقتلوا أوطردوهم ، فتمصّبوا عليهم وطردوهم ، ولكن بعد ما قتلوا ونهبوا . ثم رأوا القبجي في طريقهم فشاجوه^(٢) ، وقتلوا بعض جماعته . وبقيت أهل الشام بين خوف وأهوال ، إلى أن كان يوم الاثنين سابع والعشرين من ذى الحجة وصل خبر إلى الشام بأن موسى باشا

(١) انظر فيما سبق ص ٢٠١ حاشية رقم (٢)

(٢) أى نهبوه .

باشة الجردة^(١) لما وصل إلى القطرانة خرجت عليه العرب شلحوه ، ونهبوا الجردة وكل ما فيها ، حتى شلحوه لباسه وخاتمه من أصبعه ، وأنزلوه من تخته ، وركبوا مكانه في التخت ، وأخذوا طبوله وأطواخه ومدافعه . وكان كبيرهم يقال له قعدان الفايز^(٢) . ثم تفرقت الجماعة الذين كانوا في الجردة ، فرجعت منهم أناس إلى الشام ، ومنهم ناس انقطعوا في حوران ، ومنهم ناس هربوا إلى غزة ، وناس إلى القدس ، وناس إلى معان مع ابن موسى باشا ، لأنها قرية من الموضع الذي نهبت فيه الجردة . وأما الباشا فإنه رجع إلى قرية داعل وأقام بها مدة أيام . فأرسلوا له تختا ليحملوه به ، فوجدوه قد مات ، فحملوه وجأوا به إلى الشام . وكان دخوله على البلد في أول الليل ، وثاني يوم دفنوه في تربة سيدى نحر رضى الله عنه .

سنة ١١٧١

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة وألف^(٣) ، ونحن على هذا

(١) كان قبل ذلك كتحدا لأسمد باشا العظم ومتساما له في دمشق ، ثم رقى إلى منصب باشوية صيدا ، واختير هذا العام سرداراً على الجردة . وقيل عنه ميخائيل الدمشقي بأنه كان ظالماً ، وأصله من معرة النعمان ولذلك غلب عليه لقب المعراوى .
وتدسّق للبدري أن ذكر وفاة موسى كخيّة في حوادث سنة ١١٦٤ ثم عاد فذكر المناصب الأخرى التي تولّاها حتى وفاته في سنة ١١٧٠ .

(٢) شيخ عرب ، صخر (انظر فيما سبق ص ٢٢)

(٣) ويوافق أولها ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٧٥٧ .

الحال ، نسأله تعالى أن يحول حالنا الى أحسن حال .

وفي هذا الشهر المحرم الحرام توفي العالم العلامة خاتمة المحدثين وبقية السلف الصالحين الشيخ صالح الجنيبي^(١) المحدث الكبير تحت قبة النسرفي الجامع الأموى ، وصار له مشهد عظيم ، ودفن بباب الصغير ، رحمه الله تعالى .

وفي تلك الأيام خرجت جردة ثانية دون الجردة الأولى .
وفي سابع [٤٩] وعشرين محرم دخل جو قدار حسين باشا والى الشام وأمير الحاج ، ومعه ثلاث هجامة مردفين ، ومعهم أخوان مظيفان شيخ عرب الحجاز^(٢) ، فتباشرت أهل الشام وزينوا الأسواق بالفضايل . فقامت القبة قول وخرجوا وقوسوا على الرعية ، وصارت هزة قوية ، وبقيت الفتنة في البلد بين الانكشارية والقبة قول والأشراف ، فقتل القبة قول من الأشراف نحو ثلاثين رجلا وقوسوا على جامع الأموى ، وقتلوا الشيخ عمر كعب مؤذن الجامع ، وكان نازلاً من أذان الظهر ، وقتل فيه بعض أولاد ، وصار المخرج في أسواق

(١) أشاد المرادى بعلو كعبه في فقه أبي حنيفة حتى « انتهى إليه من الفقه في زمانه » واشتفع به خلق كثير . وذكر المرادى وفاته في ذي القعدة ١١٧٠ هـ .
البدري وفاته حق المحرم من السنة التالية (المرادى ج ٢ ص ٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٢) مرتبنا (ص ٧) مقتل ابن مظيفان (ويكتب في النسخة التيمورية ابن مظيفان) « شيخ عرب بين الحرمين » في القتال الذي وقع بينهم وبين والى الشام في سنة ١١٥٤ هـ (١٧٤١ - ٤٢) .

المدينة مدة أيام ، ثم دخلت الأغوات والأفندية بينهم بالصلح ، فأبوا ، فقالوا لهم : ارفعوا القتال واصبروا حتى يأتي حسين باشا من الحاج ، ويفصل [في] هذه الأحكام ، فرفعوا القتال .

وبقيت القبة قول في القلعة لا تحول ولا تزول^(١) ، إلى أن كان يوم الاثنين سابع عشر صفر الخير ، والناس مزهوجة من تأخير مجيء الحج ولم تدر ما السبب ، جاء خبر إلى الشام بأن الحج قد شاحه العرب ونهبوه ، والعرب سلبت النساء والرجال أموالهم وحواسنهم . فضحت العالم وتباكيت الخلق وأظلمت الشام . وبلغ الناس بأنه جاء إلى المسلم ست مكاتيب أن يخرج إلى الحاج نجدة فلم يظهرها ، فقامت العامة وهجموا على المسلم بالسرايا ورجوه بالأحجار ، فاجتمعت الموالي والأغوات ، ونادوا بإخراج دواب من البلد وأن يخرجوا^(٢) حوائج وثياب مفصلة ومخيطة ونعال وزرايل^(٣) ، وأن يخرج رجال لملافة الحاج . فخرج خلق كثير ، وكان خروجهم يوم الجمعة في الحادي والعشرين من صفر الخير ، وذلك بعد ما كتبوا عرضاً للدولة يعلموهم بهذا الحال ، وأرسلوا إلى حصص يطلبون حسن باشا بن المكبرلي لأجل أن يحافظ [على] الشام .

(١) عُبِّرَ عن ذلك القارى (ص ٨٦) بقوله « ووجاق القول مقيمون وهم ينتظرون الوزير الذى يأتى حتى يخرجوا ويصير لهم الفرج » .

(٢) في النسخة التيمورية : يجمموا .

(٣) لملها : سرايل .

وفى يوم الخميس خامس وعشرين من صفر الخير أقبلت بعض أنكشارية الشام من جهة الحج ، ومعهم حجاج مركبين كل اثنين ثلاثة على دابة ، وهم فى آخر درجة العدم ، والمنادى معهم راية بيضاء ينادى هذه راية الإنكشارية ، فضجت الناس بالبكاء والعويل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وأخبروا أن خلفهم خلق كثير من الحجاج ، ومعهم النساء والبنات مع الملكة^(١) حفايا عرايا . وبعد يومين أقبلت شراجة^(٢) الإنكشارية من المزيريب [٤٩ ب] ومعهم المشطجى^(٣) والقفطجى^(٤) الجميع مشاجين . وفى ذلك اليوم رجعت الإنكشارية ومن بقى من الملاحية^(٥) ومعهم الاغوات ومتسلم حسين آغا ألاى بك ، وأخبروا عن أحوال وأهوال التى حصلت للحجاج من النساء والرجال من شركفار العرب ولا شك ، حيث أن هذه الأفعال التى فعلت فى الحجاج لا يفعلها عباد النيران : لأنهم أخبروا أنهم يشاحوا الرجل ويفتشوا تحت إبطيه ودبره وفه

(١) كانت أخت السلطان العثمانى من حج فى تلك السنة .

(٢) جمع چربجى : أى أعيان الإنكشارية .

(٣) قال Tresse (ص ٧٢) إن ال Mostaji (مر دجى) هو دليل أمين الصرة (صرة أمين) وكان يختار من أبناء دمشق ويكون دليلا لأمين الصرة وحجاج الأناضول حتى يصلوا إلى دمشق ، وفى مكان آخر (ص ٢٥٠) ذكر Tresse نقلا عن Corancez أن الموظف الذى كان يحمل أبناء سلامة الحاج إلى السلطان كان يدعى (Le Muzdegy baschi) أو حامل البشرى .

(٤) انظر فيما سبق ص ١٣٧ .

(٥) أى الذين خرجوا للملاقة الحاج .

وتحت خصيته ، وإن وجدوا الرجل كبيراً بطنه أوله قرّ أى قبيلة
شقوا بطنه وبقروا قرّه أى قيانه ، ويدخلون أيديهم فى دبر الرجال
وفى فروج النساء ، وقد كانت المرأة تضع الطين على قبلها ودبرها
سترآ لعورتها فيكشفونه . وحاصله صدرت من العرب أمور ما سمعت
من قديم الزمان ولا من عبّاد الأوثان والصلبان . ثم ما سلم من
التشليح إلا الذين هربوا أمام الحج ، وأن الباشا أمر من حوله
بنهب خزنته فنهبوا ، فناس سلّوا وناس قتلوا ، ومنهم من
تشلح مرارا .

ثم أقام الحجاج أربعة أيام جوعاً وعطشاً لاما . ولا زاداً ،
ومنهم من مات جوعاً وعطشاً وبردأ وحرّاً ، وذلك بعد ما شرب
بعضهم بول بعض . وما كفى جور العربان ، بل زاد عليهم جور أهل
مهان ، غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاب النيران .

وفى تاسع ربيع الأول جاء الخبر بأن حسين باشا والى الشام
وأمر الحاج هو فى مدينة غزة ، ويريد من الشام بغال وتفجكية
ورجالا ، فأبوا أن يرسلوا له شيئاً من ذلك ، بل أرسلوا له بأن يأتى
إلى منصبه ، لأن قبجى التقرير^(١) عندنا ، وافعل ما ترى فيه المصلحة .

(١) أى مندوب السلطان الذى يحمل فرمان التقرير بالولاية .

وقبل ذلك بأيام كان قديم أحمد بشه بن الفلطفجي كبير زرباوات الشام ، وكان هارباً له أربعة عشر داما ، جاء مرة في غيبة أسعد باشا في الحج وفعل ما فعل كما قدمنا . وجاء مرة ثانية في أول حكم حسين باشا المذكور ، فأكرمه وأعطاه ، وخرج معه إلى المزيريب ، ومن هناك غاب ، ورجع هذه المرة الثالثة لما وقعت الفتنة في الشام ، ومن تلك الأعمال نهاهم فلم تفد شيئاً كما تقدم .

وفي يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول وصل خبر إلى دمشق الشام أن عمر المحاميد شيخ حوران^(١) وجد المحمل والصنيق^(٢) عند العرب ، وقد أرضاهم حتى فكّهما منهم ، ووجد [١٥٠] المحملجي وابن القيق دار^(٣) وأخرج خمس رجال عليهم المذلة والانكسار .

وفي يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول وصل المحمل ودخل إلى الشام ، ومن محمولين به . وسبوا به وبشبهه الآخر

(١) هو الشيخ ظاهر العمر

(٢) قال الصباغ (ص ٧٨) إنه « الدم النبوي الذي يقال له العقاب » ، وكانوا يحفظونه في دمشق ويرفعونه أمام قافلة الحاج الشامي ، أو ينشرونه إذا دعا داعي الجهاد .

(٣) لم نجد تفسيراً لهذه الكلمة إلا أن تكون صحتها (القفادار) وهو موظف كان يرافق قافلة الحج ، وعليه أن يقتني فد الحبيج ، وقيل لي إن أسرة شميرة بدمشق تحمل هذا الاسم محرّفاً (الأقفادار) .

التحتاني ، ومعه محمد بشه السقباوى وبعض فرسان دروز وبعض
عربان ، وذكروا أنهم فكّوه من العرب بمائة وسبعين قرشاً^(١) .

وقد جاء فى منتصف ربيع تـر أخبر ب وفاة السلطان عمان ،
ولم يأت بالخطبة لمن هـى ، حتى خطبت خطباء الشام بلا اسم
سلطان جمعيتين ، إلى أن كان يوم الاثنين غرة ربيع الثانى جاء
قبجى بخطبة اسم السلطان مصطفى خان^(٢) . أيّده الله وأيدّ دولة
بنى عثمان مدى الدوران .

ثم صارت الحجاج تأتى زمراً زمراً ، ثم جاءت البلطجية
ومعهم قاضى المدينة وبعض نساء ، وقد عُدت النساء الذين كانوا
[كذا] فى تلك السنة فبالغن خصماتة امرأة ، ما بان لهم أثر مع
الملكة أخت السلطان^(٣) .

وفى خامس ربيع الثانى خرجت القبة قول من القلعة وتوسّوا
على الإنكشارية ، وحصلت فتنة قوية ، ثم أصلح بينهم القبجى
والموالى والأغوات ، وبطل الحرب . وفى خامس والعشرين من
ربيع الثانى توفى قاضى المدينة الذى جاء مع الحجاج ، وصارت

(١) قال ميخائيل الدمشقى (ص ٤٦) إنهم « استفكوه بسبعائة ذهب
جزيرلى ، وجابوه مع السنجق عمّل إلى المحكمة بدمشق » .

(٢) هو السلطان مصطفى الثالث حكم من سنة ١٧٥٧ إلى سنة ١٧٧٣ .

(٣) ذكر القارى (ص ٨١) أنها « ماتت من العرى » .

تموت الحجاج فاساً بعد لاس ، حتى مات كثير من كان مع الجردة ، لأن الذي جرى على الحجاج وعلى الجردة في هذا العام شيء ما سمع ، مما تقشعر منه الأبدان . فإن الله وإننا إليه راجعون ^(١) . وبقيت دمشق بلا حاكم إلى آخر ربيع الثاني ^(٢) إلى أن تحقق الخبر بعد تردد

(١) ذكرت عدة روايات عن المسؤولية في حادث نهب الحجاج والجردة ، فصاحب سيرة ظاهر العمر (الصباغ ص ٧٨ - ٨٠) ذكر أن الشيخ ظهر وضع المسؤولية على أمير الحجاج حسين باشا ، لأنه طمع في المال المخصص لعوائد العربان ، ولكن الباشا اتهم الشيخ بأنه هو الذي أغرى العربان بما فعلوا وشكاه إلى الدولة ، ولكن التحقيق أثبت كذب الباشا وصدق الشيخ الذي كافأته الدولة بولاية صيدا ، ولكنها في الوقت نفسه أوغرت سرّاً إلى والي الشام بأن يسعى للقضاء عليه . أما الحورى قسطنطين الباشا المخلصي في تعليقاته على الكتاب السابق (الصباغ ص ٧٦) فيذكر أن حسين باشا اتهم أسعد باشا سلفه في ولاية الشام بإغراء العربان حقاً منه لنقله من منصبه ، ولما تحققت الدولة - في رواية الحورى - صدق هذا الاتهام أمرت بقتل أسعد باشا ومصادرة أمواله .

ولكن القارى (صاحب وزراء دمشق . نشرة النجد ص ٨٠) يقول إن حسين باشا أرسل إلى العرب « بأن يأخذوا من المال قدر ما يريدون ويرحلوا عن الحجاج فأبوا ذلك » .

أما الحورى ميخائيل بريك الدمشقي صاحب حوادث الشام ولبنان (ص ٤٦) فيتهم حسين باشا بالجهل وسوء التدبير ، « لأن الحجاج لما وصلوا إلى قلعة تبوك ما قدروا يفوتوا ، لأنه بلغهم أن العرب المذكورين رابطين في الطريق ، فقمعدوا في تبوك اثنين وعشرين يوماً ، وما عرف الباشا برضى خاطر العرب ويفوت ، ياب مجهله حمل ، ومشي ، ولما قرب إلى ذات حج كبسه العرب ، وقتل عالم لا يعد من العسكر والحجاج » . وقد وصف المرادى حسين باشا بأنه « كان بطيء الحركة عن شهامة الوزارة » .

(٢) عقب كارثة الحجاج نقل حسين باشا مكى والى دمشق إلى إيالة مرعشى ، فلم يمكث بها قليلاً حتى أعيد إلى غزة ، حيث كان ناكماً قبل توليته على دمشق ، ولما =

الناس في أمر حاكم الشام بتوجيه ولاية الشام لحضرة الوزير الكبير الحاج عبد الله باشا الشنجي^(١). وكان دخوله مدينة دمشق الشام ضحوة نهار الأحد ثامن وعشرين ربيع الثاني . فخرجت للملاقاته وجوه الشام وأعيانها ، ودخل في موكب لم يعهد لغيره ، ودخل معه عسكر جرّار ، فكان معه أربعين [كذا] ييرقاً من الدالاتية وخمسين ييرقاً من اللوند وعشرين ييرقاً من الأرئوط^(٢) . ثم إنه ثانی يوم عمل ديواناً

= هاجم عرب بني صخر غزة خرج لقتالهم ، ولكنه هزم وقُتل سنة ١١٩٧هـ (١٧٨٣م) وصادرت الدولة أمواله (انظر ترجمته في سلك الدرر للمرادي ج ٢ ص ٦٠ - ٦٢)
(١) ذكره القاري (ص ٨١) باسم عبدی باشا الجيته جی ووصفه بأنه « كان رجلاً ذاهية ووقار وكان عالماً فاضلاً أديباً » ، والحيته جی بالتركية تعني الغازي .
وقد ترجم له المرادي (ج ١ ص ٩٨ ، ج ٣ ص ٨١ - ٨٢) وأشار إلى كتاب ألفه باسم « أنهار الجنان في آي القرآن » . ولما تولى باشوية دمشق كان يكرم الأدباء والشعراء . وقد أطلعت في المكتبة العامة بشينا على مخطوط (رقم ١١٩٦ Mxt 195) عنوانه « ترويح القلب الشجي في مآثر عبد الله باشا الجيته جی » تأليف رجل كان في خدمته اسمه عمر بن محمد بن ابراهيم الوكيل . وقد ترجم لعبد الله باشا ودعاه « رب السيف والقلم » ، وذكر أسماء بعض مؤلفاته : أنهار الجنان في وجدان آيات القرآن « ورسالة في العروض وأخرى في المراج وذكر له شعراً : وأشاد بشجاعته في قتال نادر شاه وحصار بلغراد ، وتتبع ، مناصب الولايات التي تولاها في أدرنة ووان وديار بكر وطرابزون وسيواس وطرابلس وحلب ودمشق وقتاله عرب بني صخر وشيخهم قعدان وبسطه الأمن في دمشق وعنايته بإصلاح طريق الحج وتأمينه .
وفذكر القزى (نهر الذهب ج ٣ ص ٣٠١) أنه ولي حلب في الحرم ١١٧٢ هـ ، وكان قبل ذلك قد ولي الصدارة العظمى ، وهو ابن ابراهيم الحسيني الجرملی نسبة إلى جرمك ، بليدة من أعمال ديار بكر .

(٢) قدّر القاري (ص ٨١) القوة العسكرية التي دخلت دمشق مع الباشا بنحو خمسة آلاف جندي ، أرسلهم الدولة لما علمت بالفتنة التي وقعت بين الانكشارية والقبول ، فسلط الباشا جنده على الانكشارية حتى قتلوا الأديبار . وأشار المرادي =

ولقبس المفتى والقاضى ونقيب الأشراف والسيد هلى أفندى المرادى ، وأرسل الباشا يطلب جماعة من الإنكشارية فلم يجيئوا ، فأرسل ينادى بأن أهل العرض^(١) ترحل من بين الإنكشارية ، فلم تر إلا نقل أمتعة وإخلاء دور ودكاكين وأول^(٢) دخول الباشا إلى الشام [٥٠ ب] اجتمعت الإنكشارية فلبغوا نحو عشرين ألفاً وأكثر ، وأظهروا الشجاعة وقلة الخوف منه ، وقالوا : نحن لا نحسب حسابه ، ولو كان عسكريه أضعافنا^(٣) .

= إلى أن عبد الله باشا « جاء بمسكر غزير إلى دمشق مختلف الأجناس » . وقال ميخائيل الدمشقي [ص ٤٩] إنه « كان معه عساكر كثيرة مثل جراد زحاف أشكال وألوان ، غفقت دمشق أكثر من الأول ، رمى الله الخافة في قلوب الإنكشارية وجميع البلد » .

(١) جاء ذكر « العرض » في كتاب البديرى مرتين : الأولى في حوادث سنة ١١٥٦ كإحدى المظالم التى أبطلها سليمان باشا العظم فى دمشق ، وهى [الشاشية والمشيخة والعرض] وقد وصفها بأنها « أموال تفرض على الحرف والصنائع والحارات فى الشام مرة أو مرتين فى السنة » ، والمرة الثانية فى هذا الموضع ، حين قال إن عبد الله باشا الشتى أمر « بأن ينادى بأن أهل العرض ترحل من بين الإنكشارية » . وأرجح أن أهل العرض هنا هم أصحاب الحرف ، وقد أمر الباشا بإخراجهم من الإنكشارية . يؤيد هذا ما جاء فى فرمان السلطان محمود الثانى بإلغاء فرق الإنكشارية سنة ١٨٢١ وترجمه إلى العربية الغزى فى تاريخه لطلب ج ٣ ص ٣٤٩ : « وعلى أهل العرض بمد هذا أن يفتجوا دكاكينهم ويكونوا فى أشغالهم ومكاسبهم » .

(٢) وقبل : فى النسخة التيمورية .

(٣) هذه رواية البديرى ، أما القارى (ص ٨١) فيقول إنه لما وصل الوزير بهذه المجموع الضخمة من الجند « وقع الرعب فى قلوب الإنكشارية » .

ولما كانت ليلة الأربعاء اجتمعت من الإنكشارية جماعة في حارة السويقة، وصاروا يقوّسوا [كذا] ويفزعوا الناس، إلى أن سكرت به أهل الشام البوابات، ولما ظهر النهار هجموا إلى باب الجابية وقوّسوا إلى ناحية باب السرايا. فبلغ أمرهم حضرة الباشا وإلى الشام، فانتأظ غيظاً شديداً. وجاءت الموالى وعمل ديواناً. ثم أرسل الباشا يطلب منهم الأشقياء الخارجين عن الطاعة، وصاحب العرض يقي بحاله. فتغلّظت أكباد الإنكشارية وتقوّوا، وظنوا أنهم هم المنصورون. ثم صاح الباشا في جنده وركب في نفسه، وطلب جهة الميدان فلم يقف بين يديه أحد، وهجم هو وعسكره عليهم، فلم يثبت منهم أحد. فلم يزل يضرب هو وعسكره بالسيف إلى أن وصلوا إلى خارج باب الله، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، والذي ما أرادوا قتله أخذوه ووضعوه في الجنزير^(١). ونهبت العساكر الميدان، ولم يتركوا كبيراً أو صغيراً إلا قتيلاً أو أسيراً. ولم يتركوا بيتاً ولا دكاناً ولا امرأة ولا طفلاً إلا استعملوا النهب والسبي وهتك الأعراض من سلب النساء الحلى

(١) ذكر الأمير حيدر مؤرخ الشهابيين (ج ١ ص ٥٤) القتال بين قوات الباشا والانكشارية، ولكنه نوه باتصار الانكشارية، وعاد ذلك «بسمعة» الدروز لهم. وهذا غير صحيح، فهو يتناقض مع ما ذكره الأمير حيدر نفسه في عبارة تالية عن خروج الانكشارية من الشام، فضلاً عن أن البديري صدق رواية، لأنه شهد حوادث تلك الأيام ودونها. وأيد القارى (ص ٨١) رواية البديري عن ككرة الانكشارية، وزاد على ذلك أن عبد الله باشا [أو عبدى باشا] فتح قلعة الكرك، وأرسل إليها الإنكشارية حتى يعدهم عن دمشق.

وساب البنات الأبنكار ، وغير ذلك مما يعنى الأبنصار ، وتمنوا الموت الدنار ، ولم يروا هذه الفظائع المهولة الكبار . وانتكبت أهل الشام نكبة فى ذلك العام ما عهدت من أيام التيمور ، والله عاقبة الأمور .

وفانى يوم الخميس قامت جماعة الباشا إلى النهب ، فمنعهم وأمر بجمع المسلوبات من العساكر وغيرهم ، وأن يوضعوا فى بعض الجوامع . وأمر مناديا بنادى كل من له مالٌ منسوب فليأت وليعلمه ويأخذه ، فأخذوا البعض وذهب الأكثر . وأما أتباع الباشا فإنهم صاروا كل من رأوه يقتلوه ويقطعوا رأسه ، ويتركوه فى الأسواق والآلة والبيوت وقد ضبطوا الدور التى نهبت ، فخرجت نحو أربعة وعشرين ألف دار ، ومن الدكاكين أكثر من هذا المقدار ، وأعظم من ذلك أن زاوية بيت الشيخ سعد الدين الجبارى التى فى الميدان وضعوا بها الامتعة الثمينة ، ثم تفقدوها بعد ذلك فاجدوا بها شيئا أبدا ، [٥١] وصارت العساكر تلحق الانكشارية للقرايا والضيع والبرارى ، فتقتل وتأسر حتى الأولاد والنساء ، وكثر الجور فى البلاد ، وخافت العباد وكثر الفساد ، وجمعوا رؤسا كثيرة من أشرف وعامة ، وأرسلوها إلى الدولة^(١) .

(١) لا يقل عن ذلك ما وصف به ميخائيل الدمشقى نكبة الشام وأهلها على أيدي جنود الباشا (ص ٥٠ — ٥٣) ، قال إن الوزير نادى بالأمان ثلاثة أيام إلى أن أمن الناس وظهروا « كمن هم خارجين من القبور موتى عراة جفاة وكل شيء يُرى له وبناح ويكى عليه ، وحينئذ ابتداء أول الخاض للمعان والظلم والظلم والبص ، =

وأمر الباشا بإحضار أئمة الحارات ، وأمرهم أن يكتبوا أن جميع الذى نهب وسلب رذّة الباشا فى الحال ، ولم يذهب لأحد عقاب ، وختمهم بهذا العرض على هذا الشرط . وكانت هذه مكيدة منه ، ولم يقدروا أن يخالفوا أمره . وبقيت جماعة الباشا نهب وتظلم ، وتبغى وتتجبر ، ولا توقر كبيراً ولا صغيراً ، ويقولون عن أهل الشام كلكم كفار ونصارى وأشرار . وكان لا يطعم جماعته إلا اللحم والأرز والخبز الطيب ، حتى قلّ اللحم ولم يوجد خبز يؤكل ، وعلى كل فرن مئات من الناس الجائعين ، حتى افتقرت غالب أهل البلد ، وصاروا يسألون الناس ، وزاد النكد ونهضت الأسعار نهوض الماكر الجبار : فصار رطل الأرز بأربعة وعشرين مصرية . والخبز مثله ، والدبس مثل ذلك ، وأوقية السمن بثمانية مصرية ، وأوقية

== ووقع الخوف والرجفة على جميع أهالى البلد ، وتفزع عن العسكر وتنعروا كالأسود كأنهم فتحوا قلعة بير الأغراض [لعله يقصد بلفراد] وأما الأرزاق التى نهبوها لاتعدّ ولا توصف من حرير وأرزاق وأموال وتشليخ النساء شئ بخزائن الملوك ، وما أصاب محلة ميدان دمشق الجديدة ليس إلا من غضب الله لسوء أعمالهم ، لكن ياحيف راح الطاغ مع الصالح ، كما يقول المثل البلاغم . ولم تزل دمشق كمثل المرأة الحيرانة وكمثل السكران خائفاً مدة سبعين يوماً من حين دخول الوزير للبلد إلى حين خروجه للدروز . وكل هذا شئ مهول لا يجب له سوى النوح والبكاء لأن هذا غضب الله . وأضاف ميخائيل الدمشقي إلى ذلك أن الدولة أهدت الوزير قدراً كبيراً من النقود الذهبية تقديراً له « لأنه فتح الشام » ففرقه على جنده ، ولكن أهل الشام أبوا أن يتعاملوا به لأنه كان « عاطلاً » ، حتى إنهم أبوا أن يفتحوا محلاتهم واختفوا فى بيوتهم أسبوعاً إلى أن خرج الباشا إلى الدورة . وعاتق الدمشقي على هذا كله بقوله : « وهذا الدل كله من سماح الله تعالى » .

الزيت بأربعة مصارى ، وغرارة الفصح بثلاثة وسبعين غرشا ، وغرارة الذرة بثمانية وأربعين ، وغرارة الحمص بستين غرشا ، وغرارة العدس بخمسة وثلاثين ، والشعير بخمسين ، وأوقية السماق ^(١) بأربعة مصارى ، ورتل البصل بأربعة ^(٢) مصارى وعلى هذا فقس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وبعد مدة أيام قطع الباشا خرج ^(٣) بعض العساكر والبيارق ، فصاروا يغيرون على القسرايا ، وينهبون الأموال والأعراض والأولاد . ولا تسأل كذلك عن عسكر الباشا ، فإنهم نهبوا البساتين وكسروا الشجر وشلحوا البشر . ومع ذلك فإن الباشا لم يرض بذلك ، وطالما عاملهم بالتأديب والضرب الأليم ، فلم يرجعوا حتى صار يقتل منهم ^(٤) . وأرادت أهل الشام أن تقاهاهم ، لكن لم يجدوا أحدا يأخذ بيدهم ، وأكابر الشام لم تتكلم بخير ، والأمر لله .

(١) نوع من التوابل حامض الطعم يستخدمه أهل الشام في الطعام .

(٢) بعشرة في النسخة التيمورية .

(٣) مرتب أو ملوفا .

(٤) أنصف البديري هنا عبد الله باشا أخته جى ولكن ميخائيل الدمشقي أشار إلى أن الباشا شارك جنوده في نهب أهالي دمشق فقال (ص ٥٢) : « وبالغوا بأن دخل على الوزير في مدة سبعين يوما نحو أربعة آلاف كيس من ظلم أهالي دمشق من الموالى والرعية والحرف ومن النصارى والإفرنج واليهود ومن البستانية ومن أهالي الأراضى ومن أهالي القرايا التي حوالى الشام ، إلى أن فقد القرش من الشام بالسكيلة » . وقد بلغ من التخريب الذي حدث بدمشق أنه — في رواية =

وبهذه الأيام نفي الباشا نقيب الأشراف حمزة أفندي إلى القدس . وبعد مدة جاء فرمان مع قبجي بأن عبد الله باشا الشنيجي والى الشام له الأمر المفوض بفعل ما يريد بلا مشاورة . ثم لأنه تحرك لسفر الدورة ، فأمر بإخراج المدفعين اللذين في باب القلعة ، وكان لهم سنين وأعوام لم يخرجوا ، فعمل لهم عربات [٥١ ب] ومن الحديد حلقات ، بلغ وزنهم مع الخشب ثلاثة وثلاثين قنطارا ، وخرج بهذا طالباً سفر الدورة ، وعمل شواهي مثل المدافع الصغار وركبها على ظهور الجمال تدور يمينا وشمالا ، ثم أمر العامة أن يجرّوا المدافع الكبار ، فقتل منهم رجلان وتحطم منهم جماعة . وقد فرضت جماعته على الحارات والأسواق مال ، فلبّوه باستعجال .

ولما خرج الباشا إلى الدورة شققت مسلحه رجلا . وجاء بعض أعوانه برجل شريف ، وقالوا : هذا قوس مع الانكشارية ، فخالاً أمر بخنقه ولم يشار أحد . وصار الآخر يظلم وهذا يجور ، وزاد البلاء والغلاء ، وجلس على كل حانوت من حوانيت الخبازة واحد من أهوان الحاكم ، وذلك من كثرة ازدحام الخلائق وكثرة النساء والأولاد

= القاري (٨٣) — لا « وصل خبر الشام إلى الدولة العلية بأن الشام انهدمت وما بقي منها شيء إلا عادم النفع جهزوا قبجي باشي ومعمار باشي ومعهم بناؤف لعمارة جامع الأموي وعمارة القلعة » .

فتسمع لهم بكاء ونحيبا يقطع القلوب والأكباد . والأمر لله
لأنه مراده .

وفي تلك الأيام جاء الخبر بقتل أسعد باشا بن العظم وإلى
الشام سابقا^(١) . وبعد أيام جاء قبجي من جهة الدولة بخم سرايته
وضبط ماله وختم بيوت جميع أنبائه وأعوانه وضبط ماله ورفعهم
إلى القلعة ، وازدادت الشدة ، وصارت أمور وأهوال في دمشق الشام
ما وقعت في سالف الأزمان . ثم جاءت أتباع ابن العظم أسعد
باشا ، ودخل القبجي إلى السرايا ، فأخرج الدفائن العظيمة من سرايته
فإذا هي كالكنوز المدودة فيها ، فأخرجوا من الأرض ومن الحيطان
والسقوف والأحواض حتى من الأدبات دراهم ودنانير وأمتعة
نفيسة لا تقام بقيمة ، ومجوهرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله
تعالى^(٢) والحكم لله العليّ الكبير .

(١) لم يذكر البديري تعليلا لمصرع أسعد باشا العظم ومصادرة أمواله . وقد
ذكر الحوري قسطنطين الخلصي في بعض تعليقاته على تاريخ الشيخ ظاهر العمر
للصباغ (ص ٧٦) أن حسين باشا مكى اتهم سلفه أسعد باشا أنه بسبب نقله عن ولاية
دمشق أغرى العربان بنهب الحاج (وقد مرّ بنا هذا الحادث الشنيع) ، فلما تحقق للدولة
صدق هذا الاتهام صدر الأمر بإعدامه خنقا في الحمام ، بعد أن كان قد صدر أمر بعدم
رفع السلاح عليه ، وقد تابعه في هذه الرواية ميخائيل الدمشقي (ص ٥٩) .

(٢) قدّر ميخائيل الدمشقي (ص ٦٠) أن مقدار ما صودر من متاع الباشا
وأمواله ومجوهراته وخيله وعبيده بلغ نحو ١٠٠ ألف كيس ونيف ، وقال إن
أسعد باشا العظم قُتل في صيواز (سيواس) .

وفي يوم الخميس رابع رمضان جاء الباشا من الدورة ودخل دمشق. وفي سابع عشر شوال خرج عبدالله باشا الشنقي للحج الشريف، وكب عظيم وعسكر جرّار .

وبتلك السنة تُوفي الشيخ أحمد المنيني^(١) الحنفي خطيب الجامع الأموي رحمه الله تعالى . وجاء سيل عظيم في مربعية الصيف نزل في قرية جبة من قرب يبرود، وكان نزوله في أول الليل ، فما كان إلا ساعة حتى أخذ قرية جبة عن بكرة أبيها ، ثم مرّ على يبرود، فغطى جميع الكروم وهدم وقتل، ثم وصل إلى قرية النبك يهدر في جريه مثل الرعد، فأتلف بها كثيراً . نسأله تعالى اللطف بالمقدور .

سنة ١١٧٢

ثم دخلت سنة اثنين وسبعين ومائة وألف، وكان أوّل محرّمها^(٢) هـ (١٥٢) الثلاثاء وكان المتسلم في الشام من قبل عبد الله باشا سليمان آغا ، وكان ظالماً غاشماً على ما نقلوا . وكان مجيء جو قدار

(١) نسبة إلى قرية « منين » من قرى دمشق . وصفه المرادي (سلك الدرر ج ١ ص ١٣٤ - ١٤٥) بأنه كان « ألعياً لغوياً نحويّاً أدبياً أريباً حاذقاً لطيف الطبع حسن الخلال » ، درس بالجامع الأموي ومدارس أخرى بدمشق وأخذ عنه كثيرون . وألف كتباً كثيرة أكثرها في الفقه .

(٢) يوافق ٣ سبتمبر (أيلول) ١٧٥٨ .

الحج سُلخ محرم الحرام . وكان سردار الجردة عبد الرحمن باشا باشة طرابلس^(١) . وفي خامس صفر الخير كان دخول الحج الشريف إلى الشام . وكانت سنة راحة لكافة الحجاج ، وذلك بسبب أن الباشا قد قتل من العرب بين الحرمين ما لا يُحصى ، حتى قتل شيخ العرب^(٢) . وجاء تقرير الشام للباشا قبل وصوله إلى الشام .

وكانت هأة رمضان ليلة السبت ، وضربت المدافع في الثلث الأخير من الليل . والفلوس كل أربعة وعشرين بمصرية^(٣) . وثبت عيد الفطر قبل ظهر يوم الأحد ، وصلوا العيد قبل الظهر ، ونظر الناس بعد أن كانوا صائمين .

وفي سادس عشر شوال توجه الحاج عبد الله باشا الشنقي أميراً على الحاج ، ورافقه في الركب نائبه السيد باشا العظم واليا لجددة ، وأخذوا معهما عساكر كثيرة ، خيفه من العرب من قتل عبد الله باشا لشيخهم وجنوده . وفي سابع والعشرين من اسرم قدم جوقدار الحج الشريف وبشر بكل خير . وعزل عبد الله باشا الشنقي مساعد شريف

(١) ذكره القاري (ص ٨٢) باسم عبد الرحمن باشا الشنقي .
 (٢) ذكر المرادي (ج ٣ ص ٨١) في ترجمته لعبد الله باشا : « أذهب الله على يديه مرده طائفة حرب ، وأفرد تلك الواقعة بالتأليف السلامة السيد ... البرزنجي وسماه : « النفع الفرجي في الفتح الشنقي » .
 (٣) انظر ما سبق ذكره عن أسعار العملة .

مكة ، وأقام أخاه جعفر مقامه ^(١) . وكانت وقفة الحاج الجمعة ، ونهار السبت .
سابع صفر دخل الحاج الشريف لدمشق الشام ، وهو بغاية الصحة .

ثم بعد دخول الحج أمر عبد الله باشا منادياً ينادى في الشام
يرفع الظلم والعدوان والعدل من الحكام والرعايا ، وصار يتبدل
ويختفي ويدور في شوارع الشام وأزقتها . فخصت الراحة عموماً
بإبطال الشرور وانعدام أهل الفجور . وكان الباشا قد قطع خرج
غالب عسكره وأمر برحيلهم من الشام ، وأن لا يبقى بها من لا شغل
له ولا صنعة ، فرحل خلق كثير ، وأرسل جميع جماله إلى حماة . وكان
ذلك من لطف الله بالشام وأهلها ، والغلاء مطنب كما تقدم . وكان
قاضى الشام رجلاً صالحاً ، فعمل محتسباً وصار يدور بنفسه على السوق
ويعير الموازين والأرطال والأواق ، فالذى يجد أوافه ناقصاً يضربه
عاقبة على رجله ، والذي يجد أوافه تامة يعطيه مصرية من فضة .

ودخل ربيع الثانى الموافق تشرين ثانى ^(٢) ولم ينزل من السماء
قطرة ماء . وفى ليلة الثلاثاء ثامن ربيع الثانى من تشرين الثانى من هذه
السنة فى الثلث الأخير من الليل والمؤذنون فى المآذن يشتغلون
المراسلة [كذا] صارت [٥٢ هـ] زلزلة خفيفة ، وتبعها ثانية ثم ثالثة

(١) ذكر المرادى (المصدر السابق) أنه بعد عودة الباشا من الحج عاد الشريف
مساعد وأزاح أخاه عن شرافة مكة وولها ، وشكا الباشا إلى الدولة ، فكانت هذه
الشكوى « أقوى سبب » لمزله عن ولاية دمشق .

(٢) هو شهر نوفمبر .

زُلزِلت منها دمشق زلواً شديداً ، حسببت أهل دمشق أن القتيامة قد قامت ، فهُدِّمت رؤس غالب مآذن الشام ودور كثيرة وجوامع وأماكن لا تحصى ، حتى قبة النصر التي بأعلا جبل قاسيون زلزلتها وأرمت نصفها ، وأما قرى الشام فكان فيها الهدم الكثير ، والقُتلى التي وجدت تحت الهدم لا تحصى عدداً . وفي الليلة الثانية زُلزِلت أيضاً في الوقت الذي زُلزِلت فيه الأولى ، ثم حصلت في وقت صلاة الصبح وبالنهار أيضاً ، ولا زالت تتكرر مراراً لكنها أخفّ من الأولين . وقد زاد الخوف والبلاء ، وهجرت الناس بيوتهم ، ونامت في الأزقة والبساتين وفي المقابر والمرجة ، وفي صحن الجامع الأموي . وفي هذه الزلزلة وقع خان القنيطرة على كل من كان فيه ، فلم يسلم من الدواب والناس إلا القليل ، وكذلك خان سمسع^(١) . وقد وردت الأخبار إلى دمشق الشام أن بعض البلاد والقرايا انهدمت على أهلها ، فلم يسلم منها ولا من دوابها أحد^(٢)

ثم في ليلة الثلاثاء الساعة العاشرة من الليل خامس ربيع الأول انشَقَّت السماء وُسِّمِع منها صرِيخ ودمدمة ودويٌّ وهول عظيم ، حتى إن بعض أهل الكشف رأى أن السقوف ارتفعت ، وظهرت النجوم

(١) القنيطرة وسمسع بلدان صغيران يبعدان عن دمشق بنحو ٦٠ كيلو مترا إلى الجنوب الغربي منها .

(٢) خربت بملك وماجاورها من القرى ومات منها خلق كثير : مصادر

وعادت السقوف كما كانت . ووردت أخبار أن في بعض البلاد انطبق جبلان على بعض القرى ، فذهبت القرى ولم يظهر لها أثر . وفي ليلة الجمعة الثامن عشر^(١) من ربيع الأول في محل^(٢) أذان العشاء خرَّ نجمٌ من السماء من جهة الغرب إلى جهة الشرق ، فأضاءت منه الجبال والدور . ثم سقط فسُمِع له صوتٌ عظيمٌ أعلا من (صوت)^(٣) المدافع والصواعق .

وفي الزلزلة الأولى وقعت صخرة عظيمة في نهر القنوات فسَدَّت النهر ، وانقطع الماء عن البلد أحد عشر يوما ، وبقيت قُطَاع الأحجار يقطعون فيها أحد عشر يوما ، فصارت الناس في غمٍّ غمَّ الزلزلة وغمَّ قلة الماء .

وفي ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني في الساعة الخامسة صارت زلزلة عظيمة أعظم من الأولى بدرجات . وقد صارت معها رجّة مهولة أسقطت غالب بقية المآذن ، وأرمت قبة الجامع الأموي الكبيرة والرواق الشامي جميعه مع مدرسة الكلاسة وباب البريد وأبراج القلعة وغالب دور دمشق ، والذي سالم من الوقوع تناثر من بعضه البعض ، وقتل خلق كثير خصوصا في القرايا ، ورحلت الخلائق للبساتين

(١) السابع عشر : في النسخة التيمورية .

(٢) أى وقت .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

واللجبال والترَّب [٥٣ ب] وإلى المرجة ، ونصبوا بها وبالبرارى
الخيام وناموا بعيالهم وأولادهم ، ومع ذلك فلم تبطل الزلزلة
والرجفان لاليل ولا نهارا . ثم أمر عبد الله باشا الشنقى وإلى الشام
وفقه الله تعالى منادياً ينادى بالناس أن يصوموا ثلاثة أيام وأن
يخرجوا فى اليوم الرابع إلى جامع المصلّى ، فإنه مشهور بإجابة الدعاء فيه .
فخرجت الناس من كل فج عميق إلى المصلّى ، وخرج حضرة الرزير
معهم وجميع الأعيان والمفتى والقاضى ، وخرجت العلماء وأهل الطرق
والصوفية والنساء والأولاد ، ولازموا الدعاء فى المصلّى ثلاثة أيام
بضجيج وبكاء وخشوع كيوم عرفات ، بل كوقوف القيامة ، فرحمهم
أرحم الراحمين ، وعاملهم باللطف والتخفيف ، فصارت الأرض تحتلج
اختلاجاً خفيفاً ، ولم تزل الناس فى البساتين والبرارى خائفة حتى
نزل عليهم الثلج المطر وصار الجليد إلى أن خفّت [الزلزلة] ورجعت
الناس خائفين .

وفى أواسط جمادى الأولى قدم القاضى إلى دمشق الشام ، واسمه
رضا أفندى ، ولم يحرك ساكناً .

وفى (ثامن) ^(١) جمادى الثانى ظهر خبر بدمشق أن عبد الله باشا
الشنقى وإلى الشام معزول . وفى ثالث شهر جمادى الثانية ^(٢) . وفى يوم

(١) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) بقية العبارة ساقطة من النسخ التى اطلعنا عليها .

الخمس ثلثي وعشرين جمادى الثانية رحل الحاج عبد الله باشا الشنقي
إلى منصب ديار بكر على ما قيل .

وفي ليلة الاثنين الخامسة والعشرين من جمادى الثانية قبيل السحر
صارت في الشام أيضاً زلزلة خفيفة أخفّ من الزلازل المتقدمة .
ثم شاع الخبر بين الناس أنه سيحدث زلزلة عظيمة ، ففرعت الناس
فرعاً شديداً ، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الخوف والفرع
والخروج للبساتين والمقابر ، نسأله تعالى اللطف .

وفي نهار الاثنين غرة رجب المبارك من هذه السنة^(١) دخل وإلى
الشام محمد باشا الشالك^(٢) بن بولاد باشا لدمشق بموكب عظيم ضخوة
النهار ، وخرجت لملاقاته الأكابر والأعيان والأفندية والأغاوات ،
وخرجت الإنكشارية بالخيول والعُدَد المطلية والدروع الداوودية ،
وخرجت القبول بالعدد الكاملة .

(١) يتفق القارى (ص ٨٣) مع البدرى في النهر الذي يُعزل فيه عبد الله باشا
(أو عبدى باشا) من ولاية الشام وهو شهر جمادى الثانية ، كما يتفقان في الشهر الذي
دخل فيه الوالى الجديد وهو شهر رجب . ولكن البدرى يذكر سنة ١١٧٢ بينما
يذكر القارى سنة ١١٧٣ . ولكن تاريخ البدرى أضبط ، كما يتضح من تسلسل
الحوادث والمقارنة بين الروايتين .

(٢) كتبه القارى (من ٨٣) «الشاليك [جالق]» وقال إنه «كان حاكماً مهابةً
وكان ذا مال عظيم» ، ولكن لما عزل «ما صدقت الناس من عدة فرحهم بعزله
لأنهم ظنوا فيه خيراً لظلمهم ، وكان ظملاً بخيلاً» .

وفي يوم السبت سابع رجب دخل نعمان باشا حاكم صيدا ،
فدخل في موكب عظيم ، وخرج للملاقاة والى الشام محمد باشا الشالك
ومعه الأفندية والأكابر والأغوات ، وأنزله والى الشام عنده ،
وأنزل كل آغا من أغواته عند آغا من أغوات الباشا ، ثم أقام في
ضيافة والى الشام محمد باشا ثلاثة أيام وأربعة [٥٣ ب] ليال ،
ورحل لمحل وظيفته ومنصبه بصيدا .

وفي نصف شهر رجب جاء ريح عظيم استمر أربعة أيام ولياليها ،
حتى هدم أماكن كثيرة ، ولم يبق من الأشجار إلا القليل ،
وارتجاج من الزلازل لم تبطل لا ليلا ولا نهارا ، مع وقوع الغلاء
حتى في الخضروات ، فرطل الخبز^(١) بخمسة مصارى ، ورطل
الباذنجان بخمسة وعشرين مصرية ، ورطل البصل بتسعة مصارى ،
ورطل اللحم بقرش وربع لم يوجد ، ورطل السمن بقرش ونصف
وربع . والبقية على نحو ما قدمنا .

قال المؤرخ البديري : والفقر لم يوجد معه ولا منقير ، والهدم واقع
من الزلازل في كل وقت وحين ، والناس رحلت إلى أرض الفلاحين ،
والله تعالى هو المعين .

وفي نهار السبت الثانى والعشرين من رجب جاء قبجى من

(١) القول : في النسخة الظاهرية .

حرف الدولة العلية واسمه سباخ زادة لأجل الكشف على الجامع
الأموي وعمارة قبته وجهته الشمالية ومآذنه المهدومة في الزلازل ،
ومعه باش معمارى وفعلة ورجال لأجل مباشرة تعمير الجامع
المذكور .

رى عاشر شعبان سار وإلى الشام محمد باشا الشالك إلى الدورة
وأخذ معه أحمد بشه بن القاطقجي (ومعه محمد أغا بن دالى وابن بكماز
اللذين كانا هاربين مع ابن القاطقجي)^(١) . فلما وصل محمد باشا ومن
معه إلى نابلس توفي أحمد بشه ابن القاطقجي ، ودُفن بها ، وكان موته
بالتاعون ، لأن مبادئ الطاعون وقع خفيفاً من شهر جمادى الثانية ،
ولم يزل يكثر في رجب وشعبان ، كما وجود الغلاء كما يأتى .

ثم دخل شهر رمضان المبارك نهار الخميس ، وصار العيد يوم
الجمعة ، فصار عيداً للأَمْوات والأحياء ، سكتة للأَمْوات أكثر . فقبل
عيد الفطر بيومين وبعده بيومين يخرج من كل باب من أبواب
دمشق عن مات مطعوناً في كل يوم نحواً من ألف جنازة والعياذ بالله .
وهذا شيء ما سمع من عهد طاعون عمواس^(٢) ، نسأله تعالى .

(١) الكلمات بين القوسين ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٢) هو الطاعون النسهر الذى أصاب المسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب .

اللفظ فيما جرت به المقادير . وصار النقص أيضاً في المأكلة ، حتى
 صارت أوقية الجازك^(١) بمصريتين ، والمشمش رطله بأربعة وعشرين
 مصرية ، ورطل النوت بمائة مصارى ، ورطل التفاح بأربعة وعشرين
 مصرية ، ورطل الأنجاص^(٢) بثلاثين مصرية ، ورطل الثوم بثلاثين مصرية ،
 ورطل البصل بسبعة مصارى ، واللحم والأرز وغيره على نحو ما قدّمنا ،
 وقد طال الأمر وكثر القهرو زال السرور ، وزادت البغضاء والشروع ،
 ولم يدر الإنسان أين يدور ، من شدة البسكاء والنفور ، ولله عاقبة الأمور .
 وفي يوم الجمعة [١٥٤] الخامس عشر من شوال سار محمد باشا الشالك
 بالركب الشامى إلى الحرمين الشريفين . وبعد يومين سار الحاج بمهماته
 وبعد أيام جاء عثمان باشا^(٣) والى مدينة طرابلس سردار الجردة ، وكان

(١) الجازك كالبرقوق ولكنه أخضر ، ويعمل إلى أكله العامة في الشام
 وخاصة الصغار .

(٢) الكثرى .

(٣) كان عثمان باشا من ممالك أسعد باشا العظم وأصله كرجى ، وقد جعله الباشا
 متسلماً عنه في حماة ، ثم أصبح وكيله ، ولهذا دعى أحياناً بالوكيل . وبعد أن قُتل
 مولاه أخذ عثمان إلى القسطنطينية ليؤدى حساباً عن ثروة سيده ، فأظهر عثمان
 إخلاصه للدولة ، ودلها على أموال أسعد باشا وذخائره كاملة ، فدعى بالصادق وكافأته
 الدولة بتعيينه وزيراً ذا ثلاثة أطواخ ، وجعلته على ولاية طرابلس ثم دمشق بعد عزل
 محمد باشا الشالك في نوفمبر سنة ١٧٥٩ فبقى والياً عليها اثنتى عشرة سنة [١٧٧٣ —
 ١١٨٥ = ١٧٥٩ — ١٧٧١] وعهدت إليه الدولة بالقضاء على الشيخ ظاهر العمر
 وأغاثته على ذلك وشجعت بتعيين ولديه محمد باشا على طرابلس ودرويش باشا على صيدا .
 انظر : القارى ص ٨٣ ، الأمير حيدر الشهابى ج ١ ص ٥٥ ، الصباغ ص ٩٩ ،
 الراوى ج ٣ ص ١٦١ .

نزوله مدة إقامته في قرية من القرايا من غير أسف ولا ندم^(١)، وسار مسافراً في ذى الحجة مع كواخى صيدا ونابلس .

وفي نصف ذى الحجة [توفي] الشيخ أحمد بن سوار^(٢) شيخ الحنابلة، وكان علامة زمانه ووقته، وله شجاعة زائدة وبراعة في العلوم متزايدة، وصار له مشهد عظيم، ودفن في تربة قبر السيدة عائشة . وبعده توفي ابن عمه الحبيب النسيب الشيخ سليمان^(٣)، وكان يعمل الحنابلة في جامع الأموي وفي جامع البروري الذي في محلهم . وبهذا الشهر أيضاً توفي العالم العلامة مفتي السادة المالكية الشيخ يوسف أفندي^(٤)، وصار له مشهد عظيم، ودفن بـ مرج الدحداح : رحمه الله تعالى .

(١) يشير البديري هنا إلى أن عثمان باشا لم يبد الندم على ما كان منه إزاء سيده أسعد باشا .

(٢) في النسخة الظاهرية جاء اسمه : الشيخ محمد بن سوار ، والصواب الشيخ «أحمد» على ما جاء في النسخة التيمورية . يؤيد هذا ما رواه المرادي [ج ١ ص ١١٣] من أنه لما حدثت الزلزلة العظمى بدمشق لجأ الناس إلى الشيخ أحمد ابن سوار شيخ الحنابلة بدمشق وقدموه للدعاء ، فدعا وأبتهل والناس خلفه . وقد جعل المرادي وفاته في سنة ١١٧٣ بينما ذكرها البديري في أواخر سنة ١١٧٢ . والحيا ذكرته خاص بقم في الجامع الأموي في شهر رمضان . انظر ص ١٨٠ .

(٣) ترجم له المرادي في سلك الدرر ج ٢ ص ١٥٩ — ١٦٠

(٤) تولى إفتاء المالكية بعد أخيه ، وجمع إلى الإفتاء التدريس ببعض مدارس دمشق ، وقد جمع مالا كثيراً أنفق على من كان حوله من الريدين والنشدين . وقد توفي في الطاعون الذي فشا في دمشق في تلك الأيام [المرادي : سلك الدرر ج ٤ ص ٢٤٥] .

ثم دخلت سنة ثلاث^(١) وسبعين ومائة وألف ، وكان غرة محرم^(٢) الثلاثاء ، وكان دخولها في اشتداد الحر . وفي السابع والعشرين من المحرم قدم جو قدار الحج الشريف ، وبعده دخل الكتّاب ، وأخبر أن هذه الحجة بغاية الراحة ، وأن عثمان باشا سردار الجردة صنع من الخيرات في هديه [أشياء] ما صنعها غيره . وذلك أنهم لما التقوا بالجردة وجدوا عثمان باشا سردار الجردة قد سبقهم ، وفي انتظارهم له إحدى عشر يوما مقيم في هدية^(٣) ، وهذا ما سبق لأحد قبله . وقد أغاث الحاج بالإكرام ، فقد أطعم الجائع وسقى العطشان ، وركب العيان وكسا العريان . ثم [لما] وصلت أفعاله الحسنى إلى الدولة العلية صانها المولى من كل بلاء وبلية وجّهوا عليه إمارة الشام ، ووجهوا الولده محمد باشا هدينة طرابلس .

وفي نهار الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول جاء قبحى بعزل محمد باشا الشالك من الشام وتبوجيها لعثمان باشا سردار الجردة .

(١) جاءت في النسخة الظاهرية : سنة أربع وسبعين ، وليس بصحيح .

(٢) يوافق ٢٥ أغسطس [آب] ١٧٥٩ .

(٣) هدية (الأولى) بمعنى أخصيته وهدية (الثانية) مكان في الحجاز في طريق الحج ، يقع على بعد ثلاثة أيام من المدينة و ٢٢ يوما من دمشق . وقد جرت العادة أن تنج الجردة من دمشق إلى هدية ، فتقيم بها أياما ربنا تواتها قافلة الحاج ، فيكون الحاج ضيوفا على الجردة في هذه الأيام ، ثم تعود القافلتان إلى الشام .

وفي هذه الأيام بوشر بعمارة جامع الأموى ، فدخلته المعمارية
والنجارون والدهانون والحجّارة ، وبذلوا الهمة بتعمير القبة والجهة
الشرقية وما سقط من المآذن وتحسين جميعه^(١) ، ولا يُفتح إلا في
وقت الصلاة فقط . والعمارة أيضاً مشغلة في القلعة وترميمها ، وقد
تمت عمارة القلعة في شهر رجب سنة تاريخه ، وتمّ تعمير الجامع
الأموى والجهة الشمالية والقبة وترميم المذائر وتحسينه في شهر رمضان
من [٥٤ ب] هذه السنة .

وقيل شهر رجب سار عثمان باشا إلى الدورة ، وفتح فيها قلعة
طرطورة^(٢) ، وكانت تلك القلعة في [يد] الظاهر عمر . وقتل (كذا) ،
ولما رجع عنها عثمان باشا أخذها الظاهر عمر بقوة جيشه بلا
محاصرة .

وفي هذه السنة المطر غزير والطاعون المفرط والوباء زائد الحدّ
والفاكهة قليلة جداً ، والغلاء مطنب كما أسلفنا : فالرمانة الواحدة بثان

(١) ذكر الرادى في ترجمته لعثمان باشا (ج ٣ ص ١٦١) أنه في سنة ١١٨٣
بنى قناة داخل صحن الجامع الشريف الأموى وأجرى لها الماء من نهر القنوات ،
وصرف على ذلك أموالا كثيرة ، وصار بها فرج للناس عند انقطاع نهر باناس .
(٢) كان والى دمشق — كما قلنا قبل ذلك — يخرج (للدورة) في إقليم
نابلس ، وقد ذكرت هذه القلعة باسم الطرطير قرية بجبل نابلس [الأمير حيدر
الشهابى ج ٣ ص ٨١٧] وذكرها مؤرخ ظاهر العمر باسم الطنطورة ، وقال إنها من
جبل نابلس أيضا ، والمعروف أن على بك الكبير الأمير المملوكى كان حليفاً للشيخ ظاهر
العمر في حربه ضد عثمان باشا الصادق ، وقد دخل محمد أبو الذهب دمشق ثم ارتد
عنها سنة ١١٨٤ (١٧٧٠) .

مصارى وأوقية التفاح بسبع مصارى ، ورطل الفحم بخمسة عشر
مصرية ، وأوقية السمن بسبع مصارى ، وأوقية الزيت بثلاث مصارى ،
وبقية المقتاتات على هذا النمط كما أسلفنا ، وأما القيمق ^(١) فقد صار
رطله بريال ، وما بقى للفقراء حال . وفى اثنين وعشرين شعبان من
هذه السنة جاء عثمان باشا من الدورة وأحواله مسرورة . ونهار الاثنين
ثبت رمضان المبارك ، وثالث ليلة منه والناس فى صلاة التراويح
صارت زلزلة مزعجة ، فقطعت الناس صلاة التراويح ، وتهاربت
الناس ، وداست بعضها بعضا ، وانذهلت عقولهم وفقدت أراجيلهم
وبعض ثيابهم ، وثانى ليلة حصلت أيضا مع رجّات لا تُدرك .

سنة ١١٧٤

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة وألف ^(٢) . وكان عثمان باشا
والى الشام فى الحج أميرآ له . ولما جاء الحج أخبر أن هذه الحجة من
أبرك الحجج برخاء ورخص وأمان .

وفى تلك السنة جاء قبجى يأمر بالزينة العظمى ^(٣) ، ونادى عثمان

(١) وهو مانسميه (القطايف) فى مصر

(٢) يوافق أولها ١٣ أغسطس (آب) سنة ١٧٦٠ .

(٣) ذكر المرادى فى ترجمته لعثمان باشا (ج ٣ ص ١٦١) أن هذه الزينات
أقيمت بأمر من الدولة بمناسبة مولد (السلطان) سليم (الثالث) .

باشا أن من عنده لعبة ولو كانت من الطين والخشب أو عنده معرفة
بأبواب السِما التي تسمى بالملاعب فله عندى الإكرام الزايد ، فبذل
جانبا من المال وأعطى ومنح ، ودارت العرايض ^(١) بأنواع الملاعب
وعملت جميع الصنائع والحرف ، ومشت بمواكب عديدة مذهشة ،
منهم بالأسلحة والعدد والدروع الفاخرة ، ومنهم بالثياب (المشتمة) ^(٢)
المنوعة . والحاصل حصلت زينة ما سمعنا ولا رأينا أنه صار
نظيرها ^(٣) .

وبتلك السنة ركب عثمان باشا والى الشام على قلعة صهيون ^(٤)
وفتحها ، فأمن الخاييف وقتل الرواجف . وفي تلك السنة أيضا جاء
خبر إلى الشام بقتل عبد الله باشا الشنجي ، وضبطت الدولة ماله
ونواله ، وراح كأنه ما كان .

(١) جمع عراضة وهي الموكب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من النسخة الظاهرية .

(٣) نوه القارى [وزراء دمشق ص ٨٣] بهذه المواكب والزينات كما أشاد
بميراث الباشا عثمان كإجرائه المساء في الجامع الأموى وصنع كسوة جديدة للمحمل
وتعمير سبع قلاع في طريق الحاج ، عسدا « تسع عشرة خيرة ما بين عمارة قلاع
وتتميز وقطع صخر » .

(٤) صهيون جبل جنوب القدس . ولعل الصحيح ما ذكره مؤرخ الشهابيين
في حوادث سنة ١١٧٨ [ج ١ ص ٦٣] من خروج عثمان باشا إلى « قلعة سانور »
بجبل نابلس لقتال صاحبها محمد الجرّار وحصاره القلعة ثم ارتداده عنها .

وقال صاحب خطط الشام [ج ٢ ص ٢٩٩] إن « قلعة سانور من عمل عكا » .

سنة ١١٧٥

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثمانمائة وألف^(١). وكان والى الشام عثمان باشا أميراً بالركب الشامي، وكانت حجة مريجة لم يحصل أدنى كدر للحجاج. وكانت وقفة عرفات يوم الجمعة. ومن الاتفاق العجيب أن عثمان باشا خرج بالركب يوم الجمعة، ووقف على عرفات مع الحج يوم [٥٥] الجمعة، ودخل الشام يوم الجمعة.

وفي مدته لم يحصل في الشام أدنى مكدر، فعدل في الرعية، وعاشت أهل الشام بمدته عيشة هنية. وكان كيخيته سليمان بك مملوك سليمان باشا بن العظم. وكان في موت بيت العظم قد قاسى أهوالاً، فنال بصره آمالاً.

وفي تلك الأيام ورد الخبر إلى دمشق الشام بأن سعد الدين باشا^(٢) بن العظم مات في ديار بكر، وجاء الأمر بضبط ماله، فضبطت الدولة على ماله واستولت على نواله، فقد نقل الثقات أنه خرج عنده مال عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) يوافق أولها ٣ أغسطس (آب) سنة ١٧٦١.

(٢) ذكر في النسخة الظاهرية باسم أسعد باشا وليس بصحيح.

انتهى ما ذكره البديري من هذا التاريخ ، واختصر حوادث السنين الأخيرة جداً
وزاد سنة سهواً (١) . والصحيح ما نقلناه . فسبحان من ليس بغافل ولا ساه .
انتهى ما حررناه بقلم الفقير محمد سيد (٢) أبي جمال ، أحسن الله له الحال والمآل .
وذلك قبيل ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٣١٧ (٣) .
تم الكتاب على يد الفقير خدام العلم الشريف محمد بن المرحوم الشيخ عبد القادر
المجدوب في ميدان الحصا في رجب الحرام سنة ١٣٢٣ (٤) .

-
- (١) ذكر البديري في فاتحة كتابه أنه جمع حوادث دمشق من سنة ١١٥٤ إلى
سنة ١١٧٦ والصحيح كما فطن له النقع إلى سنة ١١٧٥ فقط .
(٢) إلى هنا انتهت النسخة التمورية .
(٣) ١٨٩٩ — ١٩٠٠ م .
(٤) ١٩٠٥ — ١٩٠٦ م .



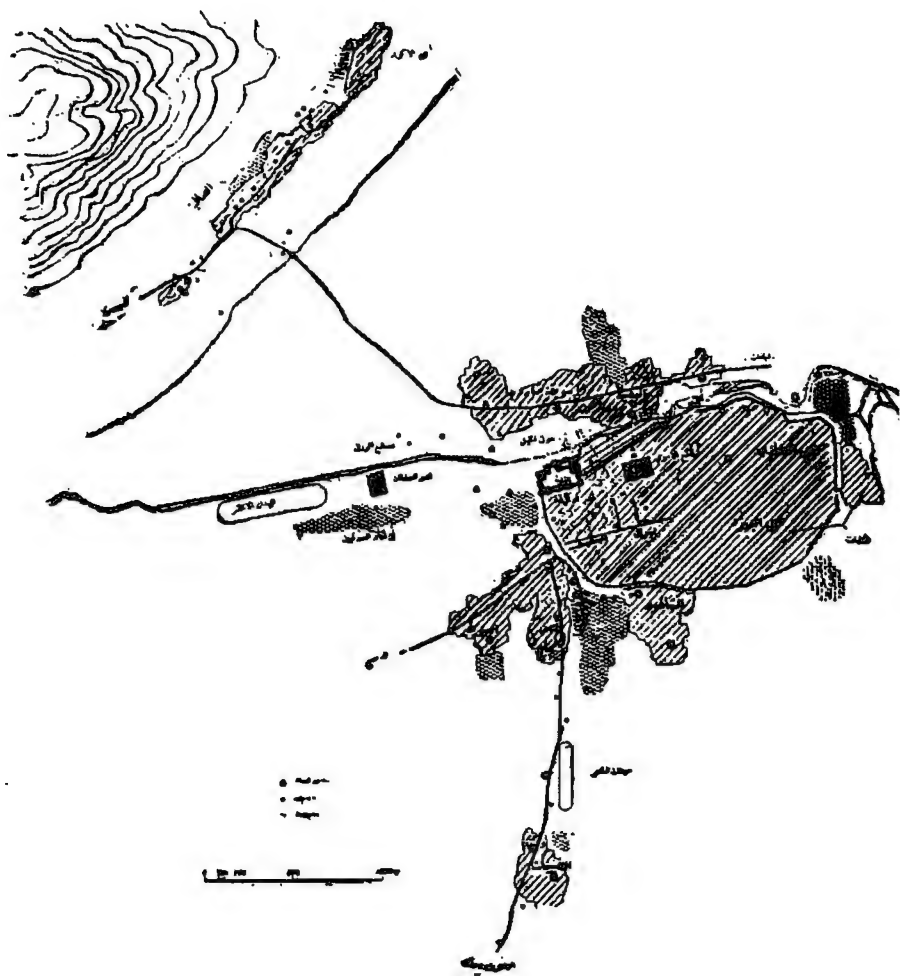
منظر من قصر أسعد باشا العظم

[نقلا عن مجموعة مديرية الآثار بدمشق]



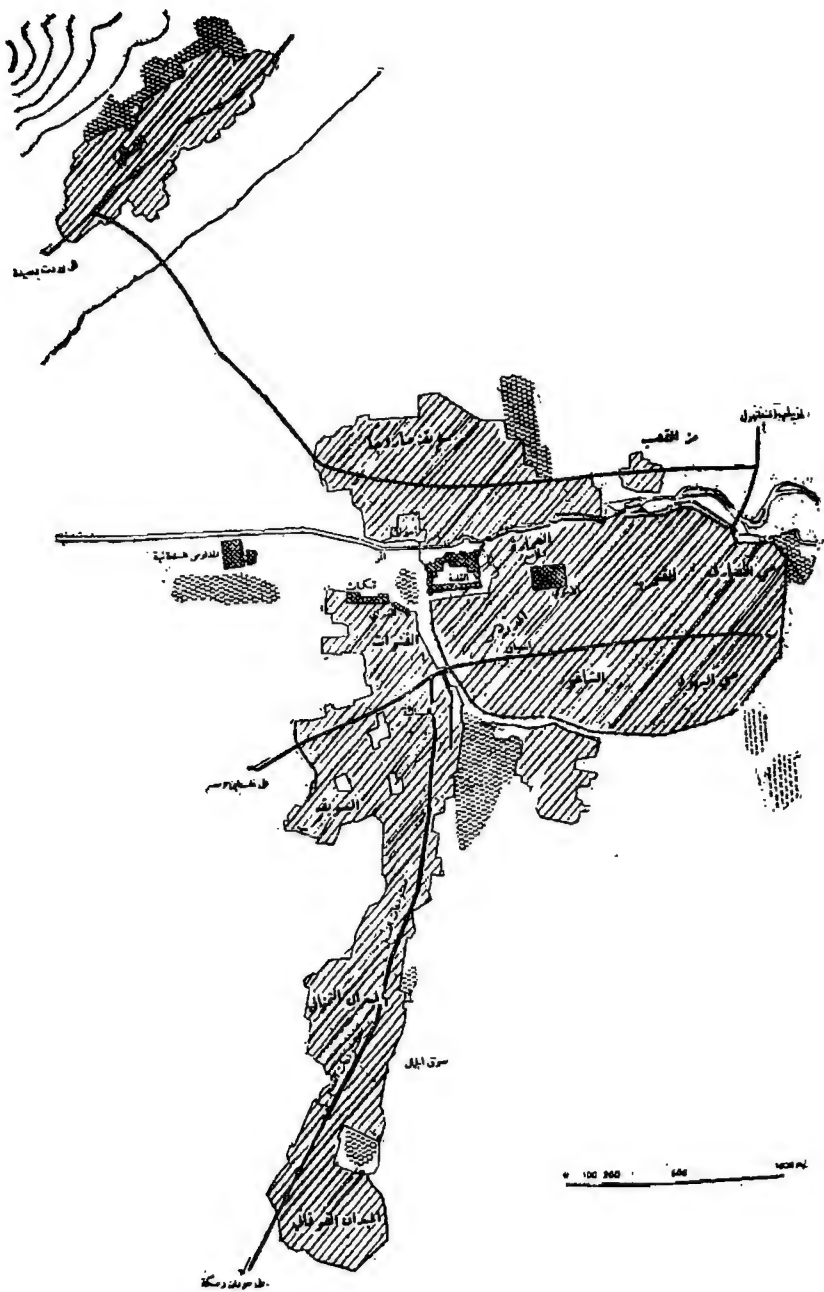
منظر من قصر أسعد باشا العظم

[نقلا عن مجموعة مديرية الآثار بدمشق]



١ — دمشق في أوائل القرن السادس عشر

[نقل عن سوثاچيه : دمشق . لحة تاريخية]



٢ - دمشق في القرن التاسع عشر

[نقلًا عن سوفاجيه : دمشق . لحة تاريخية]

فهارس الكتاب



أولا - فهرس الأعلام

- إبراهيم (بك ابن سليمان باشا العظم) : ٤٥
إبراهيم (الشيخ ، إمام دار السعادة) : ١٠٣
إبراهيم (الشيخ ، إمام المدرسة القفجاسية) : ١٥٥
إبراهيم أغا (أغا أغات القبوقول) : ١٢٤
إبراهيم أغا (متسلم دمشق) : ٣٢ (حاشية) ، ٣٣
إبراهيم أغا بن قوس : ١٧١
إبراهيم الجباوى (شيخ الطريقة السعدية) : ٩١ ، ١٠٣ ، ١١٧ ، ١١٨
١٣١ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٩٢ .
إبراهيم الحافظ (الشيخ ، شيخ قراء الشام) : ٥٢
إبراهيم الحسينى الجرمكى : ٢١٢ (حاشية) .
إبراهيم الحلوانى (السيد) : ١٦٩
إبراهيم بيك السوقية : ٩٣
إبراهيم الكيكى = (مجذوب) : ١٢١
إبراهيم النابلسى = إبراهيم الحافظ
ابن بكماز (من أشقياء دمشق) : ٢٢٨
ابن حمزة = عبد الله بن حمزة
ابن خضرى = مصطفى أغا بن خضرى
ابن خطاب الدالاتى : ١٤٤
ابن الدرزى : ٦٩

- ابن سمرتين : ١٩٦
ابن سياج (معلم نصراني) : ٥٥
ابن عدوان (شيخ قبيلة) : ١٧٦
ابن القلطنجي = أحمد بشه بن القلطنجي
ابن كيوان : ٤٣
ابن مضيان (شيخ عرب بين الحرمين) : ٢٠٥ ، ٧
أبو بكر منلا خنكار : ١١٥
أبو حنيفة : ٢٠٥ (حاشية)
أبو السزور = محمد المصري الأزهرى
أبو سعد (أخو الشيخ ظاهر العمر) = سعد
أبو قبيص = محمد أبو قبيص الكردي
الأثرالك : ٤٣ (حاشية) ، ٤٤ (حاشية) ، ٧٤ (حاشية) ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٥
١٤٦ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦
أحمد (السلطان العثماني) : ١٩٣
أحمد (الشيخ ، شيخ البديري مؤلف الكتاب) : ١٠٧
أحمد (أفندي) : ١٦٨
أحمد (باشا) : ٧٨
أحمد (باشا ، والي بغداد) : ١٠٣ — ١٠٥
أحمد (بك ابن سليمان باشا العظم) : ٣٨
أحمد أغا (أغاغات الإنكشارية) : ٧٨
أحمد أغا (من رؤساء الجند بالشام) : ٦٧ ، ١٣٠
أحمد أغا بن سنان : ١٧٨
أحمد أغا الشريجي (خزندار فتحى أفندى الدفترى) : ٨١

أحمد أغا بن عساكر : ١٢٢

أحمد البابا (رئيس حرفة الدباغين) : ٣٥

أحمد بن بدير البديري (الحلاق الدمشقي مؤلف هذا الكتاب) : ١ ، ٣ -

٥ (حاشية) ٨ (حاشية) ٩ ، (حاشية) ١١ ، ١٣ (حاشية) ١٥

١٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ (حاشية) ٢٩ ، (حاشية) ٣٢ ، (حاشية) ،

٤٣ (حاشية) ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ (حاشية) ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٦ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ (حاشية) ٩٨ ، ١٠١ (حاشية) ، ١٠٢ (حاشية)

١٠٦ ، ١٠٩ (حاشية) ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،

١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ (حاشية) ، ١٦٨ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٤

(حاشية) ٢٠٥ ، (حاشية) ٢١٣ ، (حاشية) ٢١٤ ، (حاشية) ٢١٧ ،

(حاشية) ٢١٩ ، (حاشية) ٢٢٦ ، (حاشية) ٢٢٧ ، ٢٣٦ .

أحمد بشه دقاق (من رؤساء الإنكشارية) : ١١٦

أحمد بشه السحار القيببائي : ١٥٧

أحمد بشه القاطنجي (من رؤساء الإنكشارية) : ٦٧ ، ٦٨ (حاشية) ،

٦٩ ، ١١٦ ، ١٧٧ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٨

أحمد البكري الصديقي (نغذ الصديقين) : ٤٠

أحمد الجلبى (الشيخ) : ١٨٠

أحمد الحرسى (الشيخ ، أمين الفتوى) : ١٥٥

أحمد الحلاق بن حشيش (من مشاهير الحلاقين بدمشق) : ٢٤

أحمد الخطيب (الشيخ ، واعظ وإمام) : ٣٥

أحمد بن زيني دحلان (المؤرخ) : ٤٨ (حاشية)

أحمد بن سوار (شيخ الحيا) : ٢٣٠

أحمد الميمني (الشيخ ، خطيب الجامع الأموى) : ١١٤ ، ٣٢٠

أحمد النحلوى الأحمدي (الشيخ ، من أصحاب الكرامات) :

أسعد (أفندي) البكري: ١٦٣

أسعد باشا العظيم (والى الشام): ٥، ٣، (حاشية) ٨، (حاشية) ١٧، (حاشية)،
 ١٨ (حاشية) ٤٥ (حاشية) ٤٧ — ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٩ —
 ٦٣، ٦٥، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٧ — ٨٢، ٨٥، ٨٧، ٨٩ —
 ٩٣ — ١٠٢، ١٠٥ — ١١٦، ١١٨، ١٢١، ١٢٥، ١٣٤، ١٣٦ —
 ١٣٨ — ١٤١ — ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢ —
 ١٥٤، ١٥٧ — ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧ — ١٧٧،
 ١٧٩، ١٨١ — ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٤،
 (حاشية) ٢٠٩، ٢١١ (حاشية) ٢١٩، ٢٢٩ (حاشية)
 ٢٣٥ (حاشية) .

إسماعيل بن زعيتر: ١١٦

إسماعيل بن الشاوش: ١٢٢

إسماعيل ابن الشيخ عبد الغنى النابلسي (الشيخ): ١٥٠، ١٥١

إسماعيل باشا عثمان زاده (والى حلب): ١٥٣ (حاشية)

إسماعيل المجلوني (أو العجلاني، الشيخ): ١٢٤

إسماعيل باشا العظيم (والى الشام): ٨ (حاشية) ٨٠، ٨٣، ١٠٢،

١٣٢، ١٣٣، ١٧٧، ١٧٩

الأغوان: ١٧٤

الأفجار: ٤ (حاشية)

الأفغان: ٤٤ (حاشية) ١٧٤ (حاشية)

الأقباط: ١٦٤ (حاشية)

الأكراد: ٢٠، ٣٢، ٨٨، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٨، ١٨٥، ١٩٧ (حاشية)

١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢

إلياس السكردي (أو الملا إلياس، عالم): ١٣٥، ١٨٠

أمين بن الحديد (من رؤساء الجند بدمشق) : ٨٧

أمين أفندي ابن الخراط (الشيخ) : ٣٨

أوس بن أوس الثقفى : ١٦٥

باكر بشة الحماي (كتاب الحج) : ٧

باكير (باشا . والى جدة) : ٨٧

البديرى (الشيخ أحمد ، الحلاق الدمشقى مؤلف هذا الكتاب) = أحمد

ابن بدير البديرى

بشير أغا (أغا السراى السلطانى) : ٧٩

البطحيش (من الأشقياء بدمشق) : ١٢٧

البكرى (بيت) : ١٢٤، ١٦٣

بكرى بن مصطفى بن سعد الدين (من سلالة السعدية) : ١٢٤

بلال الحبشى : ٢٥، ١٠٣، ١٠٥، ١٩٠

بنو تلحوق = تلحوق

بنو حرفوش (مشايخ بعلبك) : ٤٢، ٧١ (حاشية) ١٦٠

بنو سعد الدين : ٩١ (حاشية) ١٢٤

بنو السفرجلانى : ٣٤

بنو صخر (قبيلة عربية بفلسطين) : ٢٢، ٣١، ١١٨، ٢٠٤ (حاشية)

٢١٢ (حاشية)

بنو صعب : ٤٢

بنو صقر (قبيلة عربية بفلسطين) : ٢١ (حاشية) ٢٢، ١٠١

بنو العظم : ٣

بنو على الصغير : ٤٣ (حاشية) ١٥٠ (حاشية)

بنو فروخ : ٨٤ (حاشية)

بنو متوال = المتأولة

بنو منكر : ٤٢

بنو يربك (من يوتات الدروز) : ٦٨ (حاشية)

البهلول (الشاعر الأديب) = عبد الرحمن البهلول

بولاد (باشا) : ٢٢٦

الترك = الأتراك

تركان : ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٥٨

تلحوق = بنو تلحوق

التيemor (تيمورلنك) : ٤٠ ، ٢١٥

الجبأوية (طريقة صوفية) : ٩١

الجبهرى (الشيخ عبد الرحمن المؤرخ المصرى) : ١٩ (حاشية) ، ٢٧ (حاشية)

١٦٤ (حاشية)

الجبلة (قبيلة عربية فى طريق حوران) : ٣٣ ، ١٦٠

الجرار (بيت الجرار ، مشايخ نابلس) : ٢٦ (حاشية)

جعفر (شريف مكة) : ٢٢٢

جعفر البرزنجى (علامة مؤلف) : ٢٢١ (حاشية)

حامد أفندى المهادى (متفق الشام) : ٢٩ ، ٣٠ (حاشية) ، ٤٩

١٦٥ ، ١٢٧

حرب (قبيلة) : ٧ (حاشية) ٢٢١ (حاشية)

حرفوش (مشايخ بعلبك) = بنو حرفوش

حسن (السيد ، شيخ شباب باب المصلى) : ١٧٣

حسن (السيد ، من الأشراف) : ١١٠

حسن (باشا . وإلى بغداد) : ٤٤ ، ١٠٣

حسن (باشا) (الصدر الأعظم) : ٧٨

حسن أغا (من رؤساء الانكشارية) : ٧٠ .

حسن تركمان : ٦٩ ، ٧٠

حسن الجباوى : (الشيخ) : ١٩٣

حسن جلبي بن السفرجلاني : ١٢٣ ، ١٦٦

حسن أفندى ابن حمزة : (نقيب الأشراف) : ١٦٥

حسن الطرابلسي : ٥٨

حسن باشا كوبريلي : ٢٠٦

حسن ابن الشيخ يوسف الرفاعي (الشيخ) : ٥٠

حسين أفندى (روزنمجي مصر) : ١٩ (حاشية)

حسين أغا (الاى يك السباهية) : ١٩٩ ، ٢٠٧

حسين أغا بن القطيفاني (متولى وقف سنان باشا ونائب الباشا بدمشق) : ٣٣

حسين بن الحرفوش (صاحب بعلبك) : ٧١ (والحاشية) ١٥٧ ، ١٨٧

حسين مكى (باشا الشام) : ٢٩ (حاشية) ١٥٧ ، (حاشية) ١٨٨ ، ١٩٥

١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ (حاشية) ،

٢١٩ (حاشية) .

حمزة أفندى (نقيب الأشراف) : ٢٠٠ ، ٢١٨

حمزة بك (من رؤساء الإنكشارية) : ٧٠

حيدر الحرفوش : ١٨٧

حيدر الشهابى (الأمير) ٤٣ ، ١١٦ (حاشية)

حيدر الشهابى (الأمير المؤرخ ، صاحب كتاب : القدر الحسان فى أخبار

أبناء الزمان ، أو ، لبنان فى عهد الأمراء الشهابيين) : ٤ (حاشية)

٥ (حاشية) ٨٠ (حاشية) ٩ ، (حاشية) ٢١ ، (حاشية) ٢٩ ، (حاشية)

٤٣ (حاشية) ٥٤ ، (حاشية) ٦٨ ، (حاشية) ٧١ ، (حاشية) ٧٢ ،

(حاشية) ٧٣ ، (حاشية) ٩٣ ، (حاشية) ٩٦ ، (حاشية) ١٠٠ ، (حاشية)

١١٦ (حاشية) ١٣٩ ، ١٥٠ ، (حاشية) ١٨٧ ، (حاشية) ٢١٤ (حاشية)

خاتون شاه : ٦٤

خرما (بنت سليمان باشا) : ٤٦

خليل أغا (من رؤساء الإنكشارية) : ٧٠ ، ١٣٠

خليل أغا (من رؤساء الدروز بالشام) : ٦٧

خليل أغا (طبجى الباشا) : ١٨٦

خليل أغا بن أبى شنب (نائب القدس) : ٢٢

خليل البكرى الصديقى (قاضى الشام) : ١٦٣ — ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،

١٨٠

خليل البياضى (من المجاذيب) : ١٨٣

خايل أفندى الصديقى (مفتى الحنفية بدمشق) : ٧٨

الدالي على باش (جوقدار الحج) : ١٩١

داود (باشا والى بغداد) : ١٠٣

دبوس : ١٠٤

الدروز : ٨، ٢٣، ٤٢، ٤٣، ١٨، ٧١، (حاشية) ٩٣، (حاشية) ٩٤، ٩٥،

٩٦ (حاشية) ٩٧ — ٩٩، ١٠٠، (حاشية) ١٠١، (حاشية) ١٠٢،

١٠٦، ١١٤، ١١٦ — ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٦، ٢٠٠،

(حاشية) ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٤ (حاشية) .

درويش أغا : ١٨٥

الدنكرلى (تابع الشيخ ظاهر العمر وقاتله) : ٢١ (حاشية) .

راغب (باشا) (والى الشام) : ١٩٤، ١٩٥

رسلان بن يحيى القارى (صاحب كتاب وزراء دمشق) : ٤ (حاشية) ٢٩

(حاشية) ٤٦، ٦٢، (حاشية) ١٥٧، (حاشية) ٢٠٦، (حاشية) ٢١١،

(حاشية) ٢١٢، (حاشية) ٢١٣، (حاشية) ٢١٤، (حاشية) ٢١٨، (حاشية) ٢٢٦

(حاشية) .

رضا (أفندى) (قاضى الشام) : ٢٢٥

روفائيل كرامة (مؤلف : مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسورية) : ٢٩،

١١٦ (حاشية) .

الزبيد = عرب الزبيدات

الزبيدات = عرب الزبيدات

زهرا (محظية سليمان باشا) : ٥٨

الزيادنة (قبيلة بفلسطين) : ٢١ (حاشية) .

سبانخ زاده : ٢٢٨

سعد (أخو ظاهر العمر) : ٢٢ (حاشية) ٤٤ ، ٤٥ (حاشية)

سعد الدين = بنو سعد الدين

سعد الدين الجياوى : ٢١٥

سعد الدين (باشا) العظم (والى صيدا) : ٧٤ ، ٨٤ ، ٩٣ (حاشية) ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ (حاشية) ١٦٠ ،

١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ .

سعد الدين المغربي : ١٨١

السعدية (طريقة صوفية) : ٩١ (حاشية)

سعدية قاضين (خاتم = قادين) : ٦٢ ، ٦٦

سعيد السمان (أحد أدباء الشام) : ١٧ (حاشية)

سعيد بن الشاكوش : ١٢٢

السفرجلانى = بنو السفرجلانى

سلمون (من بنات الهوى بدمشق) : ٥٧

سليم (الثالث) : ٢٣٣ (حاشية)

سليمان (بك) (ملوك سليمان العظم باشا الشام) : ٢٣٥

سليمان (بك) (وكيل سليمان باشا) : ٥٨ ، ٦٠

سليمان آغا (متسلم) : ٢٢٠

سليمان آغا بن الحلى : ١٢٢

سليمان بن الحشيش الحسكوانى (أستاذ البديرى) : ٣٤

سليمان بن سوار (الشيخ) : ٢٣٠

سليمان العظيم (باشا الشام) : ٩، ٨، ٣ (حاشية) ، ١٦ - ١٩ - ٢١ ،
 ٢٢ (والحاشية) ٢٣ - ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ (حاشية) ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ - ٤٦ ،
 ٥٤ - ٥٦ ، ٥٨ - ٦٠ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٠ (حاشية) ، ١٥٠ (حاشية) ،
 ١٥٨ ، ١٨١ ، ٢١٣ (حاشية) ٢٣٥ .

سليمان (باشا) أبو ليلة : ١٠٥ (حاشية)
 السماوية : ٩٠ .

سمرتين (ابن) = ابن سمرتين .

سنان (باشا) : ٣٣

سياج (ابن) = ابن سياج .

سيف بن ذى يزن (سيرته) : ٣٤ .

شاهين تلحوق : ١١٦ (حاشية) .

الشدياق = طنوس بن يوسف .

شهاب الدين أحمد بن بدير = أحمد بن بدير البديري .

الشهابيون (أمراء جبل لبنان) : ٨ (حاشية) .

شيخ التكية (أحد اللصوص) : ١٣١٠ .

صالح بن إبراهيم بيك السوقية : ٩٣

صالح الجنيني (الشيخ المحدث) : ٢٠٥

صالح ملا (قاضي الشام) : ١٧٢ ، ١٧٨

الصباغ = ميخائيل نيقولا الصباغ

صخر (قبيلة عربية بفلسطين) = بنو صخر

صعب = بنو صعب

الصفوى : ٤٤ (حاشية) .

صقر (قبيلة عربية بفلسطين) = بنو صقر

طاهر النابلسي (الشيخ) : ١٥١

طنوس بن يوسف الشدياق (صاحب كتاب : أخبار الأعيان في جبل

لبنان) : ٩ (حاشية) ، ١٠٠ (حاشية) ، ١١٦ (حاشية)

طهاسب : ٤٤ ، ٤٩ ، ١٠٤

طوقان (من يوتات فلسطين) : ٢٦ (حاشية)

الظاهر (سيرته) : ٣٤

ظاهر العمر (حاكم طبرية ، وشيخ مشايخ صفد) : ٣١ (والحاشية) ، ٢٢

(حاشية) ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ (حاشية) ، ٤٢ ، ٤٤ - ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٤ (حاشية)

٦٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ (حاشية) ، ٢١٩ (حاشية) ، ٢٣٢

عباس الكردى (متلا . عالم من الأكراد) : ١٣٥

عبد الرحمن (باشا) الكوبرلى (والى طرابلس) : ٢٢١

عبد الرحمن البهلولى (الشاعر) : ٩ ، ٤٠ ، ١٢٣ ، ١٣٩

عبد الرحمن الكفرسوسى (الشيخ) : ١٦٦ (حاشية)

عبد الرحيم بن الاسطنبولية (الشيخ) : ١٠٢

عبد العزيز أفندى السفرجلانى (فقيه) : ٣٤

عبد الفتى النابلسى (الشيخ) : ٦ (حاشية) ، ٩ (حاشية) ، ٢٤ ، ٥٢ ، ١٣٥

(حاشية) ، ١٣٩ ، ١٥١

عبد الفتاح أغا باش شاويش : ١١٧

عبد القادر (شيخ الحلوانية) : ١٦٦

عبد اللطيف بن عبد الهادى : (الشيخ) ١٥٩

عبد الله (باشا) الشنقى : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ (حاشية) ، ٢١٧ (حاشية)

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤

عبد الله أغا كمش أغلى : ٩٦

عبد الله البصروى الشافعى (الشيخ) : ١٩٨

عبد الله الترك (أغا آغات الدالاتية) : ٨٥ ، ١١٨

عبد الله بن حمزه (من رؤساء الإنكشارية بالشام) : ٦٧ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٢٩

عبد الله (أفندى) زاده (قاضى الشام) : ١٩٠

عبد الله (أفندى) سعيد زادة : ١٥٢

عبد الله بن عجلان (السيد ، نقيب الأشراف بالشام) : ٢٩

عبد الله (باشا) بن الكوبرلى : ١٠٢

عبد بن حمزة عنبر (من الزرب) : ٨٧

عبد الوهاب أفندى . (قاضى الشام) : ١٧

عبد الوهاب الدالاتى (الشيخ) : ١٢٨

عبدى باشا . (والد على باشا) : ٤

عبدى (باشا) الحجة جى = عبد الله باشا الشنقى

عثمان (باشا . والى الشام) : ٥٤ (حاشية)

عثمان (باشا) (والى طرابلس) : ٢٢٩ ، ٢٣١ — ٢٣٥

عثمان أغا (خزندار فتحى أفندى) : ٧٥ ، ٨١

عثمان خان (السلطان) : ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢١٠

عثمان طوبال (الأعرج) : ٤٤ (حاشية)

عثمان المحصل (باشا الشام) : ٥٠ ، ١١٠ (حاشية) ٤٥٢

العجلانى (من البيوت الشهيرة بدمشق) : ٢٩ (حاشية)

العجم : ١٠ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ١٤٩ ، ١٦١

عدوان (اين) = اين عدوان

العرب : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ —

٢١٠ ، ٢١١ (حاشية) ١٢١٠

الريان = العرب

عرب اللقاء : ١٧٦

عرب بين الحرمين : ٧ ، ٢٠٥ (حاشية) ٢٢١

عرب الجبل : ١٨١

عرب الحجاز : ١٨٩ ، ٢٠٥

عرب الرشا : ٨٨

عرب الزبيدات : ٣٢ ، ٣٣

عرب السردية : ١٧٦

عرب الشام : ١٨٦

عرب عترة : ٨٨ ، ١٠١ ، ١٨٦

عرب الفريخات : ٩٤

عرب الفضل : ١٨٦

- عرب ابن كليب : ٦٩
 عز الدين أبو حمزة (ولى) : ١٤
 صناف (باشا) . (أمير الحج) : ٨٤ (حاشية)
 العنقصة (تابع فتحى الدفردار) : ٥٠ ، ٥١ ، ٧٥
 على (الشيخ ، مدرس) : ٤١
 على (بك كول أحمد باشا) : ٧٨
 على (باشا والى الشام) : ٤ ، ٧ (حاشية) ، ١٦
 على (أفندى ، السيد ، نقيب الأشراف) : ٢٩ ، ١٣٧ ، ٥٠
 على (أفندى الدقري) : ٢٠٠
 على آغا (متسلم دمشق) : ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨
 على آغا بن الترجان (قائد) : ٢٦ ، ٢٨ ، ٥١ ، ١٧٢
 على آغا شاطر باشى : ٢٩
 على آغا بن قرنق : ١٤٣
 على ابوريشة (باشا الشام) : ٤ (حاشية)
 على الصغير = بنو على الصغير
 على (بك) قطامش (أحد أمراء مصر) : ٢٧ (حاشية)
 على (بك) الكبير : ٢١ (حاشية) ، ٢٣٢ (حاشية)
 على كزبر (الشيخ) : ١٦٥
 على (أفندى) ابن الشيخ مراد : ٥٠
 على (أفندى) المرادى : ٥١ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ٢٠٣ ، ٢١٣
 على المصرى (الشيخ) : ١٦٦
 على بن الأمير ملحم الشهابى : ١٠٠ (حاشية)
 النمادى (من البيوت الشهيرة بدمشق) : ٢٩ (حاشية) ، ١٥٥

عمر (بك أحد أمراء مصر وسجق الخزنة) : ٢٧، ٣٤

عمران (الشيخ) : ١٠٣

عمر بن الخطاب : (الخليفة) ١٩ (حاشية) ، ١٥٩ ، ٢٢٨ (حاشية) .

عمر كبيب (الشيخ ، مؤذن الجامع الأموى) : ٢٠٥

عمر الحمديد = ظاهر العمر .

عمر بن محمد بن إبراهيم الوكيل (كاتب سيرة عبد الله باشا) : ٢١٢

العناقبية : ٢٠٨

عنبر بشه (من رؤساء الانكشارية) : ١١٦

عنقرة (سيرته) : ٣٤

عيسى (الشيخ ، أمام الجامع الأموى) : ١٣٥

عيسى بشه : ١٥٢

الغزى (صاحب تاريخ حلب) : ٧٣ (حاشية) ، ٨٣ (حاشية) ، ١٠٩

(حاشية) ، ١٥٣ (حاشية) ، ١٦٠ (حاشية) ، ٢١٢ (حاشية)

٢١٣ (حاشية)

فتح الله بن أنطون صائغ (صاحب كتاب . : القرب في حوادث الحضر

والعرب) : ١١ (حاشية) ، ٦٠

فتحى (افندى) بن القلانسى (دفترى الشام) : ١٧ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٧ ،

٤٩ - ٥١ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٧٥ - ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٧

الفحيلي (شيخ قبيلة جبلة) : ٣٣

الفخر الغزى = حسين مكى (باشا الشام)

الفتقى : (أحد كبار الأتقياء) : ١٥٦

فروخ (بنو) = بنو فروخ

الفرينجات = عرب الفرينجات

القارى، = رسلان بن يحيى القارى

القاسى = محمد سعيد القاسى

القبانى (بيت) : ١١٦٠ ، ١٢١٠

قجاس الإسحاقى الجركسى : ١٥٥ (حاشية)

قره مصطفى (كردى) : ١٤٨ ، ١٤٩

قمدان بن ظاهر السلامة (أحد زعماء بنى صقر) : ٢٢

قمدان الفايز : ٢٠٤ ، ٢١٢ (حاشية)

القلطجى (ابن) = أحمد بن القلطجى

كليب (ابن) = عرب ابن كليب

كمال خليل (من رؤساء الزرب) : ١٢٩

كور إسماعيل (قائد القبو قول) : ١٣ (حاشية)

كور عثمان : ١١٩

كور محمد (والى بغداد) : ١٠٤

كيوان (ابن) = ابن كيوان

لالا مصطفى (باشا) : ١٩٠

المتأولة (من الشيعة) : ٢٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٩٣ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ،

١٧٦ ، ١٦٠ ، ١٥٠

الجزرى (رجل اتحر) : ٥٠

الحبى : ١٦٣

محمد (الأسطى ، شيخ القواقبه) : ١٦٦

محمد (افندى) (قاضى الشام) : ١٩١

محمد (افندى) (قاضى الشام) : ٢٠

محمد (باشا) (باشا صيدا) : ٩٩ ، ١٠٠

محمد (باشا) (حاكم صيدا) : ١٧٧

محمد (باشا) (والى طرابلس) : ٣٣١

محمد (بيك) (السيد ، ابن عم (سليمان باشا العظم) : ٤٧ ، ٥٤ ،

٦٠ ، ٥٨

محمد بن (السيد) أحمد : ١٦٥

محمد بن احمد بن سوار (شيخ الحيا) : ٨٠٠

محمد أغا (كيخية ، من رؤساء الانكشارية) : ٧٠

محمد أغا (أغا الانكشارية) : ٩٥

محمد أغا (التسلم) : ١٧١

محمد أغا بن دالى : ٣٢٨

محمد أهما الديرى (وكيل الخرج) : ٤٧ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٨٠ ، ٨٣

محمد أغا بن الزرخلى : ١٠٨

محمد أغا بن فروخ (دفتر دار الشام) : ٨٤

محمد (أفندى) (بشمقى زاده (السيد ، قاضى الشام) : ١٢٧ ، ١٣١

- محمد بشه السقباوى : ٢١٠
محمد بشه بن شمس : ١٦١
محمد البوشى (الأسطى ، شيخ الحلاقين) : ١٦٦
محمد تلحوق : ١١٦ (حاشية) .
محمد جبرى (الشيخ ، المجذوب) : ١٣٨
محمد الجرار (صاحب قلعة سانور) : ٢٣٤ (حاشية)
محمد بن جقيجقة . (الشيخ) : ١٤١
محمد بن جمعة المقار (صاحب كتاب الباشات والقضاة) : ٤ (حاشية) ،
٥ (حاشية) ، ٧٠ (حاشية) ، ١٢٠ (حاشية) ، ٢٩٠ (حاشية) ، ٣٢٠ (حاشية) ،
٤٦ (حاشية) ، ١٣٥٠ (حاشية) .
محمد بن الدهان (السيد ، من الأشراف) : ١١٠
محمد الديرى (الشيخ ، مدرس بالجامع الأموى) : ١٣٥
محمد أبو الذهب : ٢١ (حاشية) ، ٢٣٢ (حاشية)
محمد رشيد رضا : ٩٢ (حاشية)
محمد (أفندى) زاده (قاضى الشام) : ٦١
محمد سعيد القاسمى (الشيخ ، منقح مخطوطة هذا الكتاب) : ١ : ٣ ، ٢٣٦
محمد سعيد بن محاسن (خطيب الجامع الأموى) : ١٩٠
محمد (باشا) الشالك (جالق) : ٢٢٦ — ٢٢٩ ، ٢٣١
محمد بن (الشيخ) شعيب : ١٥٦
محمد (أفندى) بن عبد القادر الكيلانى (السيد ، نقيب الأشراف) : ٢٩
محمد بن (الشيخ) عبد القادر المجذوب : ٢٣٦
محمد عبده (الشيخ) : ٩٢ (حاشية)
محمد بن عبد الهادى العمرى (الشيخ) : ١٣٦

- محمد العجلاني (قيب الأشراف) : ١٦٥
محمد العجلوني (شيخ الشافعية) : ٢٥ ، ٤١
محمد علي (والى مصر) : ١٩ (حاشية)
محمد (أفندى) (المادى) (مفق الشام) : ٢٩
محمد أفندى القرزى (الشيخ) : ١٧٨
محمد أبو قيص الكردى (الشيخ ، شيخ مدرسة المرادية) : ١٥٤
محمد الكيال (الشيخ ، مؤذن بالجامع الأحمدي) : ٣٢ ، ٥٤ (حاشية) ١٥٠
(حاشية)
محمد (أفندى) (المادى) (السيد) : ١٦٧
محمد المصرى (الشيخ) : ١٠٦
محمد المكتبي (الشيخ ، إمام مسجد) : ٥٦
محمود (السلطان) : ١٦٨ (حاشية) ، ١٩٣
محمود بشه البغدادى . ١١٣
محمود تفكجى باشى : ١٢٩
محمود الثانى (السلطان) : ٢١٣ (حاشية)
محمود خان (السلطان) : ٤ ، ١٠ ، ٦١ ، ١٨٤
محيى الدين بن عربى (الصوفى الكبير) : ٦ (حاشية) ، ٣٠ (حاشية)
مراد (أفندى) (النقشبندى الكسيح) : ٢٤
المرادى (صاحب كتاب : سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر) : ٦
(حاشية) ، ٩٠ (حاشية) ، ١٧٠ (حاشية) ، ٢٧٠ (حاشية) ، ٢٩ (حاشية) ، ٣٠٠
(حاشية) ، ٦٢٠ (حاشية) ، ٧٠ (حاشية) ، ٧٣ (حاشية) ، ٧٦ ، ٨٤ (حاشية) ،
١٢٤ (حاشية) ، ١٣٥ (حاشية) ، ١٥٠ (حاشية) ، ١٦٣ ، ١٦٦ (حاشية) ،
١٧٨ (حاشية) ، ١٨٣ (حاشية) ، ١٨٩ (حاشية) ، ١٩٧ (حاشية) ،
٢٠٠ (حاشية) ، ٢٠٥ (حاشية) ، ٢١٢ (حاشية) ، ٢٢٠ (حاشية) ،
١١١ (حاشية)

- مسعود (شريف مكة) : ٢٢١ ، ٢٢٢ (حاشية)
 مسعود (شريف مكة) : ٤٨ (حاشية)
 المصطفى (عليه الصلاة والسلام) : ٩٢
 مصطفى (باشا) (والى طرابلس) : ٣١
 مصطفى (بك) بن إسماعيل العظم (ابن عم اسعد باشا العظم) : ١٦٩
 مصطفى أغا (من الانكشارية) : ٢٠٠
 مصطفى أغا بن خضر الشريجي : ٦٧ ، ٥٩
 مصطفى أغا الزعفرنجي (اختيار) : ١٩٩
 مصطفى أغا القباني (نحية الانكشارية) : ٦٤
 مصطفى بن البديري : ١٦٨
 مصطفى خان (السلطان) : ٤ ، ٢١٠
 مصطفى (أفندي) زاده (قاضي الشام) : ٦٥ ، ٨٣
 مصطفى بن سعد الدين (من السعدية) : ١٢٤
 مصطفى بن (الشيخ) شعيب (الشيخ) : ١٣٧
 مصطفى العجلوني (الشيخ) : ٤١
 مصطفى (بك) العظم (أخو اسعد) : ١٠٠ ، ١١٤
 مصطفى الكردي (الشيخ ، فقيه) : ١٣٧ ، ١٧٤
 مصطفى مردم : ١٩٠
 مصطفى المغربي (الشيخ) : ٢٥
 مصطفى بن مراد (مجذوب) : ١٣٧
 معاوية : ١٤١
 المعنيون (أمراء جبل لبنان) : ٨ (حاشية)
 المغاربة : ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٨

المقار = محمد بن جمعة المقار .

الملا الياس = الياس السكردى

ملحم الشهابى (الأمير) : ٨ (حاشية) ، ٩ (حاشية) ، ٤٣ ، ٦٨ (حاشية)
٧١ (حاشية) ، ٩٣^١ (حاشية) ، ١٠٠ (حاشية) ، ١٨٧ (حاشية)

موسى أغا (الكخيا تم والى صيدا) : ٦٥ ، ٨٥ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ،
١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٤ — ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

موسى جريجى (من الزرب) : ١١٩

موسى كخية = موسى أء

ميخائيل بريك الدمشقى (صاحب كتاب حوادث دمشق) : ٢٠ (حاشية) ،
٢٩ (حاشية) ، ١٥٧ (حاشية) ، ١٨٩ (حاشية)

ميخائيل نقولا صباغ (مؤلف سيرة ظاهر العمر) : ٢١ (حاشية) ، ٢٢ ،
(حاشية) ، ٢٦ (حاشية) ، ٢٩ (حاشية) ، ٤٤ (حاشية) ، ٤٥ (حاشية)
٤٦ (حاشية) ، ٦٥ ، ٢٠٤ (حاشية)

نادر شاه : ٢١٢ (حاشية)

نادر قلى : ٤٤ (حاشية) ، ١٠٤ (حاشية)

ناصيف النصار (شيخ التاولة) : ١٥٠

النابلسى = عبد الغنى النابلسى

نجيب (افندى) السفرجلانى (من أعيان دمشق) : ٢٣٧

النحلاوى = أحمد النحلاوى

نصار = ناصيف النصار

النصارى : ٨٩

نعمان (باشا صيدا) : ٢٢٧

نور الدين (السلطان) : ٦٤

الوفائي : ٨

ولى (كردى) : ٢٠١ ، ٢٠٣

ياسين القادري (الشيخ) : ٥٩

يحيى (الشيخ ، مفتى بعلبك) : ١٦٠

يحيى (أفندى) الجباوى : ١٦٤

يحيى بن محاسن (الشيخ) : ١٨١

يزبك = بنو يزبك

يعقوب (باشا) (والى حلب) : ١١ ، ١٦

اليهود : ٨٩

يوسف (أفندى) . (الشيخ) ، (مفتى السادة المالكية) : ٢٣٠

يوسف الرفاعى (الشيخ) : ٥٠

يوسف الطباخ (الشيخ) : ٢٥ ، ٦٣

يونس (السيد . شريك أسعد باشا العظم) : ١٣٣

ثانياً — فهرس الأماكن والبلاد

آبار الغم (محطة في طريق الحج) : ١٩٢

الآستانة = إسلامبول

أحد (جبل) = جبل أحد

أدنه : ١٩١

أدرنه : ٢١٢ (حاشية) .

إربد : ٢٢

إسلامبول : ٧ (حاشية) ١٢ (حاشية) ، ١٧ (حاشية) ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤

٣٠ (حاشية) ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ،

(حاشية) ، ١٢٥ ، ١٤٩ ، ١٥٥ (حاشية) ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ،

١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٢٩ (حاشية)

إصفهان : ٧٣ (حاشية)

الأناضول : ٢٠٧ (حاشية)

إيران : ٤٤ (حاشية) ، ١٠٣ (حاشية) ، ١٠٤ (حاشية)

باب الأغا (أغا الإنكشارية) : ٤٧

باب البريد : ٥٨ ، ١٧٦ ، ٢٢٤

باب التكية : ١٧٣

باب توما : ١٨٠

باب الجايية : ٦٦ ، ١١٨ ، ١٤٨ ، ١٩١ ، ٢١٤

باب السرايا : ٢١٤

باب السريحة: ٤١، ١١٤، ١٢٠، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٣، ١٥٦،
١٩٠، ٢٠٠

باب السلام = حارة باب السلام

باب الصغير: ٤٣، ٤٥، ١٠٣، ١٠٥، ١١٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩،
١٥٥، ١٥٧، ١٦٥، ١٧٥، ١٨٠، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٥

باب القلعة: ١٧٢، ١٧٨ (حاشية)

باب الكلاسة: ٥١

باب الله: ٥٣، ١٦٢، ١٦٧، ١٧٥

باب المصلى: ١١٠، ١١٧، ١٢٠، ١٦٧، ١٧٨، ١٩٠

باب النصر: ١٥٥ (حاشية)

بانياس (نهر) = نهر بانياس

ببيلة (قرية): ١٤٥، ١٦٢

البحر الأبيض المتوسط: ٢١ (حاشية)

البحصا: ١٨٦

بدر: ١٠٧

البرامكة (مقبرة) = تربة البرامكة

بردى (نهر) = نهر بردى

البزورية: ١٧٤

بصرى: ١٤٣، ١٤٤

بعلبك: ٤٢ (حاشية) ٧١، ٩٦، ١٠٢، ١٥٧، ١٦٠، ١٨٧، ٢١٣،
(حاشية)

بغداد: ٤٤، ٤٩، ١٠٣ — ١٠٥

البقاع (سهل): ٨، ٩ (حاشية)، ٦٨ (حاشية)، ٧١ (حاشية)، ٩٣، ٩٤،

٩٨، ١٠١ (حاشية)، ١٠٢

بلاد بشارة : ٤١ (حاشية) ، ٤٣ (حاشية) ، ١٥٠ (حاشية) ،

بلاد التتر : ١٠٤

بلاد المعجم : ١٠٦

بلاد الحبشى (ضريح) = ضريح بلال الحبشى

البلقاء (موضع بناحية معان فى طريق الحج) : ٣٧ ، ١٧٦

بلغراد : ٤ (حاشية) ، ٢١٢ (حاشية)

بوغاز الحسا = الحسا

بيت الفخر جلالى : ١٨١

بيت الله الحرام = مكة

بيت المقدس = القدس

بير الأغراض (قلعة بلغراد ؟) : ٢١٦

بيروت : ٦٧ (حاشية)

تبوك : ٦ (حاشية) ، ٢١١ (حاشية)

تربة باب الصغير : ٣٣ ، ٤٥

تربة البرامكة : ٨٩ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٩٨

تربة (سيدى) خمار : ٢٠٤

تربة (الشيخ) رسلان : ٤٠ ، ٧٥ ، ١٢٤ ، ١٧٥ ، ١٩٨

التفاح (إقليم) : ٤٢ (حاشية) ، ٤٣ (حاشية)

تسكية السليمانية : ٨٠

التسكية السليمية : ١٤٠

تسكية المرجة : ٨١

- جامع (السلطان) إبراهيم بن آدم : ١٧٩
جامع (السلطان) أحمد (بالقسطنطينية) : ٧ (حاشية)
جامع (الشيخ) أرسلان (مقام) : ١١٢
الجامع الأموي : ٣٠ (حاشية) ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٨١ ، ٩١
(حاشية) ، ١٢٤ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ،
١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ،
٢٠٥ ، ٢١٨ (حاشية) ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
٢٣٢ ، ٢٣٤ (حاشية)
جامع الباغوشية : ١٨٩
جامع البزوري : ٢٣٠
جامع أبي الدرداء : ١٦٥
جامع الدقاق : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣
جامع (الشيخ) الرومي : ١٩٠
جامع السليمانية : ٣٠ (حاشية)
جامع السنانية : ١٨٠
جامع (الشيخ) عارورك : ١٥٧
جامع العداس : ١٣٥ ، ١٩٠
جامع عز الدين : ٤١
جامع القلعي : ٥٦
جامع محي الدين بن عربي (الشيخ الأكبر) : ٨١
جامع المرادية : ٢٩
جامع الموصلي : ٩٢ ، ٢٢٥
جامع يلبغا : ١٤٤ ، ١٦١ ، ١٨٩
الجلاية (قرية . باب) : ٦٦ (حاشية)
جبا (قرية بين حوران ودمشق) : ٩١ (حاشية)

جبل أحد : ٧ (حاشية)

جبل الدروز (جبل لبنان) : ٨ ، ١٩ (حاشية) ، ٤٢ ، ٦٨ (حاشية) ،

١٩٦ ، ١٧٦ ، ١٠٦ ، ١٠٢ - ١٠٠ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٩٣ ، ٦٩

جبل عامل : ٤٢ (حاشية)

جبل العرب (جبل الدروز سابقاً) : ٨ (حاشية)

جبل عرفات : ١٦

جبل قاسيون : ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٢٢٣

جبل لبنان = جبل الدروز

جبة : ٢٢٠

جدة : ٥ (حاشية) ، ٨٧ ، ١٥٢ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٢١

جرمك : ٢١٢ (حاشية)

جسر بنات يعقوب : ٤٦

جلقى = دمشق

جيروود : ٨٠

حارة باب السريحة = باب السريحة

حارة باب السلام : ١١٣

حارة السويقة : ١٦١ ، ١٦٩

حارة السياس : ١١٥

حارة الشاغور : ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ٢٠٠

حارة العقبية : ١٢٥

حارة الهارة : ١٤٤ ، ٢٥٩ ، ١٨٦

حارة قير عاتكة : ١٦٩

حائط الأحمديّة : ١٦٨

الحجاز : ١١ (حاشية) ، ١٩ (حاشية) ، ٥٣ (حاشية) ، ٨٧ ، ١٠٧

(حاشية) ، ١٩٠

الحدرا : ١٤٨

الحرمان الشريفان : ٧ ، ١٦ ، ٢٢٩

الحسا (أحد منازل الحج بالقرب من معان) : ٣٦

الحقلة : ١٩٥ ، ٢٠٢

حلب : ٦ (حاشية) ، ١١ ، ١٦ ، ٩٥ ، ١٠٩ (حاشية) ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٦٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢١٢ (حاشية)

حماة : ٤٧ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ٩٨ (حاشية) ، ١٥٧ ، ١٧٦ ،

١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩

حماة الملكة : ١٨٤

حصص : ١٧ (حاشية) ، ٩٧ ، ١٧٦ ، ٢٠٦

حوران : ١٠ (حاشية) ، ٣٣ (حاشية) ، ٤٢ ، ٨١ ، ١٠١ ، ٢٠٤ ، ٣٠٩

حيفا : ٢١ (حاشية)

الخراب : ١٧١

الخراطين (محلة) : ٥٦

خان الاكراد : ١٤٨

خان الحرمين : ١٧٦

الخان الصغير : ١٨٤

دار أسعد (باشا) العظم : ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ٢١٩

دار السعادة = إسلامبول

دار السعادة (القصير السلطاني) : ٧٩

دار السلطنة = اسلامبول

دار أبوشنب : ١٠٢

دار معاوية : ١٤١

داعل : ٢٠٤

الدرب السلطاني (في طريق الحج) : ١١ (حاشية)

الدرب الفزاوي (في طريق الحج) : ١١ (حاشية)

الدرويشية : ١١٣ ، ١٤٨ ، ٢٠٢

دمشق (حوادثها موضوع الكتاب) : ٣ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٣٦

(أفراح ومواكب) : ٢٦ ، ٣٨ — ٤٠ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٩١

(أمراض) : ٢٥ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ١٩٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠

(الظواهر الطبيعية) : ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ،

٢٠٢ ، ١٩٣ ، ١٨٩ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٤٥ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٦١

٢٠٣ ٢٢٣ — ٢٢٧ ، ٢٣٣

(غلاء) : ٤ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٨٤ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ،

١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

(فتن الأجناد) : ٥ ، ٦ ، ١٣ (حاشية) ، ١٨ — ٢٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٢ ،

٤٦ (حاشية) ٤٧ ، ٦٦ — ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١٠١ ،

١٠٩ — ١١١ ، ١١٦ — ١٢١ ، ١٤٨ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،

١٩٨ ، ٢٠٠ — ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢ — ٢١٦

الدولة الشامية : ٢٠١

الدولة العثمانية (أو العلية) : ١٩ (حاشية) ، ٢١ (حاشية) ، ٢٧ ، ٣١ ،
٤٥ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ (حاشية) ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٠٠ ،
١٠٣ (حاشية) ، ١٠٤ ، ١٠٨ (حاشية) ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٩ ،
١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ٢١٠ ، ٢١٢ (حاشية) ، ٢١٨ (حاشية) ،
٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٠٦ ، ١٩٩ ، ١٩٣ ، ١٨٩ ، ١٨٤

دوما : ١٣٧

ديار بكر : ١٠٤ (حاشية) ، ٢١٢ (حاشية) ، ٢٢٦ ، ٣٣٥

دير حنا (قرية بفلسطين) : ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٤٤

دير القمر : ٤٣

ذات حج : ٢١١ (حاشية)

الرملة : ٤٢ ، ١٢٨ ، ١٨١ (حاشية)

روسيا : ٣١ (حاشية)

الروم = الدولة العثمانية

زاوية (الشيخ) أحمد النحلوى الأحمدي : ٦٤

زاوية سعد الدين الجباوى : ٢١٥

الزبدانى : ١١٤ ، ١٧٣

زبدین (قرية) : ١١٣

زقاق المحكمة : ٦٤

الزهرابية (قصر قديم) : ١٤٢

سانور = قلعة شانور

سرای أسعد العظم = دار أسعد باشا العظم

السرايا (سراية الحكم): ١٧ (حاشية) ، ٤٥ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
٨١ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٦

سرای (باشا بغداد) : ١٠٤

سرای سليمان باشا : ٥٥

سمع : ٢٢٣

سكة حديد الحجاز : ١٠٧ (حاشية)

سوق الأروام : ١٦٨

سوق البزورية : ١٤٤

سوق الخياطين : ١٣٣ ، ١٤١

سوق الخليل : ١٨٥

سوق اللق : ١٥٩

سوق الزنوطية : ١٤٤

سوق ساروجا : ٦٧ ، ١١٥ ، ١٥٤

سوق السلاح : ١٩٠

سوق السنانية : ١١٠ ، ١٩٠

سوق السويقة : ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٦ ، ٢١٤

(انظر أيضا حارة السويقة)

سوق الغنم (حيث مدافن الأشراف) : ٢٩

سوق مسجد الأقصاب : ١٤٤

السويقة = سوق السويقة ، حارة السويقة

سيواس : ٢١٢ (حاشية) ، ٢١٩ (حاشية)

الشام = دمشق

الشرف (ناحية) : ١٤٠

الشقيف (مقاطعة) : ٤٢ (حاشية) ، ٤٣ (حاشية)

الشوف : ١٥٠ (حاشية)

الشوير : ٤٢ (حاشية)

شيراز : ٧٣ (حاشية)

الصالحية (جى بدمشق) : ١٧ ، ٢٠ ، ٥٧ ، ٩٧ (حاشية) ، ٨٠ ، ٨١ ،

١٧٥ ، ١٦١ ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٥١ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٣١ ، ٩٠ ، ٨٩

صانور — قلعة سانور

صفد : ٢١ (حاشية) ، ١٥٠ (حاشية) ، ١٧٦

صهيون — قلعة صهيون

صيدا : ٨ (حاشية) ، ١١ (حاشية) ، ٣١ (حاشية) ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٣ (حاشية)

٩٣ ، ٩٩ — ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٨

(حاشية) ، ١٩١ ، ٣٠٤ (حاشية) ، ٣١١ (حاشية) ، ٣٣٧ ، ٣٣٠

ضريح (سيدى) أ بى : ١٧٥

ضريح بلال الحبشى : ١٧٥

ضريح (السيدة) زينب : ٩١ ، ١٦٨

ضريح (الشيخ) عبد الجبار بن سيدى عبد القادر الجيلانى : ١٧٥

ضمير (قرية) : ٩٠

طرابلس : ١١ (حاشية) ، ١٢ (حاشية) ، ٣١ ، ٤٢ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٩٠ ، ٢١٢ ، (حاشية) ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ،
طبرية (بحيرة وقلعة بفلسطين) : ٨ (حاشية) ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ،
٢٨ ، ٢٩ (حاشية) ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٦٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٠ ، ١٦٧

طربزون : ٢١٢ (حاشية)

طريق الحاج الشامي : ١٠٧ (حاشية)

طريق الحج : ١٩١ (حاشية)

الطريق السلطاني : ١٨٣ ، ١٨٨

الطريق الفرعي للحج : ١٧٣

طريق الميدان : ١٦٧

طرطورة = قلعة طرطورة

الطارطير (قرية) : ٢٣٢ (حاشية)

عجلون (من أعمال فلسطين) : ٢٦

عدرا (قرية) : ٩٠

العراق : ٤٤ ، ٤٩

عربستان : ٧٣ (حاشية)

عرفات = جبل عرفات

عسفان : ١٥٢

العقبة = حارة العقبية

عكا : ٢١ (حاشية) ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٦٧ ، ٢٣٤ (حاشية)

العلا : ١٠٧

المارة (إحدى محلات دمشق) : ٣٨ ، ١٥٩ ، ٢٠٢ (انظر أيضا ،
حارة المارة)

العتابة (أرض) : ١٥٩

المنبرانية (قبلى الجامع الأموى) : ١٥١

عين دارة (وقعة ، معركة) : ٤٣ (حاشية) ، ١١٦ (حاشية)

الغرب الأعلى : ١١٦ (حاشية)

غزة : ١١ (حاشية) ، ٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ،

٢١١ (حاشية) ، ٢١٢ (حاشية) .

الغوطة : ١٤٥ ، ١٥٨

فلاقنس (من أعمال حمص) : ١٧ (حاشية)

فلسطين : ٢١ (حاشية) ، ٢٢ (حاشية)

قاسيون = جبل قاسيون

قاعة ابن قرنق : ١٤٣

القاهرة : ١٦٤ (حاشية)

قبا (قباء . مكان بالحجاز) : ١٦

قبة العسالى : ١٧٥

قبة النسر (بالجامع الأموى) : ١٢٤ ، ٢٠٥

قبة النصر (بأعلى جبل قاسيون) : ٢٢٣

قبة النور (مكان بالحجاز) : ١٦

قبر عائكة : ١٧١ ، ٢٣٠

قبر الست (السيدة زينب ٢) : ١٦٢ ، ١٤٥

قبرص . ١٣٢ ، ١٣٣

القبيبات (محلة) : ٩١ ، ٥٣ (حاشية) ، ١٣٠ ، ١٢١

القدس : ٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٤ (حاشية) ، ١٧٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ،
٢١٨ ، ٢٣٤ (حاشية)

القدم (قرية) : ١١٤ ، ١٧٥

القسطنطينية = إسلامبول

القطرانة (أحد منازل الحج) : ٣٦ ، ٢٠٤

قطننا : ١٧٨

قلعة بغداد : ١٠٤

قلعة سانور (بفلسطين) : ٤٩ (حاشية) ، ٢٣٤ (حاشية)

قلعة الشام . ٥ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٥ ، ١٠٠ (مائية) ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠

١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٦١ ،

١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ — ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٨

(حاشية) ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢

قلعة صهيون : ٢٣٢

قلعة طرطورة : ٢٣٢

قلعة المدينة (النورة) : ٤٧

قناة بيت رأس : ١٦٢

القنوات (محلة) : ٤١ ، ١١٠ ، ١٢٠

القنوات (نهر) = نهر القنوات

القنيطرة : ٢٢٣

قهوة الخرزاتية : ١٨١

قهوة الشاغور : ١٨٩ ، ١٩٠

قهوة المناخلية ٨٦ ، ١٤٥

قيسارية أسعد باشا : ١٢٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٩

القيصرية (حى) : ٨٠

الكرك : ٣١٤ (حاشية)

كر كوت (لعلها كركوك) : ٤٩

اللاذقية : ١١ (حاشية)

لبنان : ٨ (حاشية) ، ٤٢ (حاشية) ، ١٠١ (حاشية) ، ١١٦ (حاشية)

اللجاة : ٣٣ ، ١٤٩

لويية : ٤٦

المارستان : ١٦٧

المحكمة : ٣١ ، ٤١ ، ٥١ ، ٦٣ — ٦٥ ، ٨٢ ، ١٣١ ، ١٣٢

محكمة الباب : ١٧٨

المحكمة الكبرى : ١٧٢ ، ١٧٨ (حاشية) ، ٢١٠ (حاشية) .

محكمة النورية = محكمة الباب

محلة التعديل (إحدى محلات دمشق لا تزال موجودة وهي بجوار محلة

القنوات) : ١٨ ، ٥٣

محلة الخراطين (بجوار القباكية ، جوار الباب الجنوبي للجامع الأموى) : ٥٦

محلة العقبية : ١٤٦

مدرسة اسماعيل (باشا) العظم : ١٣٣

- مدرسة سليمان (باشا) العظم : ١٣٧
مدرسة القبحاسية : ١٥٥
مدرسة الكلاسة : ٢٢٤
مدرسة المرادية : ١٥٤
مدرسة (الملك) الناصر : ١٤٣
مدينة الرسول = المدينة المنورة
المدينة المنورة : ٧ (حاشية) ، ٤٧ ، ١٨٩ ، ١٩٢
المرجة : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥
مرج الدحداح (تربة) : ١٠٦ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٧٤ ، ١٧٨ ، ٢٣٠
مرج القدس : ٤٢ ، ٤٣ (حاشية)
مرعش : ١٩٩ ، ٢١١ (حاشية)
المزريب (بلدة جنوبي دمشق تبدأ منها اول مرحلة في طريق الحج) : ١٠
(حاشية) ٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩
مسجد الاقصاب (مَنَز القصب) : ٤٨ ، ١٢٩
مسجد القدم : ٥٣
مشهد الحسين : ١٨٠ (حاشية)
مصر (الديار المصرية) : ٨ (حاشية) ، ٢١ (حاشية) ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٨٢
(حاشية) ١٦٤ ، ١٩٣ ، ١٩٩
معان (مدينة في طريق الحج) : ١١ (حاشية) ، ٣٦ (حاشية) ، ٣٧ (حاشية)
١٥٧ (حاشية) ٢٠٤ ، ٢٠٨
المعرة = معرة النعمان
معرة النعمان : ٩٧ ، ١٧٦ ، ٢٠٤ (حاشية)

مقبرة البرامكة : ٨٩

مكة : ٧ (حاشية) ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ١١٥ ، ١٣٧ ، ١٧١ ، ٢٢٢

منزلة الصنمين : ١٩١

حنين (قرية) : ٢٢٠ (حاشية)

الموصل : ٤٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

الميدان (ميدان الحصى من أقدم أحياء دمشق ، كان فى الأصل ضاحية لها) :

١٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٧ — ٦٩ ، ٧٠ (حاشية) ، ٨٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١١٩ ، ١٢٠ ، ١٦٧ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٣٦

الميدان التحتانى (القسم بين دمشق القديمة وباب المصلى ، اما الميدان الفوقانى

فهو القريب من باب الله) : ٥٣

مئذنة الشم (مسجد) : ١٥٦

نابلس : ٢١ (حاشية) ، ٢٢ (والحاشية) ، ٢٦ ، ١٧٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،

٢٣٢ (حاشية)

الناصره (بلد بفلسطين) : ٢٢ (حاشية)

التبك : ٢٢٠

النحانة (حى) : ١٣٩

نقيب الربوة : ١٧١

نهر بانياس : ١٤٣ ، ١٤٢

نهر بردى : ١٨٦ ، ١٩٠

نهر القنوات : ٤٠ ، ١٤٥ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ (حاشية)

هدية (مكان بالحجاز) : ١١ (حاشية) ، ١٦٤ ، ٢٣١

الهند : ٤٤ ، ١٠٤

وادی التیم : ۷۳ (حاشیة)

وادی العقیق (بالحجاز) : ۷ (حاشیة)

وادی القرن : ۱۶۱

وادی کیوان : ۱۸۱

وادی الیمون : ۱۸۳

وان : ۲۱۲ (حاشیة)

الوکر : ۱۷۶

یافا : ۱۶ (حاشیة)

یبرود : ۲۲۰

ثالثاً — فهرس المصطلحات والوظائف

الأراضى الخمس : ٨٩

الأراضى العشر : ٨٩ (حاشية)

أرانطة = أرنوٹ

أرطلية : ١٠٢ ، ١٧٧ ، ١٨١

أرنوٹ (طائفة من الجنند) : ٤٢ ، ٢١٢

الأشراف (أو السادات) : ١٦ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ١٠٨ — ١١٢ ، ١٣٨ ،

١٥٦ ، ٢٠٥ ، ٢١٥

أشراف الحجاز : ٤٨

إشراقات : ٨٣ (حاشية)

الأضبائى : ١٧٧

الأصطا . ١٧٧

الأصناف (طوائف الحرف) : ٨٣ ، ٩٤

الأعيان : ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٢

أعيان حلب : ١٦٠

أعيان الشام : ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٩٧ ، ٢٠١

٢٠٣ ، ٢٢٦

الأغا : ٣٢

أغا آغات (أوجاق الانكشارية) : ٧٨ ، ٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١

أغا آغة القيقول : ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٦١

أغا السراى : ٤٧

الأغوات (رؤساء الجند أو الأعيان) : ١٨ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٢٢٦

أغة (أغت دار السعادة) : ٧٩

آغة القيقول : ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٦١

أغوات (ضباط) : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠

الأفادار = القفادار

الأفندية (موظفو الديوان) : ١٨ ، ٣٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٦

أقجة (= أخشابه) : ١٠٩ (حاشية) ، ١١١

إقطاع بطريق المالكانة : ١٨٨ (حاشية) .

ألاى بيك : ٤٦ ، ٢٠٧

ألاى بيك السباهية : ١٩٩

إمارة الشام : ٢٣١

إمام جامع السنانية (للسادة الشافعية) : ١٨٠

إمام الحرايين : ١٦٥

إمام مسجد : ٥٦

أمير (لقب اقطاعى فى لبنان) : ٤٣ (والحاشية)

أمير أمراء = باشا بطوحيين

أمير الحاج : ٦ (حاشية) ، ٧ ، ١٠ (حاشية) ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٦٦

٧٧ ، ٨٤ (حاشية) ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١٣٥ ، ١٣٢ ، ١٣٦

١٤٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠١

٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٣

أمير الشام : ١٨٢

أمير طرابلس (وزير ، والى ، باشا ، حاكم) : ١٠٧

أمير فى سفر الجردة : ١٧٧

أمين الصرة: ٥١، ١٤٨، ١٦١، ١٧٠، ٢٠٧

أمين الفتوى: ١٥٥

أنباشي: ١٦٥

إنكشارية (أوجاق اليرلية، الجند المحلية): ٥ (حاشية)، ١٣ (حاشية)

١٧ (حاشية) ١٨ — ٢٧، ٣٠، ٣٣، ٣٨، ٤٢ (حاشية)

٤٧، ٤٨، ٦٢ — ٦٤، ٦٦، ٦٨ (حاشية)، ٧٠ (حاشية)، ٧٣

(حاشية)، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٣ (حاشية)، ٩٣ — ٩٦، ١٠١،

١٠٤، ١٠٩ (حاشية)، ١١٠ (حاشية)، ١٧٧ (حاشية)، ١٩٥،

١٩٧ (والحاشية)، ٢٠٠ (والحاشية) — ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٧،

٢١٠، ٢١٣ (حاشية) — ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٦.

أهل العرض: ٢١٤

أوجاق (من وجاق، فرقة من الجند): ٥ (حاشية)، ٧٢ (حاشية).

أوجاقات الشام: ٩٤، ٩٦، ١٠١، ٢٠٠

أودة = أورطة

أورطة (جماعة من الجند): ٥، ٦ (حاشية)، ١٥٩، ١٨١

أئمة الحارات: ٢١٦

باب الانكشارية: ١٧ (ساشية)

الباب العالي: ٤٢

باش جوقدار: ٦٣

باش معمارى: ٢٢٨

الباشا = الوزير، الوالى، نائب السلطان

باشا بثلاثة أطواخ (= وزير): ١٨٨ (حاشية)

باشا بطوخين (= أمير أمراء = ييكلر ييكي): ١٨٨ (حاشية)، ١٩٤

باشا القدس: ١٨٨

باشة الجردة : ٧٠٤

باشوية بغداد : ١٠٣ (حاشية)

باشوية صيدا : ١٠٠ (حاشية)

البغادرة (أهل بغداد) : ٢٠، ١٤٨، ١٦١، ٢٠٢

البلطجية (الرسل) : ٢٤، ٥١، ١٤٨، ١٦٢، ١٧٠، ٢١٠

بلك : ١٠٤

بنات الخطا = شلكتات

بيردى (بيورولدى) : ١٣١، ٢٠١

بيرقا (الراية، أو فرقة من الجند) : ٤٧، ١١٢، ٢١٣

بيرقدار التفكجية : ١٨٤

بيك السوقية : ٩٣

تقر (رسل) : ٢١٠

تجريس : ١٦٢

نزبدار : ١٧٩

الترسيم (التحفظ) : ٥٤، ٥٨، ٥٩

تسمير (اللحامين أو الجزارين) : ١٧١

التغالبية (جماعة من المتصوفة) : ٩٠، ٩١

تفكجى باشى (التفكجية، تفكجيان) : ٨٥، ١١٧، ١٣٩، ١٤٨،

١٥٩، ١٨٤، ١٩٩، ٢٠٨

تقرير إبقاء : ١٠٧، ١٥٣، ١٨٤، ١٨٥ (حاشية)، ٢٠٨

تقرير الشام : ٢٢١

تمسكات : ٥٩

توقيع (كتاب من الباشا) : ٣٧

جرايات : ٨٠

جر بجى : ٢٠٧

الجردة (قافلة تحمل المؤن إلى الحجاج وتلقاهم في طريق عودتهم إلى دمشق) :

١١ ، ٣١ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٥٧ (حاشية) ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ،

٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٣١

جرده جى باشا (قائد الجردة) : ١٢ (حاشية)

جمهور : ١٧٧

جمهورية : ١٤٨

الجناب العالى (السلطان) : ١٢٥

جند مرتقة : ١٧٧ (حاشية)

الجنك (شنك) : ٦٧ ، ١٢٥

الجوخدار (أو الجوقدار ، فتى من فتيان القصر ، أو ، رسول السلطان

أو الوالى ، أو رسول أمير الحج للتبشير بسلامة الحاج) : ٦ ، ٧

(حاشية) ، ١٣ ، ١٦ ، ٣٥ ، ١٠٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٥١ ، ١٦٤ ،

١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣١ .

الجوخدارية : ٤٦ ، ١٢٥

جوقدارية = الجوخدارية

جوقه دار = جوقدار ..

الحاج الشريف : ٥٢ ، ٨٥ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٦١ ، ١٧٣ ،

١٨٣ ، ١٩٢ .

حاكم الشام = وزير الشام

الحج الحلبي : ١٠ ، ٣٠ ، ١١٥ ، ١٤٩ ، ١٧١

الحج الشامي : ٦ ، ٧ ، ١٠ — ١٢ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٦٢ .

٨٧ ، ١١٥ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥

الحسوم : ١٢٥

خادم ضريح : ١٦٥

الخاقان (السلطان) : ١٣

خروج : ٢١٧ ، ٢٢٢

الخزنة السلطانية (خزنة مصر ، وهي الأموال التي ترسلها مصر لخزنة السلطان) :

٢٤ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١٣٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩

الخزندار : ٤٧

خزنداره (الدقتردار) : ٧٥

خزينة الوجاق : ٦٣

خط شريف (فرمان يحمل اسم السلطان) : ١٨ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١٠٦ ، ١١٠

خطيب جامع الأموى : ٣٢٠

خلفاء الطريقة السعدية : ١٩٣

الدالانية (أو الدالاة ، طائفة من الجند) : ١٩ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٦٦ ،

٦٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،

١٢٢ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٢

دقتردار (أو دقترى ، المشرف على الحسابات المالية) : ١٠ ، ١٧ ، ٤٥ ، ٥٦ ،

٦١ ، ٧٥ ، ٢٠٠

دقتردار : ١٧ ، ٤٥ ، ٤٧

دفترية الشام : ٨٤

الدلال (النادي) : ١٩

الدورة (جولة تفتيشية سنوية يقوم بها باشا الشام في جهات نابلس وعجلون)

١٤٧ ، ١٣٠ ، ١١٥ ، ١١١ ، ١٠٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٥١ ، ٤٨ ، ٢٦

١٩٩ ، ١٩٤ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٢ ، ١٧٦ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٤٨

٢٠٠ ، ٢١٦ (حاشية) ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

الدوسة : ٩٢ ، ٩١ (حاشية)

ديوان : ٣٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٧ ، ٢٠٣

٢١٢ ، ٢١٤

ديوان أفندى : ١٦٨

ذهب = أنظر العملة

ذهب جزيرلى = أنظر العملة

الرافضى : ١٦٠

رييات ذهب = العملة

الرفاعية (طريقة) : ٩١ (حاشية)

ركب الحاج الشامى = الحج الشامى

الركب الحلبي = الحج الحلبي

الركب الشامى = الحج الشامى

روزنامجه : ٨٤ (حاشية)

ريالات = أنظر العملة

زرباوات (الزرب ، أشقياء) : ٥ (حاشية) ، ١٨ ، ٣٠ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٨٧ ،

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٩٦ ، ٢٠٨

زردخانه (مكان السلاح) : ٦٠

الزعماء (رؤساء الأحياء) : ٣٣ ، ٩٣

السادات = الأشراف

سباهية (طائفة من الجند) : ٣٣ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٩٩

سردار (قائد الجند) : ١٨١ (حاشية)

سردار الجردة (قائدها) : ١١ ، ١٦ ، ٣١ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ،

١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ (حاشية) ، ٢٢١ .

السريرة : ١٨١

سعد الذابح : ١٣٨

سلحدار (المشرف على دار السلاح) : ٨ ، ٤٧

سلخور (سلاحشور) : ٥٤

السلجانية (رتبة من أرفع رتب العلماء الأتراك) : ٣٠ (حاشية)

السمرم (طير) : ٧٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٦٦

سنجق = صنجق

سيران : ١٢٩

الشاشية (ضريبة على الحرف) : ٤٥ ، ٢١٣ (حاشية)

شرافة مكة : ٢٢٢ (حاشية)

شربجية : (جرجية) : ٣٨ ، ٦٩ ، ٢٠٧

شريف مكة : (أو أميرها) : ٧ (حاشية) ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٢٢١

شركات البلد (المومسات ، بنات الهوى ، بنات الخطا) : ٥٧ ، ١١٢ ،

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٤

شورية : ٨٠

شيخ الإسلام : ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٠٨ (حاشية)

شيخ التكية : ٥٦

شيخ الحلّاقين : ١٦٦

شيخ الحلوانية : ١٦٦

شيخ سجادّة الطريقة السعدية : ١٩٢

شيخ الشافعية : ١٦٥

شيخ باب المصلى : ١١٠ ، ١٧٣

شيخ الطائفة (الحرفة) : ٨٣ (حاشية)

شيخ الطحانة (= التخان) : ٩٨

شيخ قراء الشام : ٥٢

شيخ القواقجية (شيخ حرفة) : ١٦٦

شيخ الحيا : ١٨٠ ، ٢٣٠

شيخ مشايخ المتأولة : ٤٣ (حاشية)

الشيعة : ٤٢ (حاشية) ، ٤٤ (حاشية) ، ١٠٤ (حاشية) .

صاحب الحلقة (فى الجامع الأموى) : ٣٩

صاحب العرض = أهل العرض

الصدارة العظمى = الوزارة العظمى

الصدر الأعظم = الوزير الأعظم

الصرة (الأموال التى ترسلها الدولة لأشراف الحجاز) : ٢٤

الصرة أمني = أمين الصرة

صلاة الخنفي : ١٣٩

صلاة السكوف : ١١٤ ، ١٣٦

صناجق (أعلام أو أقسام إدارية) : ٨ (حاشية)

الصنئع (الراية يرفمونها وقت الخطر) : ١١٧

صنئع الخزنة (قائد الجند الذين يصحبون الخزنة) : ٢٤ ، ٢٧

صوباشي . ١٢ ، ١٣٤

ضبط المال . ١٣٢

طبعي الباشا : ١٨٦

الطريقة السعدية (طريقة صوفية) : ٩١ (حاشية) ، ٩٢ (حاشية) ، ١٢٤ ، ١٢٤

١٩٢ ، ١٦٤

الطلعة (طلعة الحمل) : ١٨٣

الطواشي (أغا الحريم بسرأي الباشا) : ٤٧ ، ٥٧ ، ١٨١

طواشية : ١٩٠

طوبجية (مدفعية) : ٢٠

طوخ (أو طوغ) : ٧٤ (والحاشية) ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٤

عراضة (زفة) : ١١٢ ، ١١٣ ، ١٥٩ ، ٢٠١

عرض : ٤٥ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٦

العرض (ضريبة على الحرف) : ٤٥ ، ٢١٣ (حاشية)

عسكر الشام = الانكشارية

عقوبات : ٦٠

العقاب = العلم النبوى

العلايف (أى المعاشات) : ١٠٤ ، ٨٠

العلم النبوى : ٢٠٩

العملة (أو للعامة) : ١٦٢ ، ١٥٢

ذهب : ١٧٠

ذهب جزيرلى : ٢١٠

ريات ذهب : ١٦١

ريال (ريالات) : ١٠٦ ، ٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٨

غرش : ١٦٠

فلوس (فلس) : ٣٥ ، ٥١ ، ٦١ ، ١٠٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٧٣ ، ٢٢١

فلوس رملية : ١٣٤ ، ١٤٩

القرش (أربعون بارة) : ٤ (حاشية) ، ٣٧ ، ١٠٦ ، ١٠٨

القسطنطينى : ١٧٣

القطعة (أو الفلس ، عملة من نحاس) : ٣٥ ، ٥١

الكيس (خمسة جنيهات) : ١١ (حاشية) ، ١٠١ ، ١٦٠

المحبوب (عملة ذهبية) : ٥٥

مصارى = مصرية

مصرية (بارة) : ٤ ، ٥ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٤٩

١٥٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٢١

نصف ذهب : ١٥٩

عيد الزيب : ١٩١

عيد الصليب = عيد الزيب

غرش = العملة

غزّ القامة : ٤٧

غليونجي : ١٧٦

فتوى : ٥٠

فرمان (أمر من السلطان أو من الباشا) : ١٢ (حاشية) ، ١٧ ، ٣٠ ،

٤٢ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ،

١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ (حاشية) ، ٢١٣ (حاشية) ، ٢١٨ .

الفلس = أنظر العملة

فلوس = أنظر العملة

فلوس رملية = أنظر العملة

قاجي = قبجي

القاضي = قاضي الشام

قاضي الشام : ١٢ (حاشية) ، ٤٨٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣-٦٥ ،

٨٢ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ،

١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٥

قاضي المدينة : ١٢٠

قاضي مكة : ١٣٦

قافلة المعجم : ١٧١

قبجي (قبجي) : ٥١ (حاشية) ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨

قبجي باشي : ٥٩ ، ٦٠ ، ٧١ ، ١٠٢ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،

١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١٨ (والحاشية) ، ١١٩ ، ١١٧ ،

١٣١ ، ١٣٣

قبجى التقرير : ٢٠٨

القبججة : ٥١

القبق دار : ٢٠٩

قبجى لر أغاصى : ١٧٣

القبوقول (عيدالباب ، أو حرس السلطان ، أو انكشارية الدولة) : ١٣ ، ٥

(حاشية) ، ٧٣ ، ١٠٨ - ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ،

١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧

(والحاشية) ، ٢٠٠ - ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢

(حاشية) ، ٢٢٦

القبوقول = القبوقول

القرش = العملة

القسطلار (قزىر أغاصى) : ٦١ (حاشية)

القسطنطينى = العملة

قضاء دمشق : ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤١

القطعة = العملة

القفا دار : ٢٠٩ (حاشية)

قفطنجى السلطان : ١٣٧ ، ٢٠٧

قلابقى : ٤٢

قلفوات : ٨٣ (حاشية)

قلق : ١٩٥

قناق : ١٩٢

قوللق = قلق

القيسية : ٤٣ (حاشية) ، ١١٦ (حاشية)

كاتب العربي : ١٠٨

الكتاب . (حامل بريد الحجاج إلى ذويهم) : ٧ ، ١٦ ، ٣٦ ، ١٠٧ ،
١٢٤ ، ١٥٢ ، ١٨٨ ، ٢٣١ .

كتاب الجوقدار : ١٧٣

كتاب الحج = الكتاب

كتاب حلب وسماء : ١٩١

كتاب الشام : ١٩١

كتخدا = كخيا

كتخدا (الأوجاق) : ٧٠

الكخدانية : ١٥٧

الكحوتية : ١٥٨

كخيا (كواخي . نائب الباشا) : ٢٦ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٥٧ ،
١٧٦ ، ١٨٨ (حاشية) ، ١٩٤ ، ٢٠٤ (حاشية) ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ .

كدك (وجمعها ، كدكات ، وتعني التمكين من مزاوله حرفة) : ١٩

كبخية الأنكشارية : ٦٤

الكيس = أنظر العملة

لاوند (طائفة من الجند) : ٣٣ ، ١٩٨ ، ٢١٢

لفمجية (واضموا الألفام) : ٢١

ماء السمرمر = السمرمر

متسلم (متصرف على منجق أو مندوب الباشا لإدارة الولاية أثناء غيابه) :

١٠٢، ٩٧، ٨٥، ٦٥، ٥٧، ٤٩ — ٤٧٠، ٤٥٠، ٣٢٠، ٣١٠، ٨

١٠٦، ١١٣، ١١٧ — ١١٢، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٧،

١٤٦، ١٦٢، ١٧١ — ١٧٣، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٤، ١٩٦،

١٩٩، ٢٠٤ (حاشية)، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٩ (حاشية) .

متسلم دمشق : ٨، ٣٢، ٣٣، ٤٥، ٤٧، ٤٨

متولى جامع (السلطان) إبراهيم بن آدم : ١٧٩

متولى الجامع الأموى : ١٠٣، ١٤٥، ١٩٢

المجازيب : ١٨٣

مجلس الشرع الشريف . ٧٣ (حاشية)

محافظة الجردة = سردار الجردة

المحبوب = العملة

محتسب : ٢٢٢

المحمل الشريف : ٧، ١٠، ٣٠، ٣٧، ٥٢، ١٠٦، ١١٦، ١٣٢، ١٣٣،

١٤٦، ١٤٩، ١٥٢، ١٦١، ١٧١، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٣،

١٩٢، ٢٠٩

المحملجى : ٢٠٩

المختيا : ١٨٠ (والحاشية) ، ٢٣٠

مر بعانية الشتاء (الأربعون يوما الأولى من الشتاء) : ١٨١

مر بعانية الصيف (الأربعون يوما الأولى من الصيف) : ٤٠، ٩٤، ٢٢٠

المزيرباتية : (الذين يعودون من المزيريب بعد توديع الحجاج) : ١٠، ٣١

مشايخ الحارات : ٦٨، ١٣٤

مشايخ حرف : ١٦٦

مشايخ الطرق : ٣٩

مشطجي (مردہ جی — حامل البشرى للسلطان بسلامة الحاج) : ۷

(حاشية) ۲۰۷

المشيخة : (ضرية على الحرف) : ۴۵ ، ۲۱۳ (حاشية)

مصارى = مصرية

مصرية = العملة

مظالم الحكام : ۳۳

معاملة = العملة

معمار ياشى : ۲۱۸ (حاشية)

مفتى : ۵۷ ، ۱۱۰ ، ۱۱۷ ، ۱۲۷ ، ۲۰۱ ، ۲۱۳ ، ۲۲۵

مفتى بعلبك : ۷۱ ، ۱۶۰

مفتى الحنفية بدمشق : ۸۷ (حاشية)

مفتى الشافعية : ۱۷۸

مفتى الشام : ۲۹ ، ۴۹ ، ۵۷

مقرر (طرابلس الشام) : ۸۴ ، ۱۷۳ ، ۱۷۹ ، ۱۸۶ ، ۱۸۸

مقرر ابقاء : ۱۵۰

الملاقية : ۲۰۷

الماليك : ۱۰۳ (حاشية) ، ۱۰۵ (حاشية)

الموالى : ۳۹ ، ۱۱۷ ، ۲۰۶ ، ۲۱۰ ، ۲۱۴

مؤذن الجامع الأموى : ۲۰۵

موصلية (مواصلة . من الوصل) : ۲۰ ، ۱۴۸ ، ۲۰۰

نجاب ، نجابة : ۴۷ ، ۱۹۴

نائب دمشق (نائب عن الباشا) : ٣٣

نائب السياسة (يقصد الكخية) : ١٦٩

نائب الشام : ١٥٥ (حاشية)

نائب القاضى : ٨٣ ، ٦٣

نائب القدس (وهو نائب باشا الشام فى حكمها) : ٢٢

نصف ذهب = انظر العملة

نظارة المسجد الأموى : ٩١ (حاشية)

التقيب : ٢٠

تقيب الأشراف : ٢٩ ، ٥٠ ، ١٠٨ (حاشية) ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٦٥ ،

٢١٨ ، ٢١٣

تقيب النقباء : ٣٩

الوالى (بمثابة ضابط بوليس المدينة) : ٥٧

والى بغداد : ١٠٣

والى صيدا : ٢٣ (والحاشية)

وجاق : ٦٣ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

وجاق القول = القبوقول

وزارة (باشوية بثلاثة أطواخ) : ١٨٨ (حاشية)

الوزارة (أنواع الوزارة) : ٧٤ (حاشية)

الوزارة العظمى : ١٩٥ ، ٢١٢ (حاشية)

الوزير الأعظم (صاحب الحتم) : ٧٢ ، ٧٨ (حاشية) ، ١٠٤ ، ١٧١

وزير الشام (والى أو باشا الشام) : ٣٠ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ١٤٤ ، ١٧١

وزير صيدا = والى صيدا

الوقائع المصرية : ٩٢ (حاشية)

وقف سنان باشا . ٣٣

وقف السلجانية (من أهم أوقاف الشام) : ١٧ (حاشية) .

وقفية أسعد العظم : ٨٣

وکیل خَرج : ٨٠ ، ٥٤

بابا باشى : ١٩٥ (حاشية)

البرلية (الجند المحلية) = الانكشارية

التمق : ١٧٧

اليمينية : ٤٣ (حاشية) ، ١٦٦ (حاشية) .

اليهود : ٩٥

رابعاً - فهرس حوادث دمشق اليومية

صفحة	
٦٠-٥٠	مقدمة الكتاب
٣	كلمة الشيخ محمد سعيد الفاسمي منفتح الكتاب
٤	سنة ١١٥٤ (١٧٤١ - ١٧٤٢)
	إشاعات في دمشق . غلاء الأقوات . تشتت جنود القبوقول . قتال بين أمير الحاج الشامي وعرب بين الحسرين . تولية سليمان باشا العظم . قتاله الدروز ثم صلحه معهم . اشتداد البرد . موآل للبديري .
٩٥	سنة ١١٥٥ (١٧٤٢ - ١٧٤٣)
	طلب رؤساء الإنكشارية وصدور فرمان باهدار دم (الزرباوات) . إخراج اللوصلية والبغادة والقبوقول من دمشق . خروج سليمان باشا لقتال الشيخ ظاهر العمر وحصاره قلعة طبرية . شدة الغلاء . فتح قلعة طبرية . وفاة والدة البديري . الغفو عن الزرباوات فتنة بين الدالائفة والولند . قتل عرب الزيد متسلم دمشق .
٣٥	سنة ١١٥٦ (١٧٤٣ - ١٧٤٤)
	الشكوى من شدة الغلاء ، غرق الحاج بين الحسا والقطرانة . احتفال سليمان باشا بختان ولده . احتفال فتحي أفندي الدقري بزواج ابنته . الاحتفال بالإنتهاء من تعمير وترميم نهر القنوات . ثورة العامة وهجومهم على المحكمة ونهبهم الأفران . خروج الباشا لقتال ظاهر العمر . قتال بين الدروز والمتاولة . وفاة سليمان باشا العظم وضبط الدقري أمواله . تعيين أسعد باشا العظم واليا على دمشق . خروجه للدورة . علو شأن الدقري . توسطه في الصلح بين أسعد باشا العظم والشيخ ظاهر العمر . قيام الأشراف على فتح أفندي الدقري . تعمير الحنطة والخبز . دعاء للبديري . تعذيب أعوان وحریم سليمان باشا العظم لاستخراج أمواله وتحصيلها للدولة . طاعون بدمشق .

سنة ١١٥٧ (١٧٤٤ — ١٧٤٥) ٥٦

افتان الناس بسلون (من بنات الهوى) . قتلها . استمرار الطاعون .
استمرار البحث عن أموال سليمان باشا العظم . فرمان بإطلاق يد أسعد
باشا العظم . تعصب أعيان الشام على فتحى أفندى الدفترى وشكواهم
إياه للسلطنة . استدعاؤه ثم عودته لدمشق . إبطال (الفلوس)
ضرب الشام .

سنة ١١٥٨ (١٧٤٥ — ١٧٤٦) ٦٢

تفاقم أمر (الزرباوات) من رؤساء الإنكشارية واستهانتهم بأسعد باشا
العظم هجوم العامة على السراى والمحكمة بسبب اشتداد القلاء .
هروب القاضى واسترضاؤه .

سنة ١١٥٩ (١٧٤٦ — ١٧٤٧) ٦٥

تمين قاض جديد ودخوله دمشق فى موكب من الجند حاملى السلاح .
استعانة الباشا بالداينية على الإنكشارية . خراب محلة سوق ساروجا .
توجيه المدافع على حى الميدان . مقتل عدد كبير من الإنكشارية وفرار
زعمائهم إلى جبل الدروز . موآل للبديرى . قتال بين أسعد باشا العظم
وآل الحرفوش فى بعلبك . قتال بين الباشا والعرب . هدية ملوكية
للباشا . دخول أورطة من القبوقول دمشق بطلب من الباشا .
عودة نفوذهم . غارة الجراد . طلب ماء السممر . قتل أسعد باشا
فتحى أفندى الدفترى انتقاما منه . سيئات الدفترى وحسناته . موآل
للبيدىرى . الاحتفال بوصول ماء السممر . اشتداد القلاء . الخوف
من عودة الزرباوات أثناء غيبة الباشا فى الحج .

سنة ١١٦٠ (١٧٤٧ — ١٧٤٨) ٥٨

سيل عظيم . دعاء الحجاج لأسعد باشا . قتل بعض الزرباوات .
ازدياد جور الداينية . اشتداد غارة الجراد . الاحتفال بوصول ماء
السممر . إقامة دوسة . الشكوى من فساد الأخلاق . قتال شديد بين

أسعد باشا العظم والدروز . تخريب جند الباشا سهل البقاع . تخاذل الدالانية وصدق الانكشارية في القتال . وصول خط شريف بالإفراج عن الأمراء الدروز المحبوسين في قلعة دمشق .

سنة ١١٦١ (١٧٤٨) ٨٠٦

خراب القرى من جور الدالانية . تسعير الفلوس والمصارى الفضة . فتنة بين الأشراف والقبوقول . استهانة القبوقول بالأشراف . الشكوى من ازدياد الفساد . كسوف الشمس وإقامة صلاة الكسوف . إغارة الدروز على الربداني . خسوف القمر . عودة زعماء الانكشارية (الزرباوات) إلى دمشق ونهيم دور خصومهم . قتال شديد في دمشق بين جند الباشا والانكشارية . تخريب حتىّ الميدان .

سنة ١١٦٢ (١٧٤٨ - ١٧٤٩) ٨٢٣

شدة الغلاء ، فيضان نهر طرابلس . اتهام مفتى الشام باختزان القمح . فساد بنات الهوى . حادث وقع لقاضي الشام . عزله ونفيه لقبرص . تجريس بصفة أشخاص لسكهم عملة مزيفة ، فرض رسم على بنات الهوى .

سنة ١١٦٣ (١٧٤٩ - ١٧٥٠) ٨٣٥

اشتداد الغلاء . كسوف الشمس وإقامة صلاة الكسوف . اشتداد البرد وغلاء الفحم . وفاة الشيخ عبد الرحمن البهلول شاعر الشام . موال للبديري . البدء في بناء قصر أسعد باشا العظم . جمع الحجارة والرخام والمرمر والسرور والتجارين والبنائين . إصلاح المسجد الأموي منع الناس من الخروج بعد صلاة العشاء . فتنة بين الأكراد وبين البغادة والموصلية والقبوقول . الانتهاء من عمارة قسّم الحريم بقصر الباشا . قتال بين الدروز والمتاولة .

سنة ١١٦٤ (١٧٥٠ - ١٧٥١) ٨٥١

استمرار الغلاء . نقل سعد الدين باشا العظم من طرابلس إلى حلب

الانتهاء من بناء قصر أسعد باشا العظم . اغتيال حاكم بعلبك . جلب قح من حماة . وفاة موسى كخيصة . توسيع قصر أسعد باشا . البدء في بناء قيسارية كبيرة . دخول أورطة من القبول في «جبر وعتو» . تمصب أهالي حلب على واليهم سعد الدين باشا العظم . اغتيال آغا القبول . تجريس رجل منهم بسكة عملة مزيفة .

سنة ١١٦٥ (١٧٥١ - ١٧٥٢) ١٦٣

الأغنياء منعّمون والفقراء صابرون ! . تعيين السيد خليل البكري قاضياً لدمشق . جلوس ابنه مكانه حتى وصوله . كثرة الأمطار والحيرات والبركات . تعمير طريق الميدان . الاحتفاء بابن ظاهر العمر في دمشق وإصلاح الباشا ما بينه وبين أبيه . الدعاء لأسعد باشا لإصلاحه مزار السيدة زينب . تسمير جماعة من اللعامة .

سنة ١١٦٦ (١٧٥٢ - ١٧٥٣) ١٧٢

وصول قاض جديد للشام من أبناء الترك . إبطال العمل في المحكمة الكبرى . نزول مطر غزير . القبض على لصوص وشنقهم ، قتال بين الحجاج والبدو . تسمير العملة . رخس البضائع ما عدا اللحم . بناء أسعد باشا العظم القيسارية الجديدة . نهب اللصوص بعض أضرحة الصحابة والأولياء . خروج أسعد باشا بجموع غفيرة من مختلف الأجناس لقائنة عرب اللقاء . الحجّة الحادية عشرة للباشا . ترقية مصطفى بك العظم إلى رتبة باشا بطوخين وتعيينه محافظاً للجردة . قتل بين طوائف المسكر . وفاة حاكم صيدا وكان ظالماً .

سنة ١١٦٧ (١٧٥٣ - ١٧٥٤) ١٧٨

عودة الحجاج سالمين ، احتفالات دمشق بدخول الحج ودخول المحمل ودخول خزنة مصر . إتمام بناء القيسارية الجديدة . زلزلة خفيفة ومطر غزير . مقاتلة عرب (الجبل) . تقرير إبقاء لأسعد باشا والإشادة بمناقبه . اشتداد الغلاء . الحاجة الثالثة عشرة لأسعد باشا .

سنة ١١٦٨ (١٧٥٤ -- ١٧٥٥) ١٨٣

وفاة السلطان محمود الأول وتولية السلطان عثمان الثالث . انتشار مرض الجدري . تعيين مصطفى باشا والياً على صيدا . اشتداد الضيق بالناس . ترميم الجامع الأموي وفرشه . نزول مطر غزير وفيضان نهر بردى . قتال العرب . قتال الأمير حيدر بن حرفوش صاحب بعلبك .

سنة ١١٦٩ (١٧٥٥ — ١٧٥٦) ١٨٧

عودة الحجاج من غير الطريق السلطاني . هلاك عدد كبير منهم بسبب العطش . وصول تقرير إبقاء لأسعد باشا للسنة الرابعة عشرة من حكمه وإمارته للحاج . تعيين حسين بك مكى باشا بالقدس . عودة القدس إلى حكم أسعد باشا . وصول أنباء بحصار العرب المدينة المنورة . وصول أوامر من الدولة إلى الباشوات من آل العظم بالتأهب لقتال العرب . عزل سعد الدين باشا العظم من ولاية طرابلس .

سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ — ١٧٥٧) ١٩١

عزل مصطفى باشا العظم من ولاية صيدا . عودة أسعد باشا من حجة الزابعة عشرة . توسطه للصلح بين العرب وأهل المدينة المنورة . اشتداد الحر وموت عدد كبير من الحجاج . إهداء السلطان أسعد باشا هدايا ثمينة . وفاة شيخ الطريقة السعدية . مطر غزير وبرد شديد وموت عدد كبير من الأغنام والناس . نقل أسعد باشا إلى ولاية حلب وتعيين راغب باشا والياً على الشام . تعيين موسى كتحدا باشا بطوخين ووالياً على جدة . تعيين راغب باشا صدراً أعظم وتعيين حسين باشا مكى والياً على الشام . رحيل أسعد باشا من دمشق بعد أن أصلح بين الوجدافين . اضطراب الحالة في دمشق بعد سفر الباشا . دخول الباشا الجديد وقيام العامة على الأفندية والأعيان . « اشتغال الباشا بالظلم كأسلافه » . فتنة بين عسكر المغاربة وعسكر اللوند الأكراد . تمسك أهل حلب بأسعد باشا العظم . تعيين سعد الدين باشا العظم والياً على مرعش ومصطفى باشا العظم والياً

على الوصل، اشتداد الفلاء. فتنة كبيرة بين الانكشارية والقبوقول .
القتال في حارات دمشق . توسط الباشا للصلح بين الفريقين وكتابة
(حجة) عليهم . إخراج (الغرباء) من دمشق . تجدد القتال بين
الانكشارية والقبوقول . زلزلة شديدة بدمشق . وصول أنباء عن
نهب الجردة وموت سردارها موسى باشا .

سنة ١١٧١ (١٧٥٧ — ١٧٥٨) ٢٠٤

إرسال جردة أخرى . تجدد القتال بين الانكشارية والقبوقول .
وصول أنباء بنهب الحجاج . خروج الناس لنجدة الحجاج . وصف
ماحل بقافلة الحاج . توجه حسين باشا والى الشام إلى غزة . قدوم
كبير زرباوات الشام . ظاهر الممر يقتدى المحمل والصنجد . وفاة
السلطان عثمان وتولية السلطان مصطفى الثالث . توجه ولاية الشام
إلى عبد الله باشا البتجي . دخوله دمشق في موكب وجند كثير .
تجمع الانكشارية . خروج الباشا لقتالهم . نهب المدينة . مطاردة
الانكشارية . ارتفاع أسعار الحاجيات . نهب عسكر الباشا للقرى .
وصول نبأ بقتل أسعد باشا العظم ووصول أوامر بمصادرة أملاكه
هو وأتباعه .

سنة ١١٧٢ (١٧٥٨ — ١٧٩٥) ٢٢٠

وصول الحجاج سالمين بعد قتال أمير الحاج للعرب . عزل شريف
مكة وتعيين آخر . أوامر برحيل كثير من عساكر الباشا . ارتياح
الأهالي . نشاط الباشا والقاضي لرفع الظلم والعدوان . زلازل
شديدة وسقوط المباني وقتل عدد كبير من الناس . انسداد نهر
القنوات وانقطاع الماء . وقوع قبة الجامع الأموي الكبيرة . خروج
الناس للصلاة والابتغال . عزل عبد الله باشا البتجي . تجدد
الزلازل . وصول محمد باشا الشالك والى الجديد . اشتداد الريح
وسقوط مباني كثيرة . ارتفاع الأسعار . هجرة الناس إلى القرى .
معاناة الجامع الأموي لتجديد ما تهدم منه . اشتداد الطاعون
وكثرة الوفيات .

ملحة

سنة ١١٧٣ (١٧٥٩—١٧٦٠) ٢٣١

التنويه بآثر عثمان باشا الصادق سردار الجردة . تعيينه والياً على الشام وتعيين ابنه محمد باشا والياً على طرابلس . البدء في عمارة المسجد الأموى والقلعة . القتال بين عثمان باشا والشيخ ظاهر العمر . تجدد الزلازل .

سنة ١١٧٤ (١٧٦٠—١٧٦١) ٢٣٣

زينة ومواكب بدمشق لمولد ولد للسلطان . وصول نبأ بقتل عبد الله باشا الجتجى ومصادرة أمواله .

سنة ١١٧٥ (١٧٦١—١٧٦٢) ٢٣٥

التنويه ببدل عثمان باشا والى الشام . وصول نبأ بموت سعد الدين باشا العظم وضبط أمواله .

منظر من قصر أسعد باشا العظم ٢٣٧

» » » » » ٢٣٩

مخطط دمشق في أوائل القرن السادس عشر ٢٤١

» » » » » التاسع عشر ٢٤٣

فهارس الكتاب ٢٤٥

أولاً — فهرس الأعلام ٢٤٧

ثانياً — فهرس الأماكن والبلاد ٢٧١

ثالثاً — فهرس المصطلحات والوظائف ٢٨٩

رابعاً — فهرس حوادث دمشق اليومية ٣٠٧

استدراك

- ص ٦٧ حاشية (١) وحاشية (٢) كل منهما مكان الأخرى .
ص ٦٩ سطر ١٥ : (حنى) صحتها : حسن .
ص ٧٥ حاشية (١) صحتها : انظر فيما سبق ص ٤٧ ، ٥٤ - ٦١ .
ص ٩٩ سطر ١٩ : (أولام) صحتها : أولادم .
ص ١٠٠ حاشية (٢) سطر ٢ (لنظم) صحتها : لنظر .
ص ١٠٦ سطر ١١ : سنة ١٦١١ صحتها : ١١٦١ .
ص ١١٢ سطر ١٤ : (البتكر) صحتها : البتكر .
ص ١٥٧ سطر ١٢ (قلمة) صحتها : تلة .
ص ١٩٨ سطر ١٠ (للغاربة اللواند) صحتها : للغاربة واللواند .
ص ٢٥٧ شيخ التكية تشطب كلتا (أحد اللصوص) .
ص ٢٧٢ باب السريعة . تُقرأ : باب السريعة .
ص ٢٦٧ سطر (٥) - صحتة :
مصطفى بك أخو أسعد باشا العظم .
ص ٢٦٧ سطر (١٦) - تُقرأ :
١٠٠ ، ١١٤ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٩

مطبعة دار البیان العربی
• خیبر پورہ، پاکستان • ۱۹۷۹ء